طالبان

العمائم والمدافع والأفيون

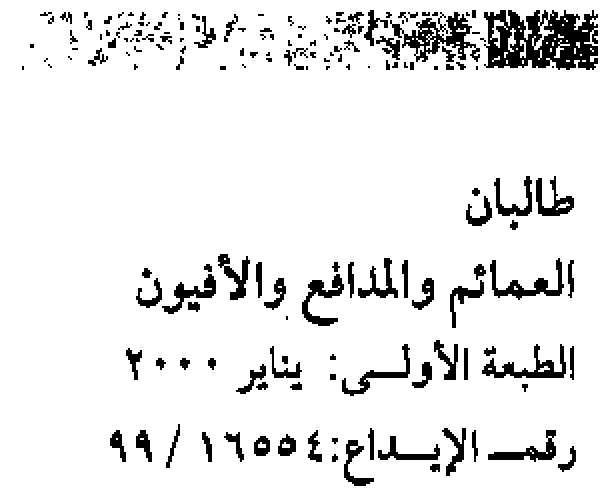




بد الحليم غزالى

طالبان

العمائم والمدافع والأفيون



طالبان

العمائم والمدافع والأفيون

الطبعة الأولـــى: يناير ٢٠٠٠

رقمـ الإيـــداع: ١٦٥٥٤ / ٩٩

الترقيم الدولي : x- 03 - 5979 - 977

دار الخيّـــــال: ٠١٢٣٢٩٠٦١٨

تصميم الغلاف: محمد الصباغ

جرافيك: محمد كامل مطاوع

خطوط الغلاف: لمعى فهيم

كمبيوتر: دار جهاد

٣٥٦٤٧٨٣

أمـراء الجهـاد المـضـاد فـى أفـغـانـسـتـان



طالبان

العمائم والمدافع والأفيون

عبدالحليم غزالي

مطبوعات دار الخيّال

الإهداء

إلى أبى .. الذى علمنى النظر إلى
ما وراء المعنى، وقراءة مفردات
الأوجه والأمكنة ..
إلــى أمــى .. ذاكــرة الأحــلام الـبـيـضــاء ..
عاشقة الأرض الجنوبية !
إليهما فى عالم الغيب
هذا بعض ثمار نبتكما !

عبدالحليم

طالبـان

هذا الكتاب نتاج انشغال وحيرة ورحلة ينسى حصادها تعبها وأخطارها الجمة.

رحلة بـعمر الزمن لا تزيـد على شهر (فـى سبتمبـر وأكتوبر ١٩٩٨) لكن بـعمر المعنى والفائدة أطول من ذلك بكثير.

لقد كان السؤال الذى شـغلنى .. ربما بحكم عملى كصحـفى.. مَنْ هم طالبان ؟ وما حقيقتهم .. قرأت كثيرا لكن الإجابات خاصمتنى .. وتوزعت الأفكار وتشتتت، فقررت السفر الذى تم بتشجيع من المسئولين عن دار الخليج للصحافة والنشر.

لم يكن مـن زاد لدى سوى قليل مـن قصاصات جرائد، وجـهاز تسجيل صـغير وكاميرا. وفوق كل ذلك رغبة عارمة فى اكتشاف طالبان.

بدأت الرحـلة من باكسـتان وغصت فى قـراءة ملامح "أفغـانستان ـ طالـبان"، ثم عدت إلى باكستان مرة أخرى أبحث عن طالبان ! فلم يكفنى حديث الصواريخ التى أفلت منهـا بعناية الله، كان ظمئى شديدا لمعرفة كل شىء عن هؤلاء الـصغار الذين أشعلوا "جـهادا ضد الجهاد" الأول الذى قاد إلى إسـقاط النظام الشيوعـى وانسحاب الروس من أفغانسان.

لم يكن معي سوى رفيق طيب القلب بسيط التكوين .. إنه المترجم محمد ناصر الأفغاني الذى يتقن اللغة العربية التى يدرسها فى الجامعة الإسلامية فى إسلام آباد .. والحق أننى أرهقت الشاب ذا الثمانية والعشرين ربيعا بأسئلتى واستفساراتى .. له ولمن قابلناهم من رجال طالبان .. وهم كُثر، وتحملنى الشاب بصبر وتؤدة، فله فضل لا ينسى، وأذكر بكل التقدير دقته فى الترجمة من الباشتو والفارسية اللتين يتكلمهما معظم الأفغان .. إلى العربية.

وحتى لا أطيل التقديم فهذا الكتاب ليس أرشيفيا ولا هو بمثابة تحليل سياسى بالمعنى المباشر. ما بأيديكم الآن رؤية واقعية لطالبان وأفكارهم وسلوكهم وطريقة حكمهم، دون العودة إلى أوراق الآخرين إلا فيما ندر، لقد قصدت أن يكون كتابا نابضا بالحياة وأن يكون قريبا إلى فهم جل القراء الذين يريدون التعرف على طالبان.

ولعل هذا الكتاب هو الأول بالعربية فى العالم العربى، وكل ما أتمناه أن يجيب على التساؤلات المطروحة حول طالبان .. هؤلاء الذين يراهم كثيرون لغزا محيرا، وهناك من يخضعهم للتصنيفات سابقة التجهيز، لنقرأ معا بالكلمات والوقائع وجه طالبان وطبيعة تكوينهم وقصة صعودهم الكبير فى أفغانستان؛ تعالوا نرى دولة الطلبة والعمائم.. والمدافع والأفيون.

المؤلف

طالبان

العمائم والخناجر والأفيون

1

هناقندهار دار «الخلافة» الإسلامية!

دار الخيّال

أول مرة رن فيها اسم قندهار في أذني، عندما كنت أتحدث للسفير الأفغاني في إسلام آباد «مولوى سعيد الرحمن حقانى»، وبالمناسبة عرفت فى إسلام آباد من هو الملا ومن هو المولوى، فالملا طالب فى المدارس الدينية لم يكمل تعليمه، والمولوى هو خريج هذه المدارس التى هى بمثابة مجمع تعليمى من الابتدائى وحتى الجامعة!

المهم سألت مولوى حقانى عن التأشيرة التى كنت أنتظرها منذ ٣ أيام حتى أتمكن من الذهاب إلى المعترك الأفغانى، فكان رده عبر الهاتف عميقا ومستبشراً.. «جاءت الهداية من قندهار»! وقبل أن أستفسر منه عن «الهداية» قال: لقد أذن لكم أمير المؤمنين (يقصد الملا محمد عمر زعيم طالبان) بزيارة أفغانستان، وطلب منى أن أذهب على الفور إلى السفارة حيث أبلغنى الموظف المختص بأن ذهابى إلى أفغانستان «حالة استثنائية»، مشددا على أن هناك حوالى ٥٠ صحفيا من أنحاء العالم ينتظرون «الهداية».. لكنها اختصتنى أنا، فأبديت امتنانى، وطلب منى أن أذهب إلى بنك باكستانى لدفع ٣٠ دولاراً رسم التأشيرة، ولا أعرف لماذا ضايقنى لفظ «الدولار» وقلت لنفسى حتى «الهداية» يلزمها دولارات!

المهم حصلت على التأشيرة وأنا لا أكاد أصدق نفسى، لكن فرحتى لم تطل، حيث انشغلت بترتيبات الرحلة والتى كان رفيقى فيها الأخ محمد ناصر المترجم الأفغانى الذى يجيد العربية لأنه يدرسها فى الجامعة الإسلامية فى إسلام آباد

بالإضافة إلى الفارسية أو بمعنى أدق الدارى (وهى لهجة غير تلك التى ينطقها الإيرانيون) والباشتو، واللغتان هما السائدتان فى أفغانستان.

فى اليوم التالى طرنا إلى كويتا فى إقليم بلوشستان الباكستانى، وفى كويتا شممت رائحة أفغانستان، ليس فقط من خلال المهاجرين الأفغان ولكن من «البشائر الجهادية».. وكان أول ما استلفت انتباهى فى كويتا نصب تذكارى كُتب عليه «إيمان.. تقوى.. جهاد فى سبيل الله»، وحسبما قرأت فقد كانت كويتا قاعدة للحزب الإسلامى بزعامة قلب الدين حكمتيار فى زمن الجهاد ضد الروس وعملائهم الشيوعيين الأفغان، وكان رجال الحزب يشنون هجمات داخل أفغانستان انطلاقا من كويتا التى ودعت المجاهدين ووطنت المهاجرين فيما بعد، أما فى عهد طالبان فالطريق إلى قندهار يبدأ من كويتا!

ورغم معرفة مرافقى بالطريق إلى قندهار إلا أننا فضلنا الذهاب إلى القنصلية الأفغانية حيث منحنا القنصل عبدالله حماد خطابا مفتوحا للجهات الأمنية فى «الإمارة الإسلامية الأفغانية»، وهى الاسم الرسمى لأفغانستان كما جاءت به طالبان، والخطاب شمل «توصية معتبرة» بالاهتمام بنا والحفاظ علينا، وآخر ما قيل لنا صحبتكم السلامة الآن أمامكم أفغانستان ادخلوها من حيث شئتم بلا حرس أو مرشدين!

استأجرنا سيارة من كويتا إلى «تشامن» آخر الحدود الباكستانية، وفى الطريق الجبلى الذى قطعناه فى ٣ ساعات، استلفت انتباهى اللافتات المكتوبة على الزجاج الخلفى للسيارات و«ظهور» الشاحنات مثل «اللعنة على العين الحاسدة»، «الوصول متأخرا أفضل من اللا وصول»، و «تصحبكم السلامة فى السفر والله يرعاكم»، أما السائق الباكستانى فقد اندمج فى حديث مع راكب أفغانى بجواره، وهما يستمعان معا إلى شريط كاسيت.. لقد كانا نصف مستمعين بمعنى أدق.. وكان الشريط ـ حسبما أبلغنى المترجم ـ لعالم دين باكستانى يلقى خطبة ضد حكومة نواز شريف التى وصفها بالفاسدة وتعمل ضد الإسلام (رغم سعيها لتطبيق الشريعة)، وكنت ألحظ بعض الابتسامات من السائق «البلوشى» والراكب الأفغانى عندما تتعالى

صيحات الاستحسان من مستمعي العالم الباكستاني، مع أنهما كانا منخرطين في حديث ودي حميم.

وبعد أن تركنا كويتا بقليل أصبحنا في قلب الصحراء التي تقطع سطوتها بيوت طينية من دور واحد في قرى متناثرة، ومخيمات اللاجئين الأفغان التي تجمع ما بين هذا النوع من البيوت وما يشبه الأكواخ الخشبية، وبدا شكل رجال الشرطة الباكستانيين الذين يوقفون السيارات في نقاط التفتيش موحشا رغم حسن تعاملهم معنا على الأقل، ويبدو أن الصحراء تترك طابعها على الشكل بشرا وحياة وأماكن!

حاولت أن أبدأ حديثا مع الأفغاني الجالس، في الأمام، لكنني لم أعرف منه سوى أن اسمه «أمان الله ولي الله» وأنه أوزبكي ومن أبناء قندهار ويحب طالبان «لأنهم يطبقون الشريعة الإسلامية ويوفرون الأمان»، ولم يبد متحمسا لأن يواصل الحديث وعاد إلى حوار بدا عميقا وكانت ضحكاتهما تقطع هذا الحوار المجهول!

في تشامن استبدلنا بعض ما لدينا من روبيات باكستانية بأخرى أفغانية، ونظراً لأن الروبية الباكستانية تساوي ٥٨٠ روبية أفغانية (مع العلم بأن الدولار يساوي ٥٨ روبية باكستانية) وجدت الصراف غير الآلي طبعا وقد ألقى بين يدي حوالي ٣ ملايين روبية أفغانية مقابل ما قدمت له من الروبيات الباكستانية، وملأت حقيبة اليد الصغيرة بالملايين وكانت أقل فئة بيدي هي ٥٠٠ روبية وهي ـ كما قيل لي ـ لا تكاد تشتري شيئا أفغانيا، لأن رغيف الخبز بـ ٢٥٠٠ روبية وكذلك البيضة، أما علبة العصير التي أردت افتتاح «الإنفاق الأفغاني» بها وأنا مازلت على أرض «جمهورية باكستان الإسلامية» فقد كانت بـ ٨ آلاف روبية، وساعتها أدركت أنني «مليونير غير أصلي»، ولا أعرف لماذا حولت في ذهني الـ ٣٠ دولارا التي دفعتها رسما للتأشيرة الأفغانية في إسلام آباد إلى روبيات، حيث اكتشفت أنها تساوي مليونا وثمانين ألف روبية، ومن الحسبة عرفت أن علاقتي بالملايين بدأت مبكرا جدا.

ودعنا تشامن.. وأصبحنا وجها لوجه أمام نقطة العبور إلى أفغانستان في «سبين بولدك» وقد ترجلنا من السيارة الباكستانية التي عادت أدراجها، كان علم طالبان الأبيض المكتوب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» قد بدا أقرب إلى الرمادي من الأتربة لكنه كان يعلن بوضوح عن نقطة فارقة بين بلدين وشعبين وتاريخين!

ذهبت مع المترجم إلى ما يمكن أن نعتبره ضابط الحدود الأفغاني، وهو رجل بدا بسيطا ومتواضعا يجلس على الأرض مفترشا سجادة أفغانية وحوله معاونوه، وبعد أن تأمل جواز السفر مليا وقرأ الخطاب الذى أتينا به من القنصلية فى كويتا أبدى ترحيبه بى وابتسم سائلا عن لحيتى بعد أن عرف من المترجم أننى مسلم، فقلت للمترجم أبلغه أنها ستكبر عندما نصل إلى قندهار(!!)، فضحك الرجل بتشجيع من معاونيه، وودعنا متمنيا لنا السلامة، بعد أن قدم لنا الشاى الأفغانى الأخضر الخالى من السكر والمصحوب بقليل من الحلوى، حيث يتبع الشارب كل رشفة بقطعة حلوى فيما يمكن أن نسميه «تحلية بالتجزئة»!

توجهنا إلى موقف السيارات التى تذهب إلى قندهار، وعندما حاولت التقاط بعض الصور وجدت من يصرخ فى وجهى مذكرنى بما عرفته فى إسلام آباد عن تحريم طالبان لالتقاط الصور «لكل ذى روح»، ومع أن الرجل لم يكن مسئولا ولاموظفا لدى طالبان فقد اشتعل وجهه غضبا قبل أن يهدئه المترجم ويفهمه أننى غريب لا أعرف ما تبيحه طالبان وما تمنعه، واتفقنا مع سائق وركبنا إلى قندهار مباشرة ورأسى مليء بالخيالات.

فى الجزء الأول من الطريق كان ملفتا تباين أعلام طالبان، فهناك ما هو أبيض دون كتابة، وما هو أبيض وعليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فقط أو «الله أكبر» معها، وقد تكون الكتابة بالأخضر والأسود، وتذكرت أن عُمر طالبان لم يتجاوز الأعوام الأربعة رغم الانتصارات التى حققتها وسيطرتها على ٩٠٪ من مساحة أفغانستان.

وفى الطريق الذى هو عبارة عن «مكسرات» حجرية صغيرة تعبث بالسيارة لدرجة أنك تشعر بأن حجرا سيقفز من تحتها ليستقر فى رأسك، استرحنا لدى نبع صغير حيث قابلنا رجلا عجوزاً وأطفالا يسبحون فى النبع، وفرحت لأن الرجل قَبل التصوير ولأن الأطفال لم يخشوا الكاميرا.

ولأننى كنت أعرف أن المسافة ما بين «سبين بولدك» وقندهار لا تتجاوز ٨٠ كيلومترا توقعت أن نصل فى ساعتين على الأكثر لكن عناد الطريق أطال السفر،

رغم محاولات بعض البدو ردم الفجوات مقابل الروبيات التى تلقى إليهم من السائقين والركاب، وعندما لاحت بيوت ريفية صحت: إنها «قندهار»، فتعجب المترجم منى وقال : أفغانستان ليست متخلفة لهذه الدرجة هذه قرية يا أخى وقندهار مدينة كبيرة!

وفى الطريق أيضا شاهدنا خيام البدو الرحل الذين لا ترتدى نساؤهم البردة الأفغانية الشهيرة، والذين يبدون بعيدين عن كل شىء بحميرهم وجمالهم وأغنامهم التى تحرسها كلاب توهمت أنها ذئاب من كبر حجمها وشراستها ونباحها المناوىء للحضارة ممثلة فى السيارات والذى تبتلعه الصحراء والجبال السوداء، حيث ترسم أغلب ملامح أفغانستان التى تشبه ورقة شجرة على الخريطة والراقدة بين باكستان وإيران وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان والصين ممثلة موقع افتراق لا نقطة التقاء!

وصلنا قندهار ببيوتها المنخفضة التى لا تزيد على دورين وشوارعها، المرصوفة المكتظة بالمارة والسيارات و«الريكشا» (دراجة نارية لها مقعد خلفى مسقوف يجلس فيه الركاب) فى وقت ارتفع فيه أذان صلاة الجمعة، وبعد أن وضعنا حقائبنا فى بيت الضيافة ذهبنا للصلاة فى الجامع الكبير المسمى مسجد «الخرقة الشريفة»، وبدا أن القميص والبنطلون اللذين أرتديهما يعلنان عن غريب وربما عجيب فى نظر القندهاريين الذين احتشدت عيونهم حولى، وحتى عندما جلست أستمع لخطبة الجمعة وبجوارى المترجم وجدت عيون كل من أقع فى مرمى بصرهم مصوبة نحوى لدرجة أننى شعرت بالقلق، وأطرقت تجنبا لإشعاعات النظر التى تتفحصنى من رأسى المغطاة بالطاقية البيضاء التى يطلق عليها الأفغان القلنسوة مرورا بالقميص الكاروهات وبنطلون الجينز وحتى الجورب الذى لا يرتديه الأفغان فى الصلاة.

فهمت من الآيات القرآنية أن الخطيب المفوه الذى عرفت فيما بعد أنه يدعى مولوى عبدالعلى ديوبندى يتحدث عن التوكل على الله وبالطبع لم يكن بالإمكان ترجمة الخطبة، وبعد انقضاء الصلاة همس كهل يجلس بجوارى فى أذنى باللغة العربية : هل أنت شافعى؟ فقلت له: أنا مسلم! ولم يعقب، وكنت أعرف أن

الأفغان حنفيون، ولا أعرف ما الذى جعل الرجل يعتقد أننى غير حنفى مع أننى كنت أصلى مثل بقية المصلين!

وبعد انقضاء الصلاة ذهبنا لرؤية مزار «الخرقة الشريفة» الذى يشكل جزءا من المسجد ويقال أنه به خرقة من ثياب الرسول صلى الله عليه وسلم وغير مسموح لأحد برؤيتها لكن القبو، الذى توجد به هو المتاح للنظر، وتوضع الصدقات على حافة هذا القبو، وقيل لى أنها تذهب للفقراء، وكان هناك من المصلين من يُقَبل حافة القبو وسط الزحام، وقال لى رجل يتحدث العربية غير المكسرة: إن أمير المؤمنين (الملا محمد عمر) يزور القبو ليلا وينعم برؤية الخرقة الشريفة، وأنه استمد منها البركة فى «فتوحات طالبان»، وقد نفى مسئول من طالبان هذا الكلام فيما بعد ورفض آخر التعليق عليه!

عدنا إلى بيت الضيافة لأجد رجلا من طالبان يبلغنا بأنه سيصطحبنا إلى بيت آخر للضيافة فهمت أنه أحسن حالا، وعندما وصلنا فهمت أن الرجل ويدعى مصباح الله سيصبح رفيقنا حتى نهاية الرحلة، وفى غرفة يداعبها هواء غربى وضعنا حقائبنا واسترحنا على «المراتب» التى هى وسيلة جلوس ونوم معا، وجاء أول مسئول من طالبان وهو عناية الله «٢٢ عاما»، «أمير المال» فى بيت الضيافة، واسترحت للغته العربية المفهومة وقدرته على فهم لغتى الفصحى التى ستسكن لسانى حتى إلى ما بعد مغادرة أفغانستان. انتهزت الفرصة وقلت أدردش مع عناية الله الذى أبدى استبشارا بوجودى ولم يسألنى عن اللحية مثلما فعل موظف الجوازات من قبل!

قال لى عناية الله أنه يجاهد مع طالبان منذ نشأتها تقريبا وأنه فعلا لم يكمل تعليمه، لكنه أبدى رغبته فى مواصلة دروسه بعد انتهاء «الجهاد» بالهزيمة الكاملة «للمخالفين» اى المعارضين، وعرفت منه أنه يعمل متطوعا حيث لا يحصل على راتب، فهو يأكل وينام فى بيت الضيافة ويستقل سيارات البيت فى «مشاويره»، ومن حين لآخر يحصل على مكافأة هى بمثابة «بدل زى» يتمكن بها من شراء ملابس جديدة.

وأبلغنى عناية الله أنه من ولاية «غزنى» وفهمت منه أنه لا «توطين» فى طالبان بالنسبة لمسئوليها وموظفيها، فالقندهارى يعمل فى كابول وابن «هلمان» يعمل فى «هرات»، وهكذا، بل إن الملا عمر كثيرا ما يجرى حركات تنقلات بين المسئولين

الكبار، وهؤلاء بدورهم يجرون تنقلات بين مرؤوسيهم، والوزير قد يصبح واليا والوالي وزيرا دون أن يعني ذلك خفضا لرتبته أو حطا من شأنه.

وعرفت أيضا من «عناية الله» أن متوسط أعمار مسئولي وموظفي طالبان تتراوح ما بين ٢٠ و٤٥ عاما، والملا عمر نفسه عمره ٣٨ عاما فقط، وغالبية المسئولين غير متزوجين، وحتى المتزوجون يتركون زوجاتهم في مدنهم وقراهم ويذهبون للجهاد أو العمل في ولايات بعيدة!

وعندما سألت عناية الله عن أسباب عدم زواجه قال لي: لدي ٣ أسباب:

الأول: في ولاية غزني التي أنتمي إليها لا يتزوج الطالب ما لم يكمل تعليمه، وحتى لا يربكنا المصطلح فالطالب يعني من يتعلم في المدارس الدينية و «طالبان» كلمة جمع في لغة الباشتو لطالب المدارس الدينية.

الثاني: نحن نعيش جهادا شرعيا مستمرا فكيف نتركه ونَقدم على الزواج؟

الثالث: الظروف الاقتصادية.. فالمهر يبلغ ١٠٠ ألف روبية باكستانية، أي ٥٨ مليون روبية أفغانية (الدولار = ٥٨ روبية باكستانية و٣٦ ألف روبية أفغانية فالمهر يكون إذن ٧٢٤ دولاراً تقريبا).

ومن عناية الله عرفت أن طالبان لم تتدخل في مسألة المهور والزواج ولم تسن قواعد ولم تصدر أوامر بهذا الشأن، واختتمت حديثي القصير مع عناية الله وجيء بالشاي والحلوى معه، وعلق مصباح الله بقوله: لدينا مثل في أفغانستان يقول بالباشتو «تشاي ناخورد اجنق نامي شواد» أي «دون شرب الشاي لا يمكن الحرب»، فحمدت الله أن كوب الشاي الذي أرشفه لن يقودني إلى ميادين القتال الأفغانية!

وغير الشاي يجد الأفغان متعتهم في «المسوار» وهو مثل «التومباك» يمضغ بديلا للسجائر التي حرمها الملا عمر على طالبان، لكنها متاحة لعامة الشعب من غير رجال الحركة الذين لا تستطيع أن تميز العسكري من المدني فيهم ولا الشرطة من الجيش، ولا حتى المسئول الكبير من الصغير، لكن تعرفهم في شوارع قندهار من السيارات «اللاندروفر» و«البيك أب» التي يستقلونها ومن الجدية والصرامة الباديتين على وجوههم!

عرفت من عناية الله بعد صلاة العصر أنه لا فرصة للقاء مسئول كبير من طالبان

حتى اليـوم التالى، فاستـأذنته فى الذهاب فى جـولة فى شوارع قندهـار ذات البيوت الرمـادية والأسواق القـديمة والمسـاجد الأثرية، وكـل ذلك يشعـرك بأنك فى مـكان انتماؤه يميل للتاريخ أكثر، بل إننى قابلت فى قندهار تاجرا أفغانى الأصل يعيش فى أمريكا وجاء لعقد صـفقات مع طالبان وصف قندهار بأنها «قـطعة من قلب الماضى» .. وفقا لنص كلماته بالإنجليزية التى اتبعها بضحكات أسطورية.

فى أحد «بازارات» قندهار اختلط الغبار بالبخـور بصيحات البائعين المنادين على بضائعـهم.. بتوسلات المتسـولين الصغار، ورغـم أن المجتمع يوحى بالـلا تمايز الذى يعكسه الزى التقليدى الأفغانى الخاص بالرجال المسمى «قميص شالاوار» المكون من قطعـتين تعلـوهما العـمامة الكبـيرة، سوداء.. أو بيضـاء.. أو مخططـة، إلا أن هناك تفاصيل صغـيرة تعطى معنى وجود فروق، فهـناك «القلنسوة» أى الطاقيـة القندهارية التى يرتديها الصبيـة والشباب بدلا للعمامة ولها أشكال وألوان مـختلفة لا تخلو من زركشات، ورأيت بعض الصبية يضعون قلبا أحمر يخترقه سهم كـيوبيد على جيب القميص، وأحيانا به سهم وحرف I قبل القلب والمعنى «أنا أحبك»!

وفى البازار اكتشفنا أنه بالإمكان شـراء أى شىء حتى ما لا يتناسب مع توجهات طالبـان، مثل السجائـر الأجنبية بـكافة أنواعها والـعطور الباريـسية والبيبـسى كولا وكامـيرات التـصويـر، بل إننـى وجدت شعـرا نسائـيا مسـتعـاراً «باروكة» فـى أحد المحلات، وعرفنا أن أغـلب البضائع تأتى مـن باكستان وإيران، وتركمـانستان ودول أخرى.

ومع أن أصحاب المحلات الـتجارية يقومون بتشـغيل أجهزة التسجـيل التى تردد أشرطتـها أغانى لطـالبان ولا نجد إجـابة على ألسـنتهم تشـكك فى الحركـة إلا أنهم لايبدون وكأنهم جزء منها بل هم أقرب للمتفرجين المنشغلين بلقمة العيش وتفاصيل الحياة، فحين تسألهم عن طالبان يردون : «طالبانو زند آياد» أى تعيش طالبان بالباشتو وكفى!

وفى شوارع قـندهار من يذكرك بـالحرب، إنهم المعـوقون الذين تشى أجـسادهم بمأساة أفغانـستان وهم ينتظرون الصدقـة والإحسان القليل وسط شح الـعيش وضيق

ذات اليد، ومع ذلك تشعر أن الحياة تسير، والأفغانى بطبعه صبور ولا يشعرك بأنه فى أزمة أبدا وقد اعتاد الشدة حتى مع نفسه!

❑

الليلة الأولى التى انتهت بالنوم فى الحادية عشرة قضيناها فى حديث مع بعض مسئولى طالبان الصغار، وداعبنى أحدهم بقوله لا بد أنك مسرور فى «دار الخلافة الإسلامية» قريب من حضرة «أمير المؤمنين»، بينما كان هناك منشد يأتى صوته عميقا وحزينا من جهاز تسجيل يتحدث عن معركة تسمى «صحراء ليلى» قتل فيها عدد كبير من طالبان على أيدى خصومهم، ومما قاله المنشد:

المنصب والحرب قد أصبحا

سببا لفساد كثير من الناس

وقد يصبح النظر أيضاً سببا للفساد

والذى يبكينى هو صحراء ليلى!

وخاطب المنشد أعداء طالبان قائلا :

فكر أيها الظالم

ولا تلحق الأذى

بهذه الأزهار الصغيرة اللطيفة

* *

كيف تهجمون أيها الظالمون

على هذه النطفة الجديدة

إنهم قادمون إليكم

ودولتكم زائلة وفانية

لقد ثبتوا وسجلوا بطولاتهم فى التاريخ!

أيها الطلاب لقد أرسلكم الله

هدية إلى هذه الدنيا والأمة!

وبدا لى أن الأنشودة تلمس وترا كامنا فى نفوس السامعين الذين كان محور حديثهم لى أنهم أصحاب رسالة هى تخليص الأفغان من الظلم والفساد وتطبيق الشريعة حسبما يعتقدون.

فى اليوم التالى ذهبنا لتفقد إذاعة قندهار، وهى أعلى مبنى فى المدينة وتشى ملامحه بالحرب الأفغانية حيث ظهرت عليه بوضوح آثار قصف ودمار، والإذاعة تعمل فى ثلاث غرف فقط، وتبث ٥ ساعات يوميا؛ ساعتان صباحا و٣ ساعات مساء وعدد العاملين فيها ٤٠ شخصا منهم ٤ مذيعين، وأغلب البرامج دينية مثل «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»، «ضرورات فى الإسلام»، «صراط الفلاح»، و«سيرة النبى» ﷺ، بالإضافة إلى برنامج لتعليم اللغة العربية وبرنامج صحى ومسلسل إسلامى أو اجتماعى ونشرات الأخبار، وأناشيد دينية، وبالطبع ليس هناك أصوات نسائية أو موسيقى.

وخلال الزيارة التقينا بأحد المذيعين ويدعى أحمد جاود سعادت (٢١ عاما) وهو يدرس فى كلية الطب جامعة قندهار، وعن كيفية التحاقه بالعمل فى الإذاعة قال: كنت أخطب خلال مظاهرة فسمعنى مولوى عبد الحى مطمئن مسئول الإعلام فى ولاية قندهار وأحد المتحدثين باسم طالبان، فأتى بى إلى هنا وأنا أعيش فى مبنى الإذاعة، ولا أتقاضى أجرا ولا يوافق سعادت على عمل المرأة كمذيعة ولكنه يعترف بأنه يستمع إلى مذيعات يعملن فى الإذاعات الأجنبية مبررا ذلك «بالضرورة» وحسبما قال «ليس هناك مشكلة إنهن «أجانب»!!

وهو يرى أنه عند الضرورة يجب أن يكون الرجل طبيبا وممرضا للمرأة، وهو لايمانع فى وجود طبيبات وممرضات بشرط ارتدائهن الزى الإسلامى، ويشير المهندس محمد خاتم(معظم الأسماء الأفغانية مركبة) إلى أنه قليلا ما تواجه الإذاعة مشكلات فنية، وقد ينقطع الإرسال إذا قطعت الكهرباء عن قندهار، وخلال وجودنا فى الإذاعة شاهدنا تسجيلا لشعر صوفى بالفارسية لجلال الدين الرومى دام ٢٠ دقيقة؛ وقبل أن نغادر جاء صوت المذيع هادرا «هنا قندهار دار الخلافة الإسلامية»، بينما انتابنى شعور بأننى فى رحاب التاريخ رغم الميكروفون والاستوديو!

طـــــالـــــبـــــان

الـعـمـائـم والخـنـاجـر والأفـيـون

2

«مدرسة المجاهدين»!

دار الخيّـــال

أثناء وجودنا فى قندهار، قمنا بزيارة للمطبعة الأميرية والمكتبة العامة، أما المطبعة فهى تعود لعهد الملك ظاهر شاه الذى كان يحكم أفغانستان قبل الشيوعيين ودام حكمه حوالى ٤٠ عاما من العام ١٩٣٣ إلى العام ١٩٧٣، وقد استوردت طالبان ٤ ماكينات طباعة جديدة من باكستان و٣ أخرى من ألمانيا، ويعمل فى المطبعة ٣٦ عاملا، وتصدر عن هذه المطبعة صحيفتان أسبوعيتان هما «الخلافة» (٣٠٠ نسخة) سعر النسخة ١٠ آلاف روبية أفغانية علما بأن الرغيف يساوى ٢٥٠٠ روبية وكيلو اللحم ١٨ ألف روبية، و«طلوع أفغان» (٢٠٠٠ نسخة)، وسعر النسخة ١٠٠٠ روبية، ومجلة الطالب وهى باللغة العربية وتصدر شهريا وسعرها ١٥ ألف روبية أفغانية.

وطلوع أفغان جريدة نصفية «تابلويد» مكونة من ٤ صفحات فقط، وتحتوى الصفحة الأولى على أخبار «الإمارة الإسلامية الأفغانية» أى الأخبار الرسمية بما فى ذلك «فرمانات» أمير المؤمنين أى قرارات الملا محمد عمر زعيم طالبان، وتضم الصفحة الثانية تعليقات سياسية، والصفحة الثالثة تحوى مقالا دينيا وشعرا أغلبه «جهادى وطنى»، وهى مثلها مثل «الخلافة»، تصدر بلغة الباشتو وتحتوى صفحتها الأخيرة على أخبار دولية متصلة غالبا بالدول الإسلامية (لا تجد فيها أخبار مونيكا جيت مثلا)، أما «الخلافة» التى تتصدرها الآية القرآنية «وعد الله الذين آمنوا منكم

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض» فهى عبارة عن صحيفة رأى تشمل مقالات دينية وسياسية، وتحتوى على آخر الفتاوى التى يصدرها علماء الدين الأفغان وهى أفضل ورقا وإخراجا من طلوع أفغان التى يعنى اسمها «بعث الأفغان» أو «نهضة الأفغان»، وبالنسبة لمجلة «الطالب» فقد بدأ إصدارها فى باكستان مع نشأة طالبان وهى تحتوى على مقالات عميقة المعنى نسبيا.

وقد استلفت انتباهى فى عدد مارس (١٩٩٨) مقال لكاتب يدعى أبو سلمان عبدالمنعم البلوشى فى إطار سلسلة تحت اسم «موقف حكومة إيران من أهل السنة»، يتحدث عما يصفه بالمجازر والتصفيات والتهجير ضد السنة فى إيران على حد قوله، ويوجد بالمجلة جزء كبير تراثى يشمل مختارات من كتب دينية قديمة.

نعود للمطبعة، ومديرها يدعى الملا إختر محمد (٢٥ عاما) وهو من طالبان طبعا ويقول أنه لم يكن يعرف شيئا عن الطباعة ولكنه اجتهد وتعلم، وحسب قوله فالعامل فيها يتقاضى ٦٠٠ ألف روبية وهو مبلغ كبير نسبيا إذا عرفنا أن متوسط راتب الموظف الحكومى ٤٠٠ ألف، والعمل يبدأ من الثامنة صباحا حتى السابعة مساء مع وجود ساعتين راحة فى وقت الغداء وبعض العاملين من عهد الشيوعيين، والمطبعة لا تكتفى بطبع «الخلافة»، و«طلوع أفغان» لطالبان فقط ولكن تطبع الأوراق الحكومية والشهادات المدرسية وغيرها.

أما المكتبة العامة الملحقة بالمطبعة فقد بدت فقيرة الكتب والزوار أيضًا ولم يدخلها إلا ما يعد على أصابع اليد الواحدة من الكتب فى عهد طالبان، فأغلبها من عهد ظاهر شاه والشيوعيين فضلا عن القليل مما دخلها فى عهد الرئيس المخلوع برهان الدين ربانى، وهى تقتصر على رفوف غير ممتلئة فى غرفة واحدة متوسطة المساحة ولاتخلو عناوين الكتب فيها من مفارقات، فهناك كتب بالروسية كادت الأتربة تحجب عناوينها فى مشهد ينتمى إلى ماض آفل!

واستلفت الانتباه عنوانان مهمان من الكتب الجديدة هما «لماذا تظهر إيران العداوة معنا» و«إيران تمهد لليهود والنصارى استيطان المنطقة» وهما لا يحتاجان إلى تعليق!

ومن اللافت أيضًا وجود كتب أدبية بالفارسية وكتاب للإمام الخمينى هو «تحرير

ة»! وأغلب الكتب تراثية مثل تفسير الرازى و «حياة الإمام الأعظم أبى حنيفة» ح المكية» وبعض الكتب الصوفية، ووقت الزيارة، وكان فى العاشرة صباحا ن هناك سوى قارئين فقط أحدهما يرتدى نظارة طبية وهى شيء نادر فى تان فى حين أن النظارات الشمسية لا وجود لها تقريبا!

طتنا التالية فى قندهار لها صلة بالقراءة والكتابة وهى «مدرسة أمير المؤمنين» ، وحتى نفهم طبيعة مثل هذه المدرسة لابد من الإشارة إلى أنه لا توجد قواعد ن التلاميذ، فقد تجد فيها تلميذا عمره ١٠ سنوات يدرس مع آخر عمره ٢٣ وعادة ما يقيم تلاميذها فيها ويعيشون مجانا كما هم يتعلمون، وفى أفغانستان تقدير كبير لطلبة المدارس الدينية وخريجيها، وهذا قد يفسر التأييد الذى نالته طالبان منذ نشأتها، والحاصل على مؤهل عال من جامعة دينية يعمل قاضيا أو و مدرسا على أقل تقدير، وحينما ترد كلمة العلماء فإنها تنصرف مباشرة إلى الدين، وطالبان تستند إليهم كثيرا كغطاء من الشرعية لها، وستكون لنا وقفة ة مع التعليم الدينى لاحقا.

د حرصت على لقاء بعض الطلاب لأنهم ببساطة الاحتياطى الاستراتيجى لـ ان» ولأن مثل هذه المدرسة بمثابة «مفرخة لهم».

ول ولى محمد (٢٣ عاما): «أدرس منذ ٦ سنوات فى هذه المدرسة ودرست فى تان ١٠ سنوات، ومما درست الفقه والشريعة والمنطق والجغرافيا، ذهبت إلى مع نشأة الحركة فى العام ١٩٩٤، شاهدت قتلى فى المعارك.. لا أخاف الموت أخاف الحرب، لدى الرغبة فى أن أظل مجاهدا فى سبيل الله وعالما».

يقول خليل الله (١٩ عاما): «أنا قادم من جبهة القتال بعد أن مكثت هناك ن، كنت مسلحا بالكلاشينكوف أحب دراسة العلوم الدينية ولا أريد العلوم رية».

ا سيد داود شاه (٢٢ عاما) فأجاب على أسئلتنا بقوله: «أحب التعليم والجهاد جئت من ولاية هلمان، شاركت فى الجهاد منذ بداية الحركة، كثيرا ما أطلقت

النار على المخالفين (المعارضين) لكن لم أر أحدا منهم مقتولا رأيت الكثير من رفاقى يقتلون.. إنها الحرب»!

ويقول عبد الحليم (٢٢ عاما): «شاركت فى الجهاد فى الحرب، يقتل من جانبنا ومن جانبهم، أحب أن أكون عالم دين.. سأخدم الإسلام فى المستقبل بتنفيذ أحكام الشريعة فى أفغانستان».

وجاءت كلمات رحمة الله (١٨ عاما) كالتالى: «لم أشارك فى الجهاد لأنى صغير السن (ليس له لحية، وطالبان تمنع أمثاله من الانضمام إلى مقاتليها)، لكننى أريد أن أقود دبابة وأقتل المخالفين والأعداء من الخارج».

وتحدث كريم الله (١٦ عاما)مبتسما: «أحب أن أذهب للجهاد ويعجبنى فى الجهاد استخدام منصات إطلاق الصواريخ والـ «آر.بى.جى»، ولا أخاف أن أقتل لأن الله سبحانه وتعالى خلقنا للموت!!».

أما محمد (١٠ سنوات) فصاح بى: «أحب أن أذهب للجهاد عندما أكبر»، وغرق فى الضحك، بينما صاح زملاؤه: «هو صغير»!

محمد ظريف (١٨ سنة) يقول: «لم أذهب للجهاد لأن أخى الأكبر يجاهد، وأريد تكريس حياتى للجهاد».

وتخرج كلمات محمد ضمان (١٨ سنة) هادئة عميقة: «ذهبت للجهاد وحاربت لمدة شهر واحد وكنت أستخدم الأسلحة الثقيلة.. أريد استكمال دراسة العلوم الدينية التى أفضلها عن العلوم العصرية».

لاحظت أن سراج الدين (٢٠ سنة) يحمل شعار جمعية «علماء الإسلام» فى باكستان التى يرأسها «مولانا فضل الرحمن» فسألته عن سبب ذلك فقال: «أحبه لأنه من العلماء الكبار ويأتى بالشريعة.. أحب الحياة لكن الشهادة أكثر!».

ويقول أحمد الله (٢٤ عاما): «أحب دراسة العلوم الإسلامية ولا أحب اللغة الإنجليزية.. جاهدت.. لا أريد الزواج لأننى مشغول بالجهاد.. يجب أن يكون لى أطفال وأسرة لكن فى الوقت المناسب!».

وبصوت فيه نبرات حادة قال جان (٢٥ عاما): لاأزال أدرس لأنني مشغول بالجهاد الذي بدأته في زمن الروس، عندما أرى زميلا لي يُقتل أحمل جسده وأعود به ثم أنتقم له من الأعداء، إذا رأيت مخالفا (معارضا) الآن سأعاقبه بعد إقرار الشريعة، لذلك وإن كنت أفضل أن آخذه أسيراً حتى يتوب، أعتبر أمير المؤمنين (الملا عمر) مثلا أعلى لأنه مسلم متدين يطبق الشريعة.

آخر الكلمات كانت من محمد الله محمدي (٢٠ عاما) الذي قال: جاهدت وقتلت عددا من المخالفين وكنت سعيدا لذلك لأنهم من أعداء الإسلام، يعجبني في أمير المؤمنين أنه أتى بالشريعة وينفذها.

هذه ببساطة هي كلمات وأفكار المجاهدين الصغار الذين هم بمثابة جذور طالبان و«فراخها» الصغيرة وما قالوه أبلغ من أي تعليق!

بالصدفة البحتة كنا نسير في أحد شوارع قندهار عندما وجدت طفلا أفغانيا يخاطبني بإنجليزية سليمة مدهشة Yes sir, How are you? فالتفت إليه مذهولاً وقد صحت Fine ، ودار بيننا هذا الحوار الذي تكمن أهميته في أن نجيب الله بن رحمة الله وهو اسم الطفل البالغ من العمر ١٠ أعوام نموذج آخر غير أبناء «مدرسة المجاهدين»، وهذا نص الحوار الذي لا ينسى:

*أين تعلمت الإنجليزية؟

- بدأت الدراسة في مدينة هرات (تبعد ٦٥٠ كيلومترا عن قندهار، وتقع بالقرب من الحدود الإيرانية، والآن أكمل «الكورس» في قندهار في مدرسة خاصة أدرس فيها بالباشتو وأتعلم العربية بالإضافة إلى الإنجليزية، لكن لغتي العربية ضعيفة، وقد حفظت بعض السور القليلة من القرآن الكريم.

قرأ علينا سورة «الصمد» بصعوبة بعكس طلبة مدرسة أمير المؤمنين.

* هل لديك أخوات بنات وهل يتعلمن؟

- لدي ٣ أخوات لكنهن لا يتعلمن.. إنهن يكتفين بالجلوس في البيت أما أخوتي وهم ثلاثة فيتعلمون بالباشتو فقط.

* ماذا يعمل والدك؟

ـ تاجر.

* هل تحب قندهار، وما الذى يعجبك فيها؟

ـ نعم أحبها، ويعجبنى فيها العنب!

* هل سمعت عن الجهاد، وهل تحب أن تكون مجاهدا؟

ـ نعم سمعت، وأحب أن أكون طبيبا وبعد ذلك مجاهدا!!

* ما رأيك فى طالبان؟

ـ إنهم طيبون لأنهم يذهبون للجهاد ويقتلون أعداء الإسلام.

* ماذا عن «أمير المؤمنين»؟

ـ أحبه لأنه ملك طيب (Good King).

* هل تحب ان تسافر إلى دول أجنبية؟

ـ نعم؛ إيران.. أمريكا.. باكستان.. روسيا.. الصين.

* لماذا تحب أن تذهب إلى إيران وأمريكا؟

ـ إيران بلد عظيم والولايات المتحدة أيضًا، لكن السعودية أفضل منهما لأنهما ليس فيهما حج وأنا أريد أن أذهب للحج!

* أيهما أفضل إيران أم أمريكا؟

ـ أمريكا أفضل من إيران لأنها أكبر.. انتهى الحوار الذى وددت لو طال لكننا أصبحنا فى قلب «الجمهور» من القندهاريين الذين أحاطوا بنا وأصبح الكلام صعبا، وتسلل الخوف إلى نجيب الله الذى قال إنه يريد أن يذهب إلى بيته ويخشى قلق أبيه عليه!

وفى الطريق قابلنا نموذجا ثالثا، إنه أحمد الله (١٨ عاما) الذى ترك الدراسة ويعمل الآن فى المعمار مقابل ١٠٠ روبية باكستانية فى اليوم أى ٥٨ ألف روبية أفغانية، وبفرض أنه سيعمل ثلاثين يوما فإن أجره الشهرى يبلغ مليونا و٧٤٠ ألف

روبية، وهو مبلغ ضخم بالنسبة لدخول الأفغان ولا يحصل عليه سوى القضاة!

يقول أحمد الله «كنت أتعلم في المدرسة (الدينية) وكنت سعيدا بذلك لكن المشكلات الاقتصادية لم تجعلني أستمر، أنا حزين لترك المدرسة».

ويضيف: «تزوجت قبل عامين ولدى طفل عمره ٦ أشهر وأساعد أخوتى البالغ عددهم ٩ (متوسط عدد أفراد الأسرة الأفغانية ٦ أطفال وفقاً لدراسة قديمة تعود إلى عهد الشيوعيين)، ولم يشارك أحمد الله في معارك طالبان، وقال إنه لن يشارك، واكتفى بابتسامة رافضا التفسير!

أتيحت لى خلال وجودى في قندهار فرصة لقاء بعض المسئولين المحليين، ومن هؤلاء المسئولين رئيس فرع البنك الوطنى فى قندهار ويدعى محبوب الله وعمره ٢٣ عاما فقط، وهو لم يدرس الاقتصاد ولم يكمل دراسته التى بدأها فى مدرسة دينية فى باكستان، وسألته عن كيفية انضمامه إلى طالبان فأجاب: سمعت أن هناك جهادا وكذلك أرشدنى أساتذتى فى باكستان للإنضمام إلى طالبان فى العام الأول لنشأتها (١٩٩٤).

وحسب كلام محبوب الله الذى تولى منصبه منذ حوالى ٦ أشهر.فهو لا يعرف فى أمور الاقتصاد كاملة ولكنه يستعين بمعاونين لديهم خبرة فى هذا المجال.

وردا على سؤال حول كيفية إدارته لعمله قال: ذهبت إلى كابول وتعلمت كيف أدير الأمور وأحفظ الأموال فى البنك ثم عدت لعملى، والأهم أننى أعرف كيف أحافظ على الأموال الموجودة فى البنك الذى يقوم الآن بمهمتين: تحويل النقود من ولاية لأخرى، وحفظ أموال الناس، وبعض العمليات الأخرى متوقفة مثل القرض الحسن والمضاربة، وهناك مؤسسات حكومية تضع أموالها فى البنك، وبالنسبة للمودعين من الناس فإننا لا نعطيهم فائدة.

وعن علاقات البنك بدول وبنوك أخرى يقول: لدينا مندوبيات فى الخارج مثل ما هو موجود فى نيويورك وألمانيا، وفى باكستان لنا ممثلون فى بيشاور وكراتشى، والأفغان الموجودون فى الخارج يحولون أموالهم عن طريقنا.

ويؤكد محبوب الله أن الاقتصاد الأفغاني دمر في السنوات العشرين الأخيرة ويمر بمرحلة صعبة جدا وأنه ضعيف جدا.

وفي إجابته عن سؤال حول مقومات نهوض الاقتصاد الأفغاني قال: إذا تم تأسيس حكومة مركزية فإنه ستكون هناك فرصة لنهوض الاقتصاد، فالحكومة المركزية مفيدة حتى لا يكون هناك من يطبعون النقود مثل دوستم وحكمتيار (الأوراق النقدية في أفغانستان تعود إلى عهدي الشيوعية والرئيس المخلوع برهان الدين رباني، والنقود التي طبعها دوستم تستبعد من التداول، ولذلك فإن الأفغان يدققون في النقود لدى التعامل، أما طالبان فلم تطبع نقودا حتى الآن).

وعن تعامل القيادات الاقتصادية معه قال: إنهم مسرورون مني لأني أمين وأنا أحترمهم! ويعترف محبوب الله بأنه لا يعرف شيئا عن التضخم .. هكذا ببساطة!

والعنصر الرئيسي الضروري لتولي المناصب الاقتصادية في نظر محبوب الله هو الأمانة.

ويختم محبوب الله كلامه بقوله: مازلت أتعلم وإذا وجدت فرصة سأدرس الاقتصاد!

وقابلت أيضا مسئول الصناعة في ولاية قندهار ويدعى عبدالصمد، الذي قال: إن النشاط الصناعي يشمل مصنعين كبيرين للنسيج يعمل في المصنع الأول ١٢٠٠ عامل والثاني ٢٠٠٠، فضلا عن مصنع لتجفيف الفواكه وحفظها، وآخر للثلج، وثالث للعصائر بالإضافة إلى عدة مصانع صغيرة للأحذية، وأشار عبدالصمد إلى أن هذه المصانع تعمل بالكهرباء التي تنتجها محطة توليد في ولاية هلمان المجاورة، وأكد أن طالبان تسعى لتوسيع دائرة الصناعة وأنها تشجع إقامة المصانع الخاصة، وهذا وجه آخر لقندهار، والكلام مع عبدالصمد كان رسميا جدا!

وبعيدا عن الاقتصاد، التقيت رجلا في الأربعينيات من العمر يدعى محمد نسيم، ينتظر مقابلة الملا عمر في دار الضيافة التي قارب مكوثه فيها على الشهر لحين المقابلة، وهذا الرجل فاجأني بالقول بأنه معاون سابق للقائد الأوزبكي عبد الرشيد

دوستم، الذى لم يصبح له وجود على الأرض الآن فى أفغانستان، والرجل جاء ببساطة إلى قندهار بحثا عن منصب أو وظيفة، وهو يقول إنه ضيف على طالبان وليس له أى نشاط عسكرى الآن، وحول الوظيفة التى يريدها يقول: «أريد أن أكون خادما للإسلام وأى وظيفة سأرضى بها»!

وعن سبب انشقاقه عن دوستم يقول: عندما وصل طالبان إلى ولاية فارياب (فى الشمال الشرقى)، انضممت إليهم لأن ميليشيا دوستم من «الشيوعيين» وكانت تظلم الناس ظلما شديدا ولم تكن هناك عقيدة سليمة لهم، وكشف عن أنه كانت له علاقات مع طالبان قبل عامين من انضمامه لهم، ويقول إن سبب هذه العلاقات هو رغبته فى تطبيق الشريعة، الحوار كان مختصرا حسبما سمح الوقت والظروف، خاصة أن هناك عيونًا من طالبان كانت تراقبنا!

رحلة البحث عن الحقائق فى قندهار قادتنا إلى لقاء مولوى فداء محمد نائب رئيس فرع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو فى أواخر العشرينيات من عمره، وعن وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقول: «محاربة المنكرات والسعى لإزالتها.. إننا نأمر الناس بما أمر الله به باليد».. ويضيف: إن فى الولاية ٤ مراكز للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعمل فى كل واحد منها ٢٠ شخصا، هم من «طالبان» وبينهم عالما دين، وأهم «المنكرات» التى يحاربونها «الأفلام الخليعة» التى تشاهد على أجهزة الفيديو فى البيوت، وكذلك أجهزة التليفزيون «بعد أن أوقفت طالبان البث التليفزيونى»، وشرائط الموسيقى والغناء وأدوات الموسيقى والخمر والأفيون والحشيش، وهم يحاربون الرقص أيضًا، ويحرمون اقتناء التماثيل والمجسمات والصور لكل ذى روح، ويعتبر أن التماثيل أصنام.

وفيما يتصل بالعقوبات التى يفرضونها، فإن من يتعاطى الحشيش والأفيون يسجن ٣ أشهر ينصح خلالها بترك المخدرات، وشارب الخمر يجلد ٨٠ جلدة ويودع فى السجن، وهناك عقوبات لمن يحلق لحيته أو يقصرها بحيث تكون أقل من طول قبضة اليد، ومن يفعل ذلك يسجن لمدة تتراوح بين ٤ أيام و٤٠ يوما، وبالنسبة لمن يعزفون الموسيقى أو يضربون على الدفوف فإن أدواتهم تكسر ويسجنون حتى

يتوبوا، وثمة عقوبات أيضًا لمن يحلقون شعورهم على غير ما أمر به الإسلام مثل التقصير الشديد من الجانبين والإطالة من الأمام على طريقة «كابوريا»!

ويؤكد المسئول أن القائمين على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يضربون أحدا ويشير إلى أن الأحكام التى ينفذونها تأتى من دار الإفتاء المستقلة عنهم، وقد مكننى المسئول من مشاهدة بعض الأشياء المصادرة، ومنها أجهزة تسجيل وتليفزيونات وشرائط فيديو و«سى.دى» وكاسيت، وبعض الدفوف ودمية يتيمة، وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حديث آخر مفصل سيأتى دوره لاحقا.

طالبان

العمائم والخناجر والأفيون

3

حوار مع عالم دين في الثلاثين!

دار الخيّال

من أبرز الشخصيات التي التقيتها في قندهار رحمة الله المفتي البالغ من العمر ٣٠ عاما فقط، وهو بمعايير «طالبان» رجل دين كبير حيث إنه عضو في لجنة الفتوى العليا في قندهار التي يتعامل معها الملا محمد عمر زعيم طالبان مباشرة ويعرض عليها أبرز المسائل التي تحتاج لآراء دينية وشرعية.

ومولوي رحمة الله من خريجي جامعة «ديوبندي» الإسلامية الشهيرة في الهند، وهو يعمل بالتدريس في مدرسة أمير المؤمنين الدينية في قندهار أيضًا، وهو رغم صلابة آرائه رجل به روح الدعابة وقد ضحك كثيرا عندما قلت له: «الآن أدركتنا رحمة الله» ونحن في «عناية الله» مشيرا إليه وإلى مسئول آخر في طالبان، ورد قائلاً: لا تنسى أنك تحت «مصباح الله» .. مشيرا إلى رجل ثالث من طالبان حضر اللقاء!

ونظرًا لأن طالبان حركة دينية في جزء كبير من جوهرها كان لقائي مع رحمة الله مهما، وآراؤه هنا ليست آراء شخصية، بل هو يعبر عن توجهات وأفكار طالبان بشكل عام، وبغض النظر عن مدى اختلافنا أو اتفاقنا مع هذه الآراء فلا بد من عرضها وللقراء الحكم من خلالها على «طالبان» دون تدخل منا.

وفي هذا الحوار يدافع رحمة الله عن تراجع العلوم العصرية أمام العلوم الدينية في المدارس الأفغانية، ويحاول تبرير توجهاتها وسلوكها تجاه غير السنة وغير

المسلمين ، ويحكى قصة تولى الملا عمر ما يسمى بـ «الخلافة» أو منصب «أمير المؤمنين» ويقول إنه بإمكان عزله إذا «انحرف» أو «ظلم»، ويؤكد رفض طالبان للديمقراطية فى أبسط مفاهيمها مشددا على أن الحق الانتخابى مقصور على علماء الدين فقط وليس عامة الشعب فقط، وتاليا نص الحوار الذى أورده كاملا لما أرى له من أهمية:

* هل شاركت فى الجهاد ضد الشيوعيين الروس؟

ـ طبعا كنت أجاهد وأدرس حتى جاءت «طالبان» فانضممت إليها.

* هل حاربت مع طالبان؟

ـ نعم.

* فى أية ولاية؟

ـ ولاية غزنى.

* وأنت من غزنى؟

ـ نعم.

* متى توقفت عن العمل العسكرى؟

ـ الأفغان لا يتوقفون عن الجهاد فأحيانا العمل وأحيانا الجهاد، إننى أحب أن أفعل هذا وأحيانا ذاك.

* كم عضوا فى لجنة الفتوى؟

ـ سبعة أعضاء وهناك من يشارك مساعدا من الخارج.

* هل تفتون فى كل الأمور أم فى بعضها فقط؟

ـ نحن نفتى فى كل أمر يتعلق بالشعب الأفغانى ومشاكله بما فى ذلك الحقوق الشخصية وما يخص المجتمع مما يرفع إلينا.

* من أكبر المفتين سنا فيكم؟

ـ عبدالغفور سنانى الذى كان يعمل قاضيا للقضاة فى أفغانستان سابقا، والآن هو معنا فى لجنة الفتوى وعمره ٧٢ عاما.

* هل تعتقد أن عالما دينيا عمره ٧٢ عاما وآخر عمره ٣٠ عاما يستطيعان أن يفتيا في نفس المسألة بنفس القدرة والعلم؟

ـ العلم لا يتعلق بالسن والصغر والكبر، والشيء الذي يجب أن ينظر إليه أولاً هو الكيف وليس الكم.

* ما هو متوسط أعمار المفتين؟

ـ أعمار مختلفة وليست هناك سن معينة للفتوى.

* هل تفتون وفقا للمذهب الحنفي فقط؟

ـ نعم . الآن الأفغان جميعا يتبعون هذا المذهب وحسبما يقول العلماء «الفتوى حسب حال المستفتي».

* لكن إذا جاءتكم مسألة لم يرد فيها رأي للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه هل ترجعون إلى مذهب آخر؟

ـ نعم نفعل ذلك، وحتى لو كان أبو حنيفة له فتوى لا نراها تطابق واقع الحال، وعلى سبيل المثال فإن أبا حنيفة يفتي بأن المرأة التي يفقد زوجها دون أن تعرف مصيره عليها بالصبر عليه تسعين عاما، ولكن الإمام مالك رحمه الله يرى أنها تصبر ٤ سنوات فقط، ونحن أخذنا بهذا الرأي، وتركنا رأي أبي حنيفة.

* قرأت لباحث أفغاني يقول إن المذهب الحنفي متشدد بطبعه، فما ردكم على ذلك؟

ـ هذا رأيه الشخصي، والمذهب الحنفي في رأينا هو الوسط ومطابق للقرآن الكريم والسنة الشريفة وقاعدته الأساسية «لا إفراط ولا تفريط»، والمذاهب الأخرى أيضا على حق.

* لاحظت أن هناك حساسية لدى بعض الأفغان تجاه من يتبعون المذاهب الأخرى؟

ـ ما لاحظتموه ينطبق على كل بلد يتبع أكثر سكانه مذهبًا واحداً، وحتى نحن عندما نصلي أثناء الحج فإن هناك من يستغرب طريقتنا في الصلاة، وهو ليس من التعصب في شيء.

* ثمة من يقول إنكم لا تريدون خروج المرأة من المنزل لا للتعليم ولا للعمل، فما موقفكم بالضبط؟

ـ نحن نحترم مذهبنا ونطبقه ولا أحد يطبق رأيه الشخصي، والمذهب يسمح للمرأة بالخروج بمفردها دون محرم إذا كانت المسافة قصيرة، أما إذا كان الخروج لمكان بعيد فلا بد من المحرم.

وبالنسبة للتعليم فنحن نرحب به للمرأة ونراه ضروريا ولكن بشروط.. أولاً: أن تخرج متحجبة (الحجاب لدى الأفغان هو البردة التى تغطى كامل جسمها تقريبا والجزء الذى يغطى العينين يشبه الشبكة وتستطيع أن ترى المرأة من خلاله).

ثانيا: نحن ضد الاختلاط بين النساء والرجال فى أى مكان، ولابد من توافر معلمات لتعليم النساء سواء العلوم الدينية أو العصرية، أما فى أيام الحرب مثل الآن فلا يمكن للمرأة أن تجد فرصة للتعليم.

* تقوم طالبان بمعاقبة من يقصرون لحاهم إلى أقل من قبضة اليد وكذلك من يحلقونها، فما موقفكم من هذه القضية؟

ـ فى الحديث الشريف يقول الرسول الكريم ﷺ: «اعفوا اللحى وقصوا الشوارب».والأمر للوجوب فترك اللحية إذن ضرورى، وأمير المؤمنين (الملا محمد عمر) أمر الناس بأن يتركوا لحاهم، والمجتمع الأفغانى من متطلباته أن يكون الناس ملتحين ولكن نحن لا نجبر الأجانب على إطالة لحاهم.

* ما تعليقكم على ما فعلته مجموعة من رجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قيل أنهم جمعوا مقصرى اللحى وضربوهم علنا فى كابول بعد دخول «طالبان» المدينة فى العام ١٩٩٦؟

ـ إنهم لم يضربوا أحدا إلا بعد أن قدموا لهم النصح والموعظة، فضربهم يكون لمخالفتهم وعدم امتثالهم لأمر أمير المؤمنين فيما يخص هذه المسألة.

* يرى البعض أنكم تهتمون بالشكل على حساب المضمون والدليل قضية إطالة اللحى؟

ـ هذا الكلام ليس صحيحا وما فعلناه بشأن اللحى وغيرها بعد «ثبوت شرعي»، وقد عينا «المحتسبين» الذين يدرسون كافة المجالات لإظهار الحقائق وكما قلت نحن نقدم النصائح والمواعظ أولا.

ثمة من يرى أن رجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعاملون الناس بشدة بشكل عام وليس فيهم سماحة الإسلام، فما تقديركم لما يجب أن يكون عليه سلطان هذه الجماعة حتى لا تتحول إلى «دولة داخل الدولة»؟

* قلت لك سابقا لا إفراط في مذهبنا ولا إمارتنا ولا فى شخصياتنا.. هذا أمر غير موجود لدينا أصلا، لكن الإمارات الإسلامية وجميعنا مشغولون بالحرب وإذا كانت قد حدثت أية حادثة فهذا ليس منا، الأعداء فى الخارج يتهموننا بالتشدد، والحكمة والموعظة الحسنة كما أوضحت من قبل هى الأساس فإذا لم ينفع النصح فإننا نقوّم المخالف بالعصا الأفغانية!!

* لكن ما هى الضوابط للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

ـ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده» وهذا للأمراء، «فإن لم يستطع فبلسانه» وهذا للعلماء، «فإن لم يستطع فبقلبه» وهذا للعوام، والحمد لله الأمراء والعلماء والعوام متحدون.

* من يأمر جماعة الأمر بالمعروف وينهاها عن المنكر؟

ـ هذه وزارة كبيرة بها لجنة من كبار العلماء ورجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر علماء وطلاب فإذا وقع منهم أى خطأ يرفع الأمر للقضاء.

* لا أخفى عليكم اتهامات بأنكم لا تعطون الناس فرصة للتعلم فى مجالات الحياة المختلفة مثل الطب والهندسة حتى يمكن تعمير هذا البلد المخرب وأنكم تصرون على الاكتفاء بالتعليم الدينى أو تفضيله على التعليم العصرى؟

ـ بالنسبة للعلوم الشرعية فقد خططنا لتعميمها فى أنحاء أفغانستان خلال السنوات الأربع المقبلة ليستقر الوعى الدينى فى أذهان الناس، ثم بعد ذلك نعطى الفرصة للتعلم في المجالات الأخرى مثل الطب والهندسة وسيختار الطلاب المجالات التي يريدون التخصص فيها.

* ما رأيكم فى النظام الانتخابى الغربى الحديث الذى يذهب الناس فيه إلى صناديق الاقتراع ويختارون هيئة تمثيلية تشارك فى السلطة ويكون لها الحق فى عزل الحاكم أو الحكومة إذا أخطأت؟

- الطريقة الانتخابية الغربية لا يستن الأخذ بها، ولا مجال لها فى الإسلام ففيها يتساوى العالم والجاهل والواعى والخامل، والحكم لدينا يقوم على ركيزتين «أمير المؤمنين» و «أهل الشورى»،ولدينا دليلان على اللجوء لأى منهما، الأول الأخذ برأى أهل الشورى المستنبط من قول الله تعالى: «وشاورهم فى الأمر».. الثانى: الأخذ برأى أمير المؤمنين فقط المستنبط من قوله تعالى: «فإذا عزمت فتوكل على الله»، ونحن إلى الآن لم يحدث لدينا أن استقل أمير المؤمنين برأيه لأنه هو وأهل الشورى يحاولون إيجاد التوافق على القضايا المطروحة عليهم وإن كنا نعمل أيضاً بالرأى الثانى أى الأخذ برأى أمير المؤمنين فقط، والشورى إذا كانت مبنية على أصول إسلامية لا نجد خلافا بين أمير المؤمنين ومشاوريه.

* لكنه يستطيع بسلطته وقوته أن يجعلهم يقولون ما يريده هو؟ !

- أصل الشورى عندنا فى المذهب الحنفى هو استماع «أمير المؤمنين» لآراء مشاوريه أولا وفى النهاية يظهر هو رأيه.

* قيل إنه لا يوجد مجلس شورى محدد لديكم رغم الكلام الرسمى المعلن؟

- لدينا مجلس أهل الحل والعقد ويبدأ بأربعة أشخاص وقد يتسع ليصبح اثنى عشر ثم أربعمائة ولكن هذا المجلس فى «الإمارة الإسلامية» يتكون الآن من ١٥٠٠ عالم فى أنحاء البلاد، وقد اجتمع هذا المجلس مع أمير المؤمنين ويمكنه جمعهم فى أى وقت إذا أراد.

* لكن إذا أراد الملا عمر التشاور الآن فمع من بالضبط؟

- هناك مجلسان يتشاور معهما الآن؟

١ - مجلس شورى العلماء ويستشيره فى المسائل الشرعية.

٢- مجلس الشورى الخاص المكون من وزرائه من طالبان ومعاونيه، وإذا كانت

هناك قضية علـى أهمية كبيرة فيجـمع الأمير أهل العقد والحل من أنـحاء البلاد وهم الـــ ١٥٠٠ عالم.

* هل يرسل لكم الملا عمر مسائل طالبا الفتوى فيها؟

ـ نعم، وعلى سبـيل المثال فقد أرسل لنا اليوم مـسألتين خطيرتين إحداهـما تتعلق بالأراضى المشكوك فى مـلكية الدولة لها، والأخرى قضية نكاح المـرأة قسرا وسنفتى فيهما إن شاء الله.

* قيل إن الملا عمـر لم يبايعه إلا مجموعـة من معاونيه وعشيـرته ورجاله وهـم لا يمثلون الشـعب الأفغانى لو سئل الشعب بكـامله لاختار شخصا آخر، فما تـعليقكم على ذلك؟

ـ كما سبق أن قلت نحن لا نؤمن بالانتخابات على الطريقة الغربية، وطريقتنا هى الإسلاميـة وقد اجتمـع كافة علـماء الدين فى الـبلد وعددهـم ١٥٠٠ عالم حسـبما ذكرت من قـبل، ولقد دعى الرئـيس المخلوع برهان الـدين ربانى إلى هذا الجـمع إما بالحضور أو الـكتابة لكنه لـم يأت ولم يرسل رأيه مـكتوبا، والذين اجتـمعوا «أحرار جدا» وأنا واحد منهم وانتخبنا «أمير المؤمنين» وهو منتخب شرعا.

* لكن لم يـكن هناك مرشح آخـر غير الملا عمر ولـم يكن متصورا أن يـأتى هذا الجمع لاختيار الملا محمد ربانى (رئيس حكـومة طالبان المؤقتة) أو الملا محمد حسن رحمانى (والى قندهار وأحد مؤسسى طالبان) وعلى الأقل لم يكن هناك أى نوع من المفاضلة؟

ـــ فيما يخص الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه زكاه عمر بن الخطاب وبايعه المسلمون بعد ذلك، وكذلك بالنسبـة لأمير المؤمنين حفظه الله كان هناك عالم كبـير هو مـولوى إحسان الله إحسـان رحمة الـله (قتـل فى مزار الـشريف فـى عام ١٩٩٧) وكان أحد وزراء طالـبان) وقد زكى أمير المؤمـنين الذى كان حاضرا فـبايعه العلمـاء فحدث نفس الشيء الـذى حدث فى صدر الإسلام، وكما كـان بجوار أبى بكر عمر وعـثمان كذلك كان بجوار أمير المـؤمنين مولوى إحسان اللـه والملا محمد ربانى والملا محمد حسن رحمانى!

* ماذا لو انحرف الملا عمر لا أقول عن الأصول ولكن بدا يتبع هوى النفس وأخذ يعزل هذا ويعاقب ذاك دون أسس أو رجوع لمجالس الشورى؟

ـ إننا نحرص الآن على ألا يكون أمير المؤمنين قد فعل شيئا دون أن يستشير أهل الشورى فى كل المسائل سواء كانت فرعية أو أصلية ولم يحدث ـ كما سبق أن قلت ـ أن اتخذ قرارا من دون شورى!

* لا أتحدث عن الوضع الراهن ولكن عما قد يحدث فى المستقبل، مَن الذى يضمن ألا يغتر بقوته وسلطاته وهو بشر ويتخذ قرارات لا ضوابط لها كأن يعين أحد تلاميذك رئيسا للوزراء وهو غير مؤهل؟

ـ عندنا أصل فى الفقه وفى الشريعة الأمير إذا جفا ـ بمعنى ظلم ـ أحدا يعزل.. وكما حدث بالنسبة لربانى (الرئيس المخلوع برهان الدين ربانى) ظلم وفسد وأفسد فعزل.

* لكن قد لا يجرؤ أحد على عزل الملا عمر؟

ـ كما قلت هذا أصل موجود عندنا وإذا جفا الحاكم فلابد من عزله، فالذى يسعى أن يحكم رأيه على الآخرين وقد أصبح فاسدا يجب أن يعزل وإن أصر على البقاء فالشعب الأفغانى يعرف كيف يستخدم معه العصا (استغرق فى الضحك)!!

* مسألة التعيينات للمناصب فيها مجال للهوى، فهل إذا رأيتم أن الملا عمر عين شخصا غير مؤهل تبلغونه برأيكم؟

ـ أمير المؤمنين أعلن من خلال الإذاعات والصحف أنه إذا كان لدى أى شخص ولو كان صغيرا نصيحة فإنه يرحب بها ويسعد جدا، ونحن نعتبر أمير المؤمنين «محافظا وحارسا» ونقول له بكل جرأة هذا صحيح وذاك خطأ ونقدم له النصيحة وهو يقبل «على الرأس والعين»!

* هل سبق لك شخصيا أن نصحت الملا عمر وأخذ برأيك؟

ـ ذهبت إليه بصفتى مدرسا فى المدرسة التى أعمل فيها وقلت له إن هناك أموالا كثيرة تنفق فى بعض الأغراض والأولى أن تنفق على هؤلاء التلاميذ الذين ليس

لديهم نقود للذهاب إلى منازلهم البعيدة في القرى المجاورة والعودة يوميا وأرى أن توفر لهم الإقامة في المدرسة، فوافق على ذلك.

* لاحظت أن بعض أفراد طالبان خاصة في ظل التوتر مع إيران يميلون إلى تكفير الشيعة وهذه مسألة خطيرة والمسألة ليست مجرد مشاعر إنها قضية غاية في الحساسية وقال لى أكثر من طالب بنص صريح «إن الشيعة كفرة» ما هو موقفكم بالضبط؟

ـ الشيعة عندنا عدة فرق:

١ـ التفضيلية: وهى ليست كافرة..

٢ـ الإمامية الاثنا عشرية: كافرة!!

٣ـ الإسماعيلية: كافرة وحتى بقية الشيعة يقولون إنهم كفار.

٤ـ فرقة تقول إن جبرائيل أخطأ فى حمل الوحى إلى محمد ﷺ وكان يجب أن ينزل به على على كرم الله وجهه وهذه كافرة أيضًا، والشعب والطلاب رأيهم من رأى العلماء ونحن نرى ـ كما قلت آنفا ـ أن الشيعة ليسوا كلهم كفارا حيث فيهم المسلم ولهم الحق فى أن يعيشوا فى المجتمع كما يعيش أهل الذمة مثل اليهود والنصارى.

* هل تعتبرون أهل الذمة كفارا أيضًا؟ـ

ـ نعم كفار لأنهم أهل عقيدة منحرفة!

* وفقا لعقيدتكم هل يستتبع ما تعتبرونه كفرا قتل أصحابه وملاحقتهم؟

ـ هم نوعان: الأول يدعو لعقيدته ويضل الناس فهؤلاء نحن نقتلهم بأنفسنا حتى لو لم يصدر أمير المؤمنين أمرا بقتلهم، والنوع الثانى: من لا يدعون إلى عقيدتهم وقبلوا شروط المسلمين وهؤلاء لا نؤذيهم.

* هل تعتبرون هذا نوعا من التسامح؟!

ـ هذا أجازه الإسلام!

* وماذا عن معاملة الفئات الأخرى مثل الهندوس والسيخ؟

ـ نفس الشيء إذا كانوا يثيرون مشكلات في المجتمع أو يدعون لعقيدتهم نقاتلهم، أما إذا احترموا «الإمارة الإسلامية» فنخلي سبيلهم وبعضهم موجود هنا في قندهار.

* معارضوكم يقولون كيف لطلاب صغار السن لم يكملوا تعليمهم أن يحكموا دولة، خاصة أن متوسط أعمار طالبان تتراوح بين ١٧ و٣٥ سنة، وكيف يؤتمن هؤلاء الصغار دون أن يتبعوا الأهواء أو يظهروا انغلاقا وتشددا؟

ـ الطلاب منفذون فقط وليس هم الذين يضعون القواعد، والكبار في العلم والسن هم الذين يصدرون الأحكام والأوامر وإذا حدث انحراف من أي طالب فإننا نحاكمه.

* ولكن أنت لست معه في كل سلوكياته الصغيرة والكبيرة أنت تشاهدها على السطح فقط؟

ـ نحمد الله لأننا في المناطق التي لدينا نتواجد مع الناس، سواء كانت قريبة أو بعيدة هذا في حالة الحرب فما بالك بالسلم. كيف نعرف المجرم من طالبان؟ أصدقاؤه هم الذين يشكونه لأمير المؤمنين وهو الذي يعاقبه، وهناك من أعدم من طالبان، ومؤخرا أعدمنا علنا طالبين في ملعب للكرة بعد أن ارتكبا حادث قتل.

* ما موقفكم من ممارسة الرياضة وهل تحرمون رياضات معينة؟

ـ لدينا ألعاب مثل كرة القدم وكرة السلة والكرة الطائرة والكريكت وغيرها ونحن نشترط لممارسة الرياضة عاملين:

ـ أن يرتدي اللاعب الزي الشرعي.

ـ ألا تكون الرياضة سببا في تضييع الصلاة والعبادات.

* سمعت أن طالبان حرمت لعبة البوزكشي التاريخية التي يتبارى فيها الفرسان على خطف تيس وهم فوق ظهور أحصنتهم.

ـ إذا كان اللاعب يتقن اللعبة فلا مانع، أما إذا لم يكن كذلك فلا يجوز له حتى لايهلك نفسه!

طالبان

العمائم والخناجر والأفيون

4

في حضرة
أمير المؤمنين

دار الخيّال

كان يمكن أن تنتهى رحلتى إلى أفغانستان دون لقاء الملا محمد عمر زعيم طالبان أو «أمير المؤمنين» وفقا للقب الرسمى لولا تلك الورقة التى كتبتها وأرسلتها إلى مولوى وكيل أحمد متوكل مستشاره السياسى والرجل الثالث فى الحركة، لقد قلت له إننى سأكون حزينا جدا لو غادرت أفغانستان ولم أمثل بين يدى «أمير المؤمنين» خاصة أننى مسلم وجئت من دولة مسلمة.

وذات مساء وأنا أتهيأ للنوم جاءنى عناية الله «أمير المال» فى بيت الضيافة فى قندهار متهللا وهو يصيح: إليك البشارة!، وافق أمير المؤمنين على لقائك غدا فى التاسعة صباحا .. تهللت أساريرى وشعرت بسعادة حقيقية لأن الملا عمر أحد أهم شخصين استهدفت مقابلتهما فى رحلتى هذه .. أما الرجل الثانى فكان أسامة بن لادن الذى بات من الواضح أن طالبان وقت الرحلة لا تريد أن تأتى له بذكر فكيف تسمح بمقابلة صحفى، عربى مصرى له. ورفضوا حتى نقل أسئلة مكتوبة له .. وفهمت المسألة، فقد كان بن لادن مأزقهم الكبير، وسأعود للحديث عن هذا المأزق فيما بعد.

المهم نعود للملا عمر، كان مولوى وكيل قد تلقى الأسئلة التى قررت طرحها عليه بالفعل، وجاءت التعليمات التى نقلها عناية الله واضحة .. يجب الالتزام بهذه الأسئلة فقط لا إطالة ولا استطراد ولا جدال ولا محاجة .. ولم ينس عناية الله أن

يذكرنى بأننى سأكون واحدا من الصحفيين القلائل الذين سمح لهم بالمثول بين يدى «حضرة مولانا أمير المؤمنين»، وشكرت «عناية الله» ومولوى وكيل وأبديت سعادتى الغامرة. وقد خلعت على حامل البشارة عمامتى السوداء الضخمة التى اشتريتها من باكستان، ولم أستطع تحمل وضعها فوق رأسى، وفرح هذا الشاب الطيب عناية الله وقال بالعربية التى يحبها مثل معظم الأفغان: بارك الله فيك ياعبد الحليم وأعز بك الإسلام!

وفى قلب الليل كانت أفكارى مثل مباريات كرة القدم رغم كل ما قرأت عن الرجل الذى قال كثيرون من الكتاب والمحللين المعنيين بالشئون الأفغانية: إن طالبان تحرص على إضفاء هيبة وغموض عليه ولا تجعله يظهر للعيان كثيرا. وحتى يوم لقائى معه فى السابع عشر من سبتمبر ١٩٩٨ لم يكن قد التقى بأى مسئول أجنبى، وكان الملا محمد ربانى رئيس الحكومة المؤقتة لطالبان والرجل الثانى فى الحركة ومولوى وكيل هما واجهة الحركة، وكانا يستقبلان الوفود الأجنبية ويقومان بزيارات إلى الدول الأخرى الأمر الذى أتاح ظهورهما على شاشة التلفاز وفى الصحف خاصة الباكستانية، أما الملا عمر فهو المجهول بعينه .. المعلومات المتوافرة عنه قليلة ومن النادر أن يتحدث عنه أى من مسئولى طالبان بغير الإشادة الدينية، وقد لقب نفسه «بالمجاهد» وبدا لى وصفه شبيها بمرشد الثورة الإسلامية فى إيران، فالولاء الأول والأخير له .. وله الكلمة الأولى والأخيرة فى كل شىء أيضا .. من إعلان الحرب إلى منع التصوير الفوتوغرافى!

لا أعرف لماذا أجهدت نفسى فى تخيل «أمير المؤمنين» خاصة أن اللقب كان ذا صدى عميق واختياره للملا عمر لا يخلو من الدلالات العميقة أيضا، فهو أمير وطالبان المؤمنون بصفة التعريف، أى أن من سواهم ليسوا مؤمنين، هذا على مستوى التفسير اللفظى على الأقل، ثم إن الرجل أختير بواسطة بيعة، وفى عهده أصبحت قندهار دار الخلافة الإسلامية مثلها مثل المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد، وعندما أعلنت طالبان الدولة المسماة «بإمارة أفغانستان الإسلامية» لم يخلع على الرجل أى منصب رسمى، فهو ليس رئيس الدولة وليس بملك أو رئيس حكومة، هو حاكم فوق أى نظام حكم مدنى، حاكم ذو شرعية دينية فى الأساس وهذا هو سر الهالة

التـى تحيط به، هـو الخليـفة ببسـاطة، ولا أعرف لمـاذا تذكرت قـول الشاعر الـذى لم يحضرنى اسمه :

هذا ابن عمى فى العراق خليفة

لو شئت ساقكم إلى قطيعا

فى الصباح جاءت سيارة «ميكروباص» أمام بيت الضيافة وجاء إلى «أمير البيت» وهو رجل كان يحرص على أن تكون هناك مسافة بينى وبينه من أول يوم وصلت فيه إلى هذا البيت، جاءنى متهللا هذه المرة وشـعرت أنه يعاملنى باحترام جم، ومع ذلك فقد أعاد على سـمعى التعليمات التى سـمعتها بالأمس حول المقابـلة وتأكد من عدم حملى لكامـيرا أو مسجل وطلب منى الالتزام بالأسئلة المكتوبة التى سبقـتنا إلى مقر «أمير المؤمنين»، وبعدهـا بنصف ساعـة كنت أمام هذا المقر الذى بدا متواضـعا، إنه مبنـى مكون من طابقـين لا توجد دبابات أو مـدرعات أمامه، ولـم ألحظ أيـضا وجود مدافـع مضادة للـطائرات فوقـه أو بجواره (فى المـدى المنظور طـبعا) رغـم أن بـعض التقارير التى كانت تبثها الإذاعات كانـت تشير إلى أن هذا المقر هدف لغارات إيرانية محتملة فى وقت كان التصعيد بين طهران وطالبان على أشده.

وبعد انتظار حوالى نصف ساعة داخل السيارة حيث تتبعنا أمير بيت الضيافة إلى داخل المقر جاءت «الـبشارة» المباشرة، ستدخـل الآن على أمير المؤمنيـن، هكذا أطلق أمير بيت الضيافة الذى لا أدرى لماذا أسقط اسـمه من الذاكرة، بعد خروجه من المقر، ولدى الـدخول قام رجـال الأمن بتـفتيـشى ذاتيـا بيـنما كـان هناك مـن ينظـرون إلى باستغراب وربما إعجاب وأنا أحاول رسم ابتسامة فرح على شفتى، وبعد الدخول من الباب بقليل استقـبلنى مولوى وكيل أحمد متوكل مستشار الملا عـمر، مرحبا ومحييا ومهنـئا، بهذا الرضـا السامى النـادر من أمير المـؤمنين الذى لـم يكن قد التـقى سوى صحفى عربى واحد قبلى حسبما أبلغنى مولوى وكيل قاطعا صمتا شاحبا!

عندما دخلت على أمير المؤمنيـن لـم يكن فى يدى سوى قليل من الأوراق ولوحة قرآنية فـيها آية الكرسى وقد أحـضرتها معى من كـوتيا فى باكستان هـدية له، ودخل

قبلي مولوى وكيل ثم خرج من غرفة ضوؤها يكاد يكون غبشا، صافحت الرجل الذي رأيت ملامحه بصعوبة، شد على يدى وقد بدا طوله الفارع ولمحت من طرف خفى عينه اليمنى الفقيدة وتجسدت فى لحيته الكثة الطويلة وردائه الأفغانى البسيط والرؤوس التى ترتقى إلى مقامه حيث جلس على ما يشبه الكرسى وتحلق حوله معاونوه ومستشاروه وذوو الحاجات، وقد اتخذوا الأرض موطئًا لأقدامهم دون جلوس كامل، وقد بدأ بعضهم بالانصراف ليبدأ الحوار المبرمج، الذى قطع شك التأمل بيقين الكلام.

مدخل الحديث كان سؤالا منى عن حالة التوتر مع إيران، وجاءت الإجابة مثل سيف خرج من غمده «إننا مستعدون لحرب بعيدة الأمد لكن التجارب التاريخية تثبت أنه لن تقع حرب بين الدولتين»، واستطرد مدافعا عن قتل الدبلوماسيين الإيرانيين فى مزار الشريف (قبل شهر من إجراء الحديث تقريبا) قائلا: إن هؤلاء الدبلوماسيين لم يكونوا مسجلين لدى طالبان ومن ثم لا نعترف بهم.

دلفنا إلى الحرب الأفغانية حين أبدى ثقته فى السيطرة على كامل التراب الأفغانى (كان ما بين ٨٠ و ٩٠٪ من البلاد بأيدى طالبان آنذاك)، مشيرا إلى أن الحركة حققت فتوحات، لم تكن تدور بظن أحد، وخاتما إجابته بالآية القرآنية «والله على كل شيء قدير».

وكان من المنطقى أن يبدى فى رده على السؤال التالى رفضه لأية مصالحة مع المعارضة لا يكون أساسها استسلامها أو قبولها بسلطة طالبان وأصدر ما يشبه الحكم القاطع «تلك الفئة المجرمة والجماعة الخائنة التى باعت نفسها وبلدها للمستعمرين الأجانب لن يقبل الشعب الأفغانى ولا الإمارة الإسلامية أن تشارك فى الحكومة».

وفى حديثه أيضا نفى بنبرة بدت فيها بعض «تجاعيد الغضب» إساءة معاملة الأعراق الأخرى غير الباشتون، كما برر اتخاذ قندهار مقرا بأنها مركز لإيصال المؤن والأسلحة إلى الولايات الغربية والشمالية ونفى الاتهام الشائع بأن طالبان قندهارية الأصل.

وفيما يخص قضية المرأة التى هى محط انتقادات غربية عاصفة شدد على أن تعليم النساء ليس محلا للنقاش مؤكدا أن بعض الأفغانيات يحضرن دورات تعليمية فى قندهار، ولكنه لم ينس التأكيد على التعليم بالنسبة للنساء وهو تلقى العلوم الشرعية.

لم يستغرق الحوار أكثر من ٢٠ دقيقة حيث نفدت الأسئلة سابقة التجهيز، وأومأ إلى مولوى وكيل معلنا نهاية المقابلة بوداع مقتضب مثل الحوار، فوقت أمير المؤمنين ثمين والكلام فى حضرته منه وإليه بدا موزونا بميزان الذهب ومع ضيقى بالوقت القصير وإعدام الكثير من الأسئلة فى رأسى، فقد شعرت وأنا أخرج لضوء النهار من الغرفة التى تشبه القبو بأننى أحمل كنزا ثمينا فى أوراقى، وودعتنى ابتسامات المساعدين، بينما اصطحبنى مولوى وكيل إلى غرفته فى الطابق العلوى حيث كان مصرا على تعويضى عن «شح الكلام الأميرى» قائلا: اسأل ما تشاء إلى أن تنفد جعبتك. فرددت بقولى: «يبدو أننى سأحمل الكثير من الذخيرة من مقر أمير المؤمنين»!

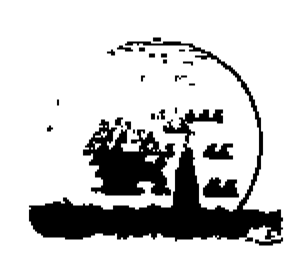
طـــــالـــــبـــــان

الـعـمـائـم والخـنـاجـر والأفـيـون

5

شهادة المستشار
ورسالة الوالى!

دار الخيّـــال



كما قلت أراد مولوى وكيل أحمد متوكل تعويضى عن اللقاء القصير المبرمج مع «أمير المؤمنين» فاصطحبنى فور خروجنا من مجلس زعيم طالبان إلى مكتبه المتواضع فى الدور العلوى بصبحة مساعده ومترجمه محمد الطيب، حيث دار حوار طويل مع متوكل .. الرجل الذى يوصف بأنه «واجهة طالبان ولسانها»، والحق أن الحوار كان بمثابة شهادة متكاملة على نشأة طالبان و «نموها الخرافى»، وقراءة فى أفكار وتوجهات الحركة، ونظرا لأهمية هذا الحوار فإننى أورده بلا حذف أو إضافة:

* أنت من مؤسسى طالبان.. سؤالنا البسيط: كيف نشأت؟

ـ بعدما دخل المجاهدون كابول (فى أبريل ١٩٩٢) كان الأفغان ومعهم المسلمون فى أنحاء العالم يتمنون أن يطبقوا الإسلام ويعم الأمن والاستقرار البلاد، لكن للأسف ما انتظرناه ١٤ عاما لم يتحقق بل حدثت حروب بين المجاهدين فى كابول ومناطق أخرى منها قندهار التى نال منها العنف ولم يكن هناك أمان ولا استقرار، وكان الملا محمد عمر يعمل مديراً لمدرسة فى «مايوان» إحدى مناطق قندهار، وفى يوم الجمعة ١٥/ ١/ ١٤١٥ هجرية الموافق ٢٤/ ٦/ ١٩٩٤ جمع الملا عمر رفاقه فى قرية «كشك نخود» وأعلن قيام الحركة وفى هذا اليوم تم رفع العلم الأبيض وعليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» الذى أصبح رمزا لطالبان.

* مَن المؤسسون؟

ـ الداعي للتأسيس هو الملا عمر وأغلب المؤسسين توفوا، وهناك من لا يزالون على قيد الحياة مثل الملا عبدالصمد ويعمل مدرسا الآن، ومولوي عبدالصمد وهو مسئول بنك في قندهار.

* لماذا لم ينخرط هذان الرجلان في القيادة؟!

ـ نحن في طالبان لا نهتم بالوظائف والمناصب المهم خدمة الحركة في أي مكان.

* وأين كانت القيادات المعروفة الآن مثلا الملا محمد حسن رحماني والي قندهار والملا محمد حسن أخون وزير الخارجية.

* كانت هناك اتصالات معهما، وبعضهم كان في باكستان لكن يوم التأسيس لم يكونا موجودين.

* ماذا حدث بعد التأسيس؟

ـ تطورت الحركة، حيث كان في منطقة «مايوان» قائد يسيطر عليها يدعى حاجي بشر، وقد تحدث معه قادة الحركة وطلبوا منه إيقاف أخذ رسوم مرور وضرائب من الناس فتجاوب معهم بل سلمهم أسلحة قواته وكل شيء لأن الوضع كان سيئا جدا، وكان علماء المنطقة قد أدلوا بفتوى لقادة طالبان بناء على طلبهم بشرعية تأسيس الحركة، وببساطة لقد قال لهم القادة قبل تشكيلها: هل نبدأ بهذه الحركة؟ فردوا عليهم: إنه واجب عليكم، وحاجي بشر تعاون مع طالبان لأنه اقتنع بالفكرة نفسها غير أنه في منطقة مجاورة تسمى «ياشمون» كان هناك قائد يسيطر عليها اسمه «صالح» رفض التعاون مع الحركة وبدأ بالقتال فرددنا عليه وفر من الميدان، وسيطرنا على هذه المنطقة.

* إذن صاحب الفكرة الأولى هو الملا عمر؟

ـ نعم، وقبل نشأة طالبان كان عندما يحاول إقناع رفاقه كانوا يردون: ليست لنا قدرة وكيف نقاتل، فكان يرد عليهم بقوله: نتوكل على الله، والتوكل قسمان: توكل

مـع وجود الأسـباب وتـوكل دون هـذه الأسبـاب، وكان رأيـه مع الـنوع الأول عـن التوكل.

* يوم التأسيس هل كنت موجودا؟

ـ لا.. كنت في باكستـان وكنت على وشك التخرج فانتظـرت أياما معدودة حتى تخرجت ولحقت بهم.

* عندما ذهب رجال طالبان إلى القائد «حاجي بشر» كم كان عددهم؟

ـ ٥٠ شخصا تقريبا.

* هل كان بعضـهم من طلبة المدارس الدينـية في باكستان أم الكـل من الدارسين في أفغانستان؟

ـ المؤسسون جميعا كـانوا يقيمون ويدرسون في أفغانستان ولـم يكن بينهم دارس واحد في باكستان لكن كانت هناك اتصالات بين هؤلاء وهؤلاء.

* هل كنت تعرف الملا عمر قبل هذا التاريخ (التأسيس)؟

ـ نعم، فـنحن من المنطـقة نفسها وقـد ذهبت إليه قـبل ذلك بحوالى عـام ونصف العام أو عامين.

* ما هي الأفكار التي دارت بخلدكم قبل نشوء الحركة؟

ـ أنت لا تتـصور كيف كان الـوضع في أفغانـستان خاصـة في قندهار وأفـكارنا كانت مختلفة فـالبعض كان يدعو لحركة سياسية والآخر يريـد حركة عسكرية وكان على رأس هؤلاء الملا عمر.

* هل كان في ذهنكم من البداية أن يصبح الملا عمر قائدا لطالبان؟

ـ كان زعيـما من أول لحظـة وهو الذي تعـرف على العـلماء بوصـفه أميرا لـهذه الحركة (قبل يوم التـأسيس)، ومن كان يريد الانضمام إلى طالبان بـعد التأسيس كان يذهـب إليه وهو الـذي كان يوزع المهـام على الجمـيع، وقبل نـشوء الحركة أو حـتى التفكير فـي ذلك كان معروفا بشجاعتـه وسداد تصويبه على الدبابـات، لقد كان من أكبر القادة الميدانيين للحزب الإسلامي ــ جناح يونس خالص.

* قرأت ما يفيد أن أغلب قادة طالبان الآن كانوا أيام الجهاد ينتمون لحزب خالص أو حركة الانقلاب الإسلامى بزعامة مولوى محمد نبى محمدى؟

ـ لقد كان الطلاب موزعين على جماعات مختلفة وإن انخرط كثير منهم فى حزب خالص وحركة محمدى، غير أن ذلك لا يعنى اقتصارهم على هاتين الجماعتين، فعلى سبيل المثال القائد محمد نسيم كان من قادة حزب قلب الدين حكمتيار (الحزب الإسلامى) وقد استشهد فى مزار الشريف قبل حوالى عام وكان يشغل منصب وزير الزراعة.

* هل كان فى ذهنكم وقت النشأة تطبيق الشريعة الإسلامية أم كان الهدف فقط توفير الأمن والاستقرار؟

ـ عندما جرى استفتاء العلماء بشأن إنشاء الحركة كان الأمر يتعلق أساسا بتطبيق الشريعة وهذا كان هدفنا الأول.. لقد كان الوضع سيئا والسبب تغييب الشريعة، وعلى سبيل المثال كان اللواط منتشراً بل إنه كان شيئا عاديا وحتى بين قيادات من كانوا يوصفون بالمجاهدين فى السابق!

* هناك اتهام شائع عن إيحاء باكستان لكم بتشكيل هذه الحركة عن طريق جناحى جمعية علماء المسلمين اللذين يرأسهما مولانا فضل الرحمن ومولانا سميع الحق ووفقا لهذا الاتهام فإن المخابرات الباكستانية بدأت تدعمكم بعد النشأة.. ما ردكم؟

ـ لقد نشأت الحركة فى قلب ولاية قندهار ـ كما أسلفت ـ وليس فى منطقة «سبين بولدك» الأفغانية المتاخمة لباكستان حسب بعض الشائعات، ولم تكن هناك اتصالات مع باكستان، وقد انتشرت هذه الشائعات بعد أن وصل مقاتلونا إلى «سبين بولدك»، وفى الواقع لم تكن هناك اتصالات مع باكستان فى هذه المرحلة مطلقا.

والسبب الرئيسى لهذه الاتهامات أنه بعد سيطرة الحركة على قندهار كانت هناك قافلة باكستانية فى طريقها إلى تركمانستان فحدث صدفة أن فتح الطريق فمرت القافلة بأمان وكانت طالبان قد سيطرت على المسافة بين «قندهار» و«سبين بولدك».

* قيل إن باكستان منحت طالبان هذه القافلة؟

- هذا لم يحدث أبدا!

* والعلاقات مع جمعية علماء الإسلام؟

- القول بأن طالبان خرجت من حجر جماعتي فضل الرحمن وسميع الحق لا يطابق الواقع، صحيح أن تفكيرنا واحد بمعنى أن هناك اتفاقاً على دراسة الشريعة وتطبيقها لكن هذه مسألة منهاجية وليس اتفاقا مباشرا، أما اتصالاتنا مع باكستان فبدأت بعد السيطرة الكاملة على ولاية قندهار.

* نعود إلى تطور الحركة.. ماذا حدث بعد ما سيطرت على منطقتين في قندهار؟

- عقب السيطرة على المنطقتين استولينا على «سبين بولدك» ثم منطقة أخرى في ولاية قندهار ثم مطار قندهار ثم المدينة ذاتها وبذلك أصبحت الولاية كلها بين أيدينا.

* كيف سارت التطورات بعد ذلك؟

- لقد كان لنا مؤيدون منذ البداية في جميع الولايات وبعدما رأوا استتباب الأمن والاستقرار في قندهار بدأوا ينضمون إلينا.

وبعد ذلك شكلنا «جيشا» من ٣١٣ مقاتلا وأرسلناه إلى ولاية «روزجان» المجاورة لقندهار فحاربنا بعض الجماعات هناك والبعض استسلم المهم استولينا عليها، ثم شكلنا «فرقة» أخرى بقيادة الملا محمد رباني (رئيس حكومة طالبان حاليا) وأرسلناها إلى ولاية زابل (المجاورة لقندهار أيضًا) وسيطرنا عليها، وكان في الوقت نفسه هناك محادثات مع أبناء ولايات أخرى مثل هلماند وهي ولاية كبيرة وكان فيها قائد كبير يسمى ملا غفار رفض الاستسلام وقاتلنا ثم فر منها واستولينا عليها وتزايد عدد الطلاب الذين ينضمون إلينا، وعندما وصلنا إلى ولاية غزني (شرق ولاية زابل) انضم إلينا قائد كبير كان يدعى «قومندان خيال» وكانت معه قوة كبيرة غير أننا تقاتلنا مع قائد آخر لكنه فر، ودانت لنا السيطرة على غزني إثر آخر معركة وكان يقودها حكمتيار بنفسه وفر وأعوانه بعد هزيمة مقاتليه.

* قرأت أن الرئيس المخلوع برهان الدين ربانى أرسل لكم مساعدات لكى تقاتلوا حكمتيار فهل هذا صحيح؟

ـ نعم.. فقد كان العداء مستعرا بين ربانى وحكمتيار، وكان هناك قتال بين حزبيهما والكثير ممن قاتلناهم فى البداية هم من حزب حكمتيار، وقد أبدى ربانى فرحا لذلك حتى أنه أرسل طائرة محملة بالنقود من هرات (ولاية متاخمة لإيران فى الغرب) إلى ولاية هلماند بعد سيطرتنا عليها (من الممكن تصور ملء طائرة بالنقود الأفغانية فالمائة دولار على سبيل المثال تساوى ما حجمه ٢ كيلو جرام من الروبيات)، وقد رفضنا استلام هذه النقود وعادت الطائرة بها لأننا لو أخذناها لاتهمنا الجميع بالولاء لربانى والتبعية لحزب، دون آخر.

* متى بدأت الحرب مع «الجمعية الإسلامية» حزب ربانى؟

ـ كانت معظم الولايات تابعة اسميا للجمعية لكن لم تكن له سيطرة مباشرة عليها فكل ولاية أو منطقة كانت بمثابة دولة مستقلة، وقد بدأ القتال مع قوات ربانى قرب كابول بعد مقتل عبدالعلى مزارى زعيم حزب الوحدة الشيعى فى «شاراسياب» شرق العاصمة وهزيمة قوات حكمتيار هناك.

* وماذا حدث بعد اقترابكم من كابول؟

ـ كان والى هرات إسماعيل خان قد بدأ القتال ضدنا وأخرج قواتنا من المناطق القريبة له حتى أوصلنا إلى «هلماند» وفى الوقت نفسه كان هناك قتال قرب كابول، بعد ذلك سيطرنا على ولايتى نيمروز وفراه، غير أن أعداءنا الذين سبق أن فروا من أمامنا تحالفوا مع إسماعيل خان الموالى لربانى، وأخرجونا من هاتين الولايتين حتى وصلوا إلى منطقة جريشك فى قلب هلماند لكننا عدنا فامتلكنا زمام الأمور حتى سيطرنا على هرات نفسها وكذلك على ولاية «بادغيس» المجاورة لها وولايات أخرى وتقدمنا أكثر باتجاه كابول لكن قوات أحمد شاه مسعود التابعة لربانى وضعت الألغام أمامنا فاتجهنا شرقا نحو ولاية «ننجرهار» وسيطرنا عليها بما فى ذلك عاصمتها «جلال آباد» ثم استولينا على ولاية «كونار» المجاورة، وبعد ذلك اتجهنا إلى كابول من الشرق ووقعت معركة ضارية مع قوات الجمعية فى «سروبى» حيث

استشهد ملا بورجان أحد أبرز قادة الحركة، وفي ذلك حين تحالف الجميع ضدنا بما في ذلك الجمعية بزعامة رباني والحزب الإسلامي بزعامة حكمتيار والجنرال عبدالرشيد دوستم قائد الميليشيات الأوزبكية وبعد سيطرتنا على كابول فتحنا ولايات أخرى مثل بروان وكابيسا وخدعنا الجنرال عبدالملك وقال إنه انضم إلينا ودخلنا ولايتي فارياب وجوزجان حتى وصلنا إلى مزار الشريف حيث انقلب علينا بتحريض من إيران، وخسرنا بعض الولايات ثم استرددناها مرة أخرى، وبعد فتح باميان في شهر سبتمبر (أيلول) الماضي، ليس هناك وجود سوى لقوات رباني التي تسيطر على أجزاء من ولاية بادخشان وولايات بروان وكابيسا ولغمان وجزء من ولاية كابول وآخر من ولاية تاخار.

* البعض غير مقتنع بنفيكم المتكرر لعدم حصولكم على أسلحة من الخارج خاصة باكستان؟

ـ أفغانستان لا تحتاج إلى أسلحة فهي مليئة بها ومنها ما هو موجود من عهد ظاهر شاه، وخلفه محمد داود ثم ما جاء به الروس وما امتلكه الشيوعيون بما في ذلك الدبابات والطائرات والصواريخ، ونحن كنا نشتري في البداية بعض الأسلحة من داخل أفغانستان وأسعارها كانت رخيصة، لكن أغلب أسلحتنا حصلنا عليها من أعدائنا بعد إلحاق الهزيمة ببعضهم واستسلام البعض الآخر.

* نذهب لموضوع آخر، يقال إن نسبة الأمية في أفغانستان تصل إلى ٩٠٪ خاصة بين النساء، فماذا فعلتم لهن، وما هو موقفكم من التعليم بشكل عام بعد أن سمعنا أنكم أنشأتم ألف مدرسة دينية؟

ـ لقد دمرت أفغانستان خلال الحرب وقد فعلنا الكثير من أجل التعليم في أفغانستان لقد أنشأنا الكثير من المدارس لكن هناك دعاية مضادة لنا بأننا لا نعلم النساء، هناك فرق بين نظامنا التعليمي وما يحدث في الغرب نحن نفصل بين الجنسين وما يفعله الغرب ليس تعليما، وإذا كان الغرب ينشر هذه الدعاية ضدنا فماذا فعل لأفغانستان هل بنى مدارس فيها؟!

لا توجد لدينا مدارس كافية للأولاد فكيف نوفر مثل ذلك للبنات، هناك عادة في

أفغانستان البنات يذهبن إلى إحداهن ويتعلمن على يد معلمة.. إننا لسنا ضد تعليم النساء.. ليس اتجاهنا لكن الغرب لا يريد أن يفهم أى نوع من التعليم نريد!

* لكنكم تبنون مدارس دينية ولا تهتمون بالتعليم العصرى؟

- طالبان ليست ضد أى نوع من التعليم بما فى ذلك العصرى، لكننا نراعى حاجات أبناء الشعب الأفغانى، وعلى سبيل المثال بدأنا مؤخرا دراسة طبية للنساء وأطراف العملية التعليمية جميعا نساء وهن يرتدين البردة (الحجاب الأفغانى)، إننا لا نريد نساء لقيادة الطائرات أو عاملات للماكينات الثقيلة ومن ثم لا نخرج هؤلاء!

إن حاجتنا للتعليم الإسلامى أساسية، وهناك حاجات أخرى نلبيها بالتدريج، ولدينا جامعات تدرس العلوم الحديثة، وعلى سبيل المثال فى «قندهار» هناك كليات للطب والزراعة والهندسة وكذلك فى هرات وجلال آباد أيضًا، وليس لدينا إمكانات لبناء الجديد لكننا نحاول، وقد أنشأنا ثلاث مدارس للبنات فى قندهار.

* ماذا عن نظام الشورى لدى طالبان؟

- لدينا مجالس متعددة للشورى الآن، ونسعى لأن يكون هناك فى المستقبل القريب مجلس شورى على غرار ما هو موجود فى السعودية حاليا، حيث سيعين أمير المؤمنين (الملا عمر) أعضاءه، ويمكن أن يتم اختيار مجلس شورى بالانتخاب فى المستقبل، وأمير المؤمنين يستمع إلى الشورى وملزم بالتشاور مثل الصحابة رضى الله عنهم، غير أن الشورى غير ملزمة فإذا رأى رأيا مخالفا لمن يشيرون عليه فهو يأخذ به والكلمة النهائية له.

* كيف تديرون أفغانستان بعدما انتقلتم من الحركة إلى الدولة؟

- طالبان حركة وليست حزبا سياسيا، وقد كنا كذلك حتى «فتح» كابول حيث «انتقلنا» إلى دولة إسلامية وبعد السيطرة الكاملة على أفغانستان سيكون هناك نظام مختلف ليس ديمقراطيا ولا ملكيا، وكما قلت سيكون هناك مجلس شورى عام سيجرى اختياره بين الأفغان لكننى أشدد، لا نريد الديمقراطية الغربية أو النظام الملكى!

* كيف تتم التعيينات فى المناصب الآن؟

- نحن الآن فـى مرحلة مؤقتة بالنسبة للحكومة، غير أننا نحاول تجنب أخطاء الحكومة السابقة التى كانت تعطى المناصب لغير أهلها، وتوجد خطوات لاختيار المسئولين، فذوو المناصب العليا يختارهم أمير المؤمنين وهؤلاء يختارون معاونيهم ومرؤوسيهم وهم أحيانا يوصون أمير المؤمنين بعزل بعض المعاونين والمرؤوسين وهو قد يستجيب وقد يرفض.

* تتهمكم أمريكا وإيران بزراعة المخدرات خاصة الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون، وهما تقولان إن عائدات هذه المخدرات هى مصدر التمويل الأول لطالبان؟

- أنتم تعرفون أن زراعة المخدرات موجودة فى أفغانستان قبل إنشاء الإمارة الإسلامية، ونحن ضد هذه الزراعة والعامة هم الذين يباشرونها ونحن لا نستفيد من هذا، وإيران التى تتهمنا بذلك وتقول إنها إسلامية لا تعرف شيئا عن الإسلام!

لقد أمرنا الناس بعدم تعاطى المخدرات لكن الزراعة مشكلة بالنسبة لنا فليس لدينا ما نقدمه لمساعدة الزراع كبديل للمخدرات خاصة أنها مصدر دخلهم الوحيد، ولذلك فالزراعة مستمرة إلى أن نجد البديل!؟

* لكن الزراع يبيعونه إلى مافيا أو تجار يهربونه للخارج ويؤذون شعوبا أخرى؟

- نحن مشغولون بالحرب وليس للحكومة أرض تزرع فيها الخشخاش أو غيره، ونحن ليس لدينا وقت لمنع التهريب! نحن نعاقب من يتعاطون المخدرات - كما قلت - ولدينا مسجونون بهذه التهمة لكن لا نعاقب الزراع.. إننا نحاول أن نفعل ذلك الشيء لكن خطوة خطوة!

* هل لكم تصور معين بشأن توحيد المسلمين؟

- الوحدة مفيدة للمسلمين لكن توجد مشاكل حيث إن المسلمين غير متضامنين ونحن نرغب فى أن تكون هناك كتلة متماسكة للدول الإسلامية لكن بالسلام

لا الحروب، ونعترف بأن هناك صعوبات تعوق ذلك مثل اختلاف الجنسيات، لكن التفرقة على أساس الجنس ليست من الإسلام فى شىء.

* هل أنتم مصرون على عدم إعادة البث التليفزيونى؟

- لا .. إننا نفكر فى استئناف هذا البث ولكن لا بد من توافر شرطين.. الأول: إيجاد التكنولوجيا التى تجعلنا نسيطر على القنوات الخارجية الفاسدة بحيث لا تصل إلى الشعب الأفغانى. والثانى: يجب أن نعد الشعب الأفغانى لقناتنا التليفزيونية بحيث يدرك ضرورة القيم الدينية التى ستتضمنها برامجنا.

* أنت مقرب من الملا عمر حدثنا عن شخصيته؟

- باعتبارى مستشارا له وتعاملاتى معه أكثر من غيرى، أراه رجلا يتسم بسعة الصدر والشجاعة وهو على الشريعة وهذا سبب احتشاد الناس حوله.

* سمعت أنه يثور ويغضب ويسب من حوله؟

- هو لا يشتم أبدا ولديه القدرة على كظم غيظه إذا غضب من أحد، ومنذ فترة طويلة لم أسمع منه شيئاً يغضبنى، ولا حتى كلمة واحدة غير مناسبة، وهو فى كثير من الأحيان لا يأمر معاونيه مباشرة ولكن يقول ليت أنه يفعل كذا، وهذه صفات حميدة له كزعيم للجماعة، وحتى لا أنسى هو قليل الكلام ولا يحب المجاملات!

* هل هو متزوج ولديه أسرة؟

- نعم، وله خمسة أبناء وبنت واحدة؟

- هل يعلمها؟

- إنها صغيرة!

* هل الملا عمر متزوج من امرأة واحدة فقط أم أكثر؟

- هذه مسائل شخصية تتعلق به هو!

انتهى الحوار مع متوكل ذى العمامة البيضاء، والابتسامة التى يمتص بها الأسئلة العنيدة، مهيئا نفسه لإجابات تبدو شبه مدروسة، وقد قابلت أيضا الملا محمد حسن

رحماني (٤٢ عاماً) ذا العمامة السوداء وهو رجل أميل للتلقائية، ورغم إصابته التي أفقدته إحدى ساقيه فهو موفور النشاط ويبدو بسيطا للغاية، وعندما جاء لزيارتي في دار الضيافة في قندهار وجدني بالمصادفة أتأمل خريطة كبيرة لأفغانستان فابتسم وجلس إلى جانبي بعد أن خلع ساقه الصناعية ووضعها على أطراف الخريطة التي أخذ يتأملها بعمق وكأنه يعيش حلما، وسرعان ما أخذته الأسئلة بعيدا عن خطوط الخريطة، لكن ليس بعيدا عن المكان والزمان، ودارت الأسئلة لتجر وراءها الأجوبة!

وعن نشأة طالبان يقول: بعد سقوط حكومة نجيب الشيوعية ودخول المجاهدين كابول انقلبت الأمور وانحرف قادة الجهاد فقتلوا الأبرياء وسفكوا دماءهم بهدف الوصول إلى السلطة وأخذ المناصب، والطلبة شاركوا في الجهاد وهم الجماعة الطيبة التي تريد تحكيم شرع الله وإقامة حكمه، كانوا كذلك ولا يزالون، وعندما رأى علماء أفغانستان ومعهم الطلبة انحراف المجاهدين وفسادهم فكروا في تأسيس حركة جديدة من الجانبين، وقد تجمعنا حول أمير المؤمنين وعيناه زعيما لهذه الحركة نطيعه في طاعة الله وبدأ الجهاد ضد الشر والفساد.

وحول علاقته بالملا محمد عمر يجيب: نحن كنا نعرف بعضنا البعض كطلاب أيام الجهاد ضد الشيوعيين وكانت علاقتنا قوية، وأنا شخصيا كنت أعرف أمير المؤمنين في السابق ولكن صلتي قويت به أكثر فأكثر حين أسسنا هذه الحركة المباركة، وقد تعارفنا لأننا من ذات المنطقة في قندهار.

وردا على سؤال عن مدى تحقق أهداف طالبان الآن قال: كانت أهدافنا إيجاد الأمن والأمان والإصلاح وحماية حدود أفغانستان وإعمارها من جديد، والحمد لله تحقق الآن ببركة جهاد طالبان ونحن الآن نسعى لبناء ما هدم من مبان وفي جميع المناطق التي بأيدينا تجد السلام، والعمل المستمر.

ويرفض الملا رحماني اتهام طالبان بأنها غير قادرة على تأسيس دولة قائلا: هذه أكاذيب واتهامات باطلة لا أساس لها لأن الطلاب أسسوا منظمة إسلامية تحارب

المنحرفين والأشرار والفاسقين، والحمد لله استطاعوا أن يضعوا الأسس والقواعد للدولة ونظموا شئونها وأصلحوا الإدارات الحكومية.

إن في طالبان شخصيات مثقفة ومتخصصة في مجالات عدة فلا ينقصهم شيء وهم قادرون على هذه المهمة.

وحول سؤال عن اختيار مسئولي طالبان على أساس الولاء لا الكفاءة والتخصص، جاء رده: عندنا في طالبان من لديه مهارة كافية في بعض المجالات الإدارية، وإذا لم تكن عند المسئول مهارة في المجال الذي يعمل فيه فإن هناك متخصصين آخرين في الوزارات والإدارات نستعين بهم ووظيفة المسئول من طالبان حفظ الوزارة أو الإدارة من السرقة والرشي وحينما تختفي مثل هذه الجرائم فمعناه أن العمل مثمر والوزارة تتقدم، ونحن نرى في بعض الدول كيف يسرق الوزراء والمسئولون أموال الشعب ويضعونها في بنوك دول أخرى.

كما رفض رحماني وصف طالبان بالحركة «الباشتونية» وأنها تمارس تمييزا ضد العرقيات الأخرى مثل الطاجيك والأوزبك والهزارة بقوله: الأساس الذي جمعنا في هذه الحركة هو التعليم والتعلم، والطلبة كانوا يتعلمون في المدارس الدينية وعن طريقها وصل إلينا الدين الحنيف، وفي هذه المدارس كان هناك طلبة من جميع الأعراق، وفي طالبان من هو طاجيكي أو أوزبكي أو هزاري، وكلهم في صف واحد يحاربون ضد الشر والفساد، ومعنا من الأوزبك الآن من يحاربون في الخط الأول على سبيل المثال ،وهذه الاتهامات ينشرها أعداء الدين وأعداء طالبان الذين كانوا يظلمون الشعب.

وعن اتهامات منظمة العفو الدولية لطالبان بقتل الآلاف من أبناء العرقيات الأخرى خصوصا الأوزبك والشيعة الهزارة في مزار الشريف لدى الاستيلاء عليها في أغسطس ١٩٩٨ قال: لقد دخلنا مزار الشريف عن طريق الحرب وكان الطرف الآخر يقاتل ويحارب فالذي قتل سقط في الحرب لكن طالبان لم تمارس «القتل العام» هذا كذب صريح، والدليل على أننا لا نقتل الأوزبك والهزارة كعرقيتين؛ وجود كثير منهما في قندهار الآن!

ويضيف: لقد كان فى مزار الشريف من القتل والفساد والزنى ما لا تستطيع تصوره، كان قادة المخالفين (المعارضين) يتزوج الواحد منهم سبع نساء فى نفس الوقت، وما فعلوه من فواحش جعل الشعب المسلم يرحب بطالبان ويقف معها ضد هؤلاء الفجرة.

وفى إطار مسلسل النفى يؤكد الملا رحمانى عدم سعى طالبان لفرض عقيدتها على الآخرين فى أفغانستان خاصة الشيعة بقوله: بالنسبة للشيعة فلا نريد أن يصبحوا سنة فلكل عقيدته ومذهبه، وهناك فى أفغانستان أصحاب ديانات أخرى مثل السيخ والهندوس، ونحن نترك كلا على مذهبه وعقيدته وليست هناك أية محاولة منا لجعل غير المسلم مسلما ولا نجبر أحداً على عقيدتنا أو مذهبنا.

ويرفض رحمانى أية محاولة للمصالحة مع المعارضة قائلا: هؤلاء أسسوا بنيانهم على الفساد والخيانة وهدفنا هو إزالة الفساد ومحوه من أفغانستان ودخولنا معهم فى مفاوضات يعنى أننا نشاركهم الفساد وهذا مخالف لما قمنا من أجله، وهؤلاء أيضًا لا عهد لهم، لقد جلسوا مرارا وأقسموا بالقرآن الكريم فى مكة المكرمة ونقضوا أيمانهم (أجريت مفاوضات بين طالبان والمعارضة فى عشق آباد عاصمة تركمانستان فى مارس ١٩٩٩).

وفى إجابته على سؤال عما إذا انتهت الحرب بانتصار طالبان، هل تهرع لمساعدة «مجاهدين» آخرين فى فلسطين وكشمير وكوسوفو على سبيل المثال؟ قال: الحرب مستمرة فى أفغانستان منذ ٢٠ عاما وقد دمرت خلال تلك الأعوام ماديا ومعنويا، ومهمتنا هى بناء أفغانستان من جديد، ومساعدة المجاهدين هنا، وهناك ليس فى قدرتنا ولا نريد التدخل فى شئون الآخرين أبدا، والآن نحن نواجه صعوبات ومشاكل عديدة ونحن لا نفكر فى البلاد الأخرى، وهناك من يخاف منا دون مبرر وبلا سبب، نحن لن نفكر فى محاربة طاجيكستان أو أوزبكستان أو إيران، نريد أن تكون لنا علاقات طيبة مع الجميع.

وعن تصوره لإعادة البناء فى أفغانستان قال رحمانى: قدمت الإمارة الإسلامية للشعب الأفغانى أحسن الخدمات خلال السنوات الأربع التى مرت منذ نشأة طالبان، ولقد أنشأنا مدارس فى جميع المناطق لتعليم العلوم الدينية الضرورية وحببت طالبان

الإسلام للشعب الأفغاني، وبعد أن تنتهى الحرب سنقوم بخدمة أكبر إن شاء الله، وسوف نبنى أفغانستان بناء سليما ونصلح ما خرب بحيث لا يتصور أحد أنها كانت مدمرة، ونحن نشعر أننا بحاجة شديدة إلى مهندسين وأطباء ومتخصصين آخرين ولدينا عدد من هؤلاء الآن، لكن هناك أعداداً كبيرة خارج البلاد ونحن سندعوهم للعودة لسد النقص الموجود لدينا.

وعن نظام الحكم فى أفغانستان الآن يقول: عندنا فى الإمارة الإسلامية مجلس شورى هو الذى يتخذ القرارات ويفصل فى المسائل العادية، أما الحالات الطارئة والمسائل المعقدة فنستشير فيها أمير المؤمنين ونأخذ برأيه، وأعضاء مجلس الشورى من العلماء كما تعلمون، ويضيف: وإذا توفى أمير المؤمنين لا قدر الله فلدينا قيادات أخرى على كفاءة تامة وسنختار واحدا منها والموت حق، وإذا توفى الأمير الجديد سنختار آخر ،والمسئولون فى الإمارة الإسلامية يفرون من قبول الوظائف ولا يريدون المناصب أصلا، وقد رأينا نتيجة الخلافات بين ربانى وحكمتيار فلن نختلف أبدا إن شاء الله ولن نتقاتل من أجل المناصب، وكل ما نريده أن نظل خداما لهذه الإمارة!!

طـــــالـــــبـــــان

العـمـائـم والخـنـاجـر والأفـيـون

6

كابول
جغرافيا الموت والحياة!

دار الخيّـــال

بعد حوالى أسبوع قضيته فى «قندهار» حزمت أمتعتى وقصدت «هرات» تلك المدينة القريبة من حدود إيران، وقبل أن تغادر السيارة قندهار أدركت كم هى كبيرة هذه المدينة التى يصنع جزء كبير من مستقبل أفغانستان فيها، حيث قدرت أن عدد سكانها لا يقل عن ٥٠٠ ألف أفغاني، المشكلة فى أفغانستان الآن أنه لا أحد يعطيك أرقاما دقيقة لأى شيء ولا تشعر أيضاً بأن هناك شيئا محددا، حتى المقاتلون يترك بعضهم وحداتهم أحيانا ويذهبون إلى ولايات أخرى بعد استئذان قادتهم، وقد يغيب أسبوعا أو شهرا.. لا فرق، فالزمن هنا رخيص وهلامى.. ويبدو أن الحرب قتلت أشياء كثيرة!

الطريق إلى «هرات» هو الأسوأ الذى يمكن أن تراه فى حياتك، وتعجب كيف يمكن للأفغان أن يسيروا فوق دوائر من الأحجار هكذا، وهو خطير أيضاً حيث أغلبه مرتفع عن سطح الأرض ويكاد يكفى سيارتين بالكاد، لكن الكل يضطر لاستخدامه ذهابا وإيابا، ورغم أن طوله ٦٥٠ كيلومترا فقد قطعناه فى حوالى ١٨ ساعة من الرجرجة المتواصلة، وفى الليل تحيى الذئاب السيارات بالعواء المتواصل، والرد هو مزيد من القفز فوق الأحجار!

عندما ألقيت النظرة الأولى على «هرات» فى الصباح بعد ليلة مضنية، بدت شيئا مختلفا تماما عن قندهار، فالشوارع أكثر اتساعا وقد احتضنت الأشجار الباسقة،

والبيوت فى ملامحها لمسات من جمال وحتى الناس يبدون هادئين أكثر، ولأول مرة أرى أناسا يسيرون حاسرى الرأس هكذا بلا قلنسوة أو عمامة، ورغم أن الكل ملتح إلا أن هناك من اللحى ما هو دون قبضة اليد.. «الطول الشرعى» الذى أقرته طالبان، ورأيت فى هرات صورا لبشر وهو ما لا يمكن أن تجده فى قندهار، كما أن رجال طالبان ليسوا منتشرين فى شوارعها مثلما هم فى «دار الخلافة».

بل إننى رأيت الكمبيوتر «تحت التشغيل» فى هرات.. لأول مرة، حيث إننى شاهدت جهازا فى قندهار لكن يبدو أن استخدامه قليل، ففى مقر رئاسة الإعلام فى هرات رأيت صحافيى جريدة «اتفاق إسلام» يكتبون الأخبار والتحقيقات باستخدام هذا الجهاز الذى يعنى مجرد وجوده فى أفغانستان شيئا كبيرا!

كانت الإقامة فى هرات قصيرة لم تتجاوز يوما ونصف اليوم، زرت خلالها مدرسة تمولها اليونيسكو اسمها «مدرسة الإمام أبى حنيفة»، وكما هو ظاهر من الاسم فهى مدرسة دينية، ورغم أننى لم أجر حوارا مع التلاميذ يتجاوز ما يمكن أن نصفه بـ «الدردشة» فإنهم بدوا أقل احتشادا لفكرة الجهاد المسيطرة على طلبة مدرسة «أمير المؤمنين» فى قندهار خاصة أنهم أصغر سنا بكثير ومعظمهم من اليتامى، وكان ترحيبهم بنا حميما مؤثرا، ولم يصنفونى فى فئة «الشياطين»!!

والأماكن الأثرية القليلة التى تمكنت من زيارتها فى هرات بدت مدهشة بتزاوج فنون إيران وآسيا الوسطى وأفغانستان فيها، وتذكرت وأنا فى هذه الأماكن أن الإسكندر الأكبر مر بهذه المدينة حيث بنى قلعة وأن جنكيز خان دمرها لكنها هزمت الخراب، وأثناء الحرب ضد الشيوعيين والروس قتل الآلاف فى يوم واحد فى مذبحة مروعة تشهد عليها مقبرة ضخمة جماعية يطل عليها الآن موقع عسكرى لرجال طالبان عندما زرته أدهشنى رجل عجوز سبعينى له تاريخ فى الحروب وهو الآن يقاتل تحت إمرة طالب فى عمر أحفاده!

جاءت الزيارة لهرات فى وقت كان التوتر على أشده بين إيران وطالبان ومع ذلك فلم تبد هرات ـ التى تبعد ١٢٠ كيلومترا عن الحدود الإيرانية ـ نقطة ساخنة أو مقرا

محتملا لمعركة آتية، بل إن سكانها ينظرون إلى التهديدات بالحرب كسحب داكنة قد يطول عبورها لكن الآمال في تبددها كبيرة.

بدت لي هرات في حالة تفاعل يومي مع كل ما هو إيراني سواء باللغة الفارسية السائدة في مجمل الولاية المسماة «هرات» أيضا أو البضائع الإيرانية التي كانت لاتزال موجودة في الأسواق رغم إغلاق الحدود قبل عدة أسابيع، أو الريال الذي ظل الممثل الرسمي الوحيد لإيران.

ولم يكن هناك سوى القليلين يخشون الحرب، وفي كل مكان تزوره تجد إطلالة أو بريقا للحضارة الفارسية، وحتى في المطعم الفخم (بالمقاييس الأفغانية) الذي أخذني إليه أحد مسئولي طالبان كانت المرايا ذات النقوش الفارسية واللوحات المذهبة تشي بالجيران الذين أصبحوا أعداء خلال شهور وربما أسابيع، وهنا يمكن أن نلحظ كيف يهزم الود والتزاوج القديم العداوة المستحدثة!

وفي هرات أيضا قضيت أجمل ليلة في أفغانستان في منزل نور محمد ممثل وزارة الخارجية هناك .. إنها فيللا جميلة بها حديقة غناء ولأول مرة تعرف عظامي «طعم» الأسرة بعد أيام من «النوم الجهادي» في قندهار، واستمتعت أيضا بطعام دسم «غير جهادي» أيضا، وحمدت الله على النعمة حتى لو كانت ليلة واحدة. وكنت قد استبقت النوم بجولة في المدينة في مستهل المساء الذي جاء ناعما ومسترخيا ومؤذنا بفراق سريع، حيث العشاء يعني غروب مظاهر الحياة، وبعد الصلاة الأخيرة يجيء النوم الذي لم تقلقه الحشود الإيرانية القريبة من الحدود، وخلال الجولة رأيت تحفا وسجادا يستلب العينين والعقل، حيث التاريخ يعيش مفتخرا ومرفوع الهامة ومجد العصور الغابرة يعلن عن نفسه في بقاياه .. في نقش على أناء أو زخرفة سجادة أو مئذنة أو منبر وحتى حائط نالت منه القذائف لكن بقي كالمقاتل القعيد، يتحدث عجزه عن بطولته!

المهم كان علينا أن نغادر هرات إلى كابول بالطائرة، وركبنا حافلة من المدينة إلى المطار خارجها، وأذهلني أن سائق الحافلة الحاسر الرأس ذا اللحية القصيرة قام بتشغيل جهاز كاسيت يبث أغاني تصاحبها موسيقى رغم وجود بعض رجال طالبان

بين الركاب، ومع أن الضيق بدا على الوجوه إلا أن المطرب واصل الغناء بالفارسية أو بمعنى أدق لهجة «الدارى» وساعتها تذكرت مقالا لصحافى بريطانى زار هرات ووصفها بأنها «مدينة ثقافية»، وفى كل الأحوال فالتاريخ يبقى وإن اختصر فى بعض الملامح، خاصة أن هرات لاتزال نقطة تلاق بين إيران وأفغانستان وجمهوريات آسيا الوسطى على الأقل فى التجارة حيث أكثر بضائع المدينة قادمة من إيران وتركمانستان.

وصلنا المطار الذى هو مثل معظم مطارات أفغانستان مدنى وحربى معا، وتوقعت أن تكون الطائرة من الأنواع القديمة مثل «توبوليف» الروسية التى كثيرا ما تتحطم فى دول الاتحاد السوفييتى السابق، لكننى ذهلت عندما وجدت أن الطائرة التابعة لشركة الخطوط الجوية الأفغانية (إريانا).. هذا هو اسمها منذ عهد الملك ظاهر شاه هى من طراز بوينج ٧٤٧.. وهى أيضاً جديدة، لكن الشركة بأكملها تعمل «بالتوكل على الله» كما قال لى أحد المضيفين مشيرا إلى الحرب والأخطار التى تتهدد رحلاتها الداخلية.. والخارجية وهى قليلة!

وعندما صعدت بنا الطائرة إلى السماء بدت أفغانستان مجموعة من الجبال والهضاب والتلال، التجمعات السكنية فيها مثل نقاط صغيرة، والطرق كخيوط العنكبوت، وفى الطائرة دار حوار قصير مع أحد العاملين على متنها الذى تحسر على الماضى خاصة عهد نجيب الله الذى كانت فيه الشركة أفضل كثيرا مما يماثلها فى دول مجاورة على حد قوله.

وشكا الرجل من قلة الراتب الذى يتقاضاه الآن ويبلغ حوالى ٦٠٠ ألف روبية أفغانية أى ١٦ دولارا ونصف الدولار تقريبا، وحسب قوله فقد كانت الشركة فى عهد نجيب الله تمتلك ١٨ طائرة أما الآن فما لديها سوى ٤ طائرات فقط، ورغم أنه لم يظهر معارضة صريحة لطالبان إلا أنه أبدى حزنه لأن زميلاته المضيفات منعن من العمل، وابتسم ابتسامة ذات مغزى وهو يقول إن طالبان تنظم لأطقم الطائرات وجميعهم من عهد الشيوعيين دروسا دينية، وقد أجبروا على إطالة اللحى، لكنه اعتبر عمله واجباً لخدمة الشعب الأفغانى!

وفى الطريق إلى كابول هبطت الطائرة فى قندهار وركب بعض مسئولى طالبان

ومنهم من التقيته من قبل لكن حديث الجو مقتضب والصحافي يظل صحافيا وليس مسئولا، ومن أطرف ما رأيت أن راكبا أراد النزول في مطار قندهار لأمر ما فرفض طاقم الطائرة حيث إن لديه تذكرة لكابول، وهو فعلا يريد الذهاب لها، لكن أراد النزول والسلام على ما يبدو لي، وتحادثت قليلا مع أحد الركاب فقلت له إنني قابلت الملا عمر. فقال : قد حرمت النار عليك!!

حامت الطائرة فوق كابول التي بدت مدينة كبيرة ونزلت بالقرب من طائرات عسكرية بعضها معطوب، والآخر يبدو كذكرى باهتة، والآن نحن على أرض الخطر حيث صواريخ أحمد شاه مسعود كثيرا ما تضرب هذا المطار، أخذنا حقائبنا واتجهنا إلى منزل ملا أمير خان متقي وزير الإعلام في قلب المدينة حيث دعينا لقضاء ليلتنا هناك من قبل مسئولين إعلاميين في طالبان قبل الذهاب إلى وزارة الخارجية وعمل الإجراءات الخاصة بتسجيل الصحفيين في اليوم التالي.

الليلة الأولى في كابول كانت مظلمة حيث انقطعت الكهرباء، لكن حديثا مفيدا دار في بيت وزير الإعلام الذي يعيش معه فيه الكثير من المسئولين في الوزارة وبعض الإعلاميين الآخرين، وعرفت أن البيت وهو فيللا قديمة مواجهة لمقر الأمم المتحدة كان مقرا لقلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي يوما ما، ومن قبل كان مقرا لوزير في حكومة نجيب الله وهو يعود لعهد ظاهر شاه حسبما أبلغني أحد رجال طالبان، وسبحان من له الدوام!

وفي هذا البيت دار حوار مع اثنين من مسئولي طالبان أحدهما يعمل في وزارة الخارجية والآخر في وزارة الإعلام، بدأت الحوار بسؤال بسيط عن رأس غزال مثبت في حائط على درج البيت، وكان رد مسئول الإعلامي السريع وعمره ٣٠ عاما: هذا صنم ولو كان الأمر بيدي لكسرته، وقبل أن أسأله لماذا؟ استكمل حديثه قائلا: هناك أدلة شرعية وأحاديث صحيحة تؤكد ضرورة هدم مثل هذه الأصنام، وأضاف: هذه مثلها مثل التصاوير تشيع الفاحشة.. ومثل الأفلام الهندية!

غير أن مسئول الخارجية اعتبر أن كلام مسئول الإعلام لا يعبر عن رأي طالبان، قائلا: «في عهد رباني سرقت الآثار ودمرت، أما الآن فنحن نجمعها ونحتفظ بها ونريد إصلاح ما يلزمه الترميم ونستعد لفتح متحف كابول!

لم يطل الحديث، وتسلل إلينا النوم سريعا، وفى الصباح ذهبنا إلى قلعة «بالاحصار» التاريخية وبها مواقع عسكرية لطالبان لكنها لم تعد قلعة.. بالإمكان أن نسميها بقايا.. أنقاض.. خرائب.. إنها تجسيد حي للدمار الذى لحق بكابول فى معارك المجاهدين بعد الاستيلاء عليها فى أبريل ١٩٩٢، حتى الشجر القليل الباقى وسط رماد المعارك يبدو متكسرا وغريبا كنباتات شيطانية.. تهدم الكثير من جدران القلعة بقذائف حكمتيار عندما كان يريد الاستئثار بكابول وطرد أحمد شاه مسعود منها، لكن بقى الرمز، اللوحة التذكارية للقلعة التى تقول بالنص «هذه القلعة العريقة هي مقر سلاطيننا وأجدادنا المشهورين، دمرت بسبب قتل «كيو كنارى» سفير بريطانيا سنة ١٢٥٨هـ وظلت هكذا ٥٥ عاما لكن فى عهد نادر شاه، وفى المؤتمر الملكى الرابع عام ١٣١٢ هـ بعون الله عز وجل أعيد بناؤها من جديد، وأنشئت المدرسة الحربية الكبيرة ليدافع أبناء أفغانستان عن أمجادهم وليعيدوا بطولاتهم وليكونوا عبرة لأبنائهم فى المستقبل»، قرأ علىّ المترجم هذا النص وسط دهشة اثنين من رجال طالبان رافقانا فى بقايا القلعة، وبدا التاريخ بالنسبة لهما شيئا بعيدا وثمة هوات سحيقة بين الملا محمد عمر ١٩٩٨ ونادر شاه الذى قتل أول حاكم طاجيكى فى تاريخ أفغانستان الحديث ويدعى ابن السقا بعد ستة أشهر فقط من توليه السلطة فى ثورة شعبية، كان ذلك فى ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٢٩ قبل أن يلقى نادر شاه نفس المصير بعد ٤ سنوات فقط.. إنه تاريخ مكتوب بالدماء وقلعة «بالاحصار» هى سطر واحد فقط من الحكاية!

تركنا «بالاحصار» إلى منطقة «بغلى مروان» التى شهدت معارك طاحنة بين القائد الأوزبكى عبد الرشيد دوستم وحكمتيار وتحولت منازلها إلى خرائب وتحولت فى ظل عدم توافر الصرف الصحي فى كابول إلى دورات مياه مفتوحة!

وبالقرب من هذه المنطقة مررنا بمسجد «بول خشتى» وهو أقدم مساجد كابول، فقد أعيد بناؤه مطلع القرن العشرين فى عهد أمان الله خان، ويقال إنه يعود إلى القرن الأول الهجرى - والعهدة على الراوى!

قادتنا جولتنا فى كابول إلى زيارة حديقة الحيوانات التى تعكس بوضوح أحوال الكائنات الحية جميعا فى العاصمة الأفغانية.. والنظرة السريعة أتاحت لنا رؤية دببة

تبدو متهالكة جائعة وقردة تعشش فى أجسادها الحشرات، وأسد يرفض الخروج من القفص سواء بالصياح أو المداعبة أو حتى الطوب الذى يلقيه بعض الصبية، أما النهير الذى يتاخم الحديقة فهو حمام سباحة شعبى للأطفال وليس للحيوانات المائية، ومن الداخل بإمكانك أن ترى أثرا لصاروخ أطاح بجزء من الحديقة ومع قلة الحيوانات فيها تستطيع أن تتخيل كم من أشقائها شارك ضحايا كابول من البشر المصير والنهاية!

ذهبنا إلى مقر الإقامة ،المجبر الصحافيون على السكن فيه.. فندق الكونتيننتال، ورغم أن الصواريخ لم تترك أثرا فيه أكثر من تحطيم زجاج الأدوار العليا فهو شبح فندق ٥ نجوم، وكيف يمكن أن تذكر هذا الرقم فى فندق بلا أجهزة تليفزيون وثلاجات والفراش الذى «ينام» فى أغلب العام وحيدا فى الغرفة عمره من عمر بعض «رجال» طالبان، ولقد بقيت فى الفندق أياما من دون نزلاء سوى المترجم وصحافى يابانى نحيف لا يرى فائدة من الحديث مع أى مسئول، وعندما سقط صاروخ بالقرب من الفندق وقد رآه وهو يعبر المجال الجوى للكونتيننتال الذى بنى فى السبعينيات ليلا، حمل الكاميرا واصطحب المترجم ليسجل سبقا صحفيا، لكن السكان الغاضبين من التصوير كادوا أن يفتكوا به لولا أن أنقذه رجال طالبان من أيديهم، ومن حظه السيىء أن هذا الصاروخ الذى دمر سوقا صغيرة مكونة من طابقين بجوار سينما مهجورة تسمى «بهارستان» هى الآن مقر لطالبان، أحدث أسوأ الخسائر البشرية منذ شهور طويلة، حيث سقط فيه أكثر من مائتى قتيل وجريح، فكان كارثة لا تصيب بالغضب فقط ولكن الهستيريا، و«المخالفون» دائما أعداء!

وعندما ذهبت فى الصباح لتفقد موقع الصاروخ كانت الأشلاء قد جمعت فى أوان بلاستيكية، ورجال الإنقاذ يعملون بهمة بين الأنقاض، لكن الحزن والخوف كانا متواريين فى العيون التى خاصمتها الدموع.. مرة واحدة فرضت الدموع نفسها عندما كنت أتحدث إلى رجل فقد اثنين من أبنائه وأخاه فى الحادث حيث غلبته هذه الدموع، وإن غلبها فى النهاية!

وفى ظل موجة صواريخ أطلقها أحمد شاه مسعود تزامنت مع عقد مؤتمر مجلس

الشورى الموسع أو أهل العقد والحل، بدا سكان كابول كأنهم يتعاملون مع شيء متوقع ومنطقي وطبيعي، لا خوف لا هرب.. الحياة تفرض تفاصيلها.. البيع والشراء.. العمل في المصالح الحكومية.. المطاعم التي تتسابق لخطف الزبائن من الشوارع.. وجيوش المتسولين من الصبية والنساء الذين يخوضون عمليات مطاردة للمحسنين المستهدفين تبدو أقرب للقتال في الإصرار وعدم اليأس، فمن الممكن أن يتبعك طفل أكثر من كيلومتر طالبا وملحا ومثابرا حتى تنفحه ورقة بـ ٥٠٠ روبية يحتاج لأربعة أمثالها حتى يشتري رغيفا! أما إذا بدا المحسن مستسلما لأول طلب فقد يجد نفسه وسط «زفة» لابد أن توزع فيها «الغنائم»، وإلا فعليه أن يهرب في أقرب تاكسي إلى أي مكان، فالحرب دائما تفرض الهرب!

في الكونتيننتال كانت الليالي طويلة تجللها الوحشة والهواجس، وعندما طالعت صورة الفندق بعد إنشائه، شعرت أن النزلاء «يسكنون الذكرى» ولها بعض التفاصيل مثل حمام السباحة الذي تحول إلى حفرة تشبه آثار الصواريخ، والبار الذي بقي اسمه فقط بالإنجليزية ومكتب شركة الخطوط الجوية الروسية (إيروفلوت)، وبعض الموظفين القدامى الذين أبقت لهم لغتهم الإنجليزية لقمة العيش!

كانت الإقامة في كابول مغامرة، رغم مطعم قندهار القريب من وزارة الإعلام الذي اختطفنا من أول يوم واستحسنا طعامه وربطت الألفة بيننا وبين عماله وصاحبه وهم من الأوزبك، حتى الشرائط التي تنشد لطالبان وتبث كلمات الولاء للحركة أصبحت جزءا من طقوسنا اليومية على مدى ٨ أيام قضيناها في كابول ومنها النشيد الذي يشيد بملا بورجان أحد قادة طالبان العسكريين الكبار الذي قتل قبل يوم واحد من استيلائها على كابول في ٢٧/ ٩/ ١٩٩٦ تقول كلمات النشيد:

عيوني تشعل الشمع على قبرك

ولا أطيق فراقك أيها الشهيد الغالي

الدنيا غير وفية للإنسان وعمره كالريح

كان شابا جلدا وفارسا مغوارا

كأنه أسد في الحرب ضد الفساد

حتى لو قتل الألوف فالعاشق يبكى

على زهرة واحدة فى كل البستان

لكنى آمل أن تنعم فى الجنة!

هذا ما كان فى المطعم الذى جعلنى أشعر بأن قندهار تلاحقنا فى كابول، والحقيقة أن يد تلك المدينة الجنوبية البعيدة هى التى تمسك بالعاصمة فى مواجهة اليد الأخرى التى تريد انتزاعها.. يد أحمد شاه مسعود أسد بانشير القائد الوحيد الذى صمد فى وجه طالبان فى حين تهاوى الآخرون مثل دوستم وحكمتيار وعبدالعلى مزارى زعيم حزب الوحدة الذى قتل فى ظروف غامضة بعد أن أسرته طالبان فى شهر مارس (آذار) ١٩٩٥ قرب كابول.

الصدفة البحتة قادتنا إلى جبهة القتال مع مسعود أو بمعنى أدق موقع لطالبان يبعد كيلومترين فقط عن قواته ،كنا نبحث عن مسئول كبير فى الحركة فقيل لنا فى هذا الموقع وذهبنا فى حراسة رجال طالبان، ولم أكن أعرف إلى أين، وللوهلة الأولى لم أشعر أنى فى جبهة قتال رغم المدافع المنصوبة والكلاشينكوف التى فى الأيدى، حيث المقاتلون يعيشون أجواء أقرب إلى فصول المدارس وقت الفسحة أو فى ظل غياب الأساتذة، كان الليل قد حل لكن بلا خوف أو كآبة.

لم تكن هناك فرصة لأحاديث مفصلة مع الطلاب المقاتلين لكن بعضهم كان يسألنى عن البلدان العربية، ولا أنسى سؤالا لطالب يدرس اللغة العربية تعجب لأن العرب يتكلمون بلهجات مختلفة.. كان يسأل عن السبب وأبدا حزنا لأننا أضعنا لغة القرآن، ولم يتسع الوقت للجواب المر!

خرجت من نصف ساعة قضيتها فى الموقع بانطباعات بسيطة.. الكل يقولون إنهم سعداء لأنهم يقاتلون ولا يخشون قوات مسعود، وبلغة جهادية تشبه النقش على الحجر يضعون مصيرهم بين كفتين النصر أو الشهادة، ووقت تناول الطعام كانت تلوح ابتسامات من آخر الحلقة أو أولها كأنهم فى هدنة مع الاستعداد القتالى!

غادرنا الموقع فى ليل مخيف، لكن الخوف تبدد شيئا فشيئا مع الاقتراب من احتواء كابول تلك المدينة التى شغلت العالم وبقيت مشغولة بحربها وسلامها

المتعايشين، وعندما تتأمل أسواقها ولغط البيع والشراء تشعر أن الصواريخ التى تتساقط ككرات السلة فى الملعب هى فى مدينة أخرى. إنه موت بلا خوف وحياة لا يستوقفها الموت!

فى أحد شوارع كابول التجارية حاولنا الإمساك ببعض خيوط الحقائق لكن الأمر لم يكن سهلا، فالصحافى يحتاج إلى تصريح خاص من طالبان للكلام مع الناس العاديين الذين يبدون بطبعهم توجساً من الصحافيين، ذهبنا إلى «سوبر ماركت» بإمكاننا أن نصفه بالفخم «كل شىء» تقريبا موجود فيه.. بضائع غالية الثمن مثل العطور الباريسية والمعلبات المستوردة والسجائر الأمريكية الفاخرة وكافة أنواع الأجبان والمربى وحتى شفرات الحلاقة التى تستخدم مرة واحدة، ولكى لا تعتبر هذا الأمر عاديا تذكر أننا فى مدينة يصافحها الموت كل صباح والخراب الساكن أرجاءها أكبر من أن تواريه الآمال والأحلام التى تخايل بعض سكانها الذين يصل عددهم إلى ٤ ملايين أفغانى!

صاحب السوبر ماركت ومديره يمتلكه منذ خمسين سنة مرت عليه كل العصور.. من الملكية للشيوعية «للجهادية» وأخيرا يعيش العهد الطالبانى إنه رجل يدعى إحسان الله يعترف بأنه يأتى بالغالى من البضائع من باكستان ودول أخرى لأن لها مشترين سواء أجانب أو أثرياء الأفغان وحسب قوله فإنه يدفع ضرائب قليلة لطالبان التى يقول إنها وفرت الأمن والأمان ولا يرى فيها عيوبا!

أما أمين حميد الله تاجر المصنوعات الجلدية فيؤكد أن الحالة الاقتصادية صعبة ويقول: لا نشكو من شىء يفعله طالبان لكن قلة التجارة هى أزمتنا.

أغلب الحوارات المقتضبة مع التجار بدت كاسطوانة مكررة وهى لفتت الانتباه إلى أن المجتمع الأفغانى قد يكون نموذجا لأحادية ونمطية السلوك والتفكير والكلام المعلن على الأقل!

محمد ولى يوسف زاى هو المواطن الأفغانى الوحيد الذى دار معه حوار طويل فى بيته ، لا نستطيع أن ندعى أنه نموذج لسكان كابول لكن الحوار تم فى غياب أى مسئول أو ناشط من طالبان، وهو تاجر سيارات يعترف بأن التجار يمثلون «الطبقة

المستريحة» لكنه يشير إلى أن التجارة ليست مستقرة بسبب تذبذب سعر الروبية الباكستانية أمام الدولار ولما كانت الروبية الأفغانية مربوطة بالباكستانية فإن جزءا من مصير كابول يتحدد فى إسلام آباد!

أخذنا الحديث معه بعيدا عن التجارة حيث قال: إن الأفغان لديهم قدرة عالية جدا على التكيف ومواجهة أعباء الحياة وبإمكانه أن «يدبر حاله» بالقليل دون أن يشكو أو يتبرم.

وقد أدخل محمد ولى ابنه البالغ من العمر ١٢ عاما مدرسة دينية ويبرر ذلك بأنه «فرض على كل مسلم الدراسة فى مثل هذه المدارس»، ويرى أن التعليم العصرى يجب أن يجىء تاليا، وعندما سألته: ألا تريد لابنك أن يكون طبيبا أو مهندسا؟ كان رده: «يكمل تعليمه الدينى وبعد ذلك نفكر فى المهندس والطبيب»!

بل إنه يذهب إلى حد اعتبار أن مصائب أفغانستان سببها هؤلاء الذين تعلموا تعليما عصريا.. فى إشارة للشيوعيين قائلا: «الدمار هو نتيجة التعليم العصرى».. ويرى أن «المشى على طريق الإسلام هو الذى سيدفع عن أفغانستان هذه المصائب».

ويحمل محمد ولى اليهود والنصارى مسئولية ما جرى لبلاده قائلا: «إنهم لا يريدون للإسلام أن يرسخ فى أفغانستان أو أى مكان آخر.. ما حدث هو من اليهود والنصارى.. ٢٣ سنة من روسيا وحاليا أمريكا وبريطانيا.

ويجزم محمد ولى بأن طالبان ستستمر فى الحكم «لأن الشعب يحبهم ولأنهم فعلوا أشياء كثيرة طيبة» ورغم أنه لم يحارب مع طالبان وليست له أية علاقة تنظيمية بهم (فى الأساس، طالبان ليس لها تنظيم محدد ولا عضوية)، فإنه يراهم مخلصين وليسوا طلاب سلطة، ويقول إنه قبل طالبان كان بإمكان أى أفغانى أن يصبح حاكما بالسلاح والأموال والآن أصبحت هناك حكومة يمكن الرجوع إليها بل إنه يذهب إلى حد القول بأنه لو كانت هناك شاحنة ملأى بالدولارات الآن وتركت أياما على الطريق لن يقترب أحد منها!!

ومع أن صاروخا سقط بالقرب من منزله فإنه لا يخشى الصواريخ وحسبما قال

«من ٢٥ سنة ونحن نرى الصواريخ ونتعايش معها.. الأمر بالنسبة لي شيء عادي»، ويرى أن الأخطر من الصواريخ هو الأسلحة التي كانت بين أيدي الناس العاديين وجمعتها طالبان.. وبدا لي أنه ينظر للصواريخ كقدر لكن الكلاشينكوف هي العمل العدواني بعينه!

كان هذا آخر كلام محمد ولي التاجر المؤيد لطالبان، لكن الصدفة البحتة جمعتني بطالب جامعي أفصح عن كرهه لها.. إنه يدرس في كلية الطب بجامعة كابول، وهو لا يرى أن طالبان مؤهلة لحكم البلاد ويتعجب من تولي ملا ـ أي طالب تعليم ديني لم يكمل هذا التعليم ـ منصب عميد كليته! ويسخر منه قائلا إنه يوقع على الأوراق فقط.. ويتساءل: بأي حق يشغل هذا المنصب، وقد أظهر هذا الطالب، الذي بدا أنيقا ومعتزا بنفسه، غضبه من رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين يأتون إلى الجامعة ويحلقون رؤوس من يرون أن «شعورهم غريبة الهوى» بكل فظاظة حسب قوله، وينهي حديثه بآهة نصف مكتومة وسؤال بدا لي معلقا فوق أفغانستان كلها وليس كابول التي تحاصرها الجبال فقط ..إلى أين نحن نسير؟ وكان الجواب في عينيه: لا أعرف!

طـــالـــبـــان

الـعـمـائـم والخـنـاجـر والأفـيـون

7

«الأب الروحى»
وعاصفة الشعارات

دار الخيّال

قادتني جولتي في كابول إلى الإذاعة المسماة «صوت الشريعة» ورغم أن أفغانستان بها ١١ محطة إذاعية فإن هذا الصوت هو الأبرز، كما أن بثها يستمر ١٠ ساعات كاملة على فترتين صباحا ومساء، ولاحظت خلال جولتي في مبناها أنها أكثر اتساعا كمكان وأفضل في الإمكانات الفنية من «صوت قندهار» وتعطي المساحة الزمنية للبث فرصة أكبر للتنوع في البرامج، ونظرة على أسماء البرامج تؤكد ذلك مثل «نحن وبلادنا» وهو برنامج يعرف بجغرافية وسيسيلوجية وبيئة الولايات الأفغانية، و«نحن والعالم» ويتحدث عن الدول الأجنبية، و«حكايات الصحافة» عن أهم ما ينشر في الصحف المحلية فضلا عن البرامج الصحية والأسرية والدينية، و«ما يطلبه المستمعون من الأناشيد المختارة»، كما تستضيف الإذاعة مسئولين على الهواء مباشرة وتجرى حوارات معهم ويتلقون أسئلة بالهاتف. وبالمناسبة تتوافر الهواتف التي لا يتجاوز مداها في كابول المحال التجارية وبعض المنازل، ويختص برنامج بيث «وصايا أمير المؤمنين» الملا محمد عمر، وهناك برامج باللغات العربية والإنجليزية والأوردية والأوزبكية والتركية والنورستانية والفارسية لا يتجاوز مدى كل منها ١٥ دقيقة، ووكالة الأنباء الأفغانية «بختر» هي التي تحدد الأخبار الدولية التي تنشر، ويقول المسئولون عن الإذاعة إن الأناشيد والبرامج الدينية فضلا عن التحليلات السياسية، التي تأتي بعد بعض النشرات هي الأكثر شعبية، والمدهش في إذاعة «صوت

الشريعة» أنها تذيع إعلانات عن سلع ومحال تجارية ووفيات بعض ذوى الشأن، وأحكاماً قانونية تشترط المحاكم «نشرها» وفى أفغانستان حيث لا توجد صحيفة يتجاوز قراؤها أربعة آلاف شخص فإن الإذاعة هى وسيلة «النشر» الأولى.

وأغلبية العاملين فى الإذاعة من العهود السابقة وقد طعموا ببعض كوادر طالبان، ومتوسط أجور العاملين فيها ٣٠٠ ألف روبية، وقد أقسم إعلامى أفغانى يعمل فى مكتسب وكالة الأنباء فى الإذاعة أنه وأسرته البالغ عدد أفرادها ٧ أشخاص يأكلون الخبز بلا أى طعام آخر معظم أيام الأسبوع، والصبر فى كابول «جبال» ترسم حدود الحياة والمدنية!

وأثناء تغطية هجوم صاروخى على كابول زرت مستشفى وزير أكبر خان والحق أن الملاحظات المبدئية تشير إلى أنه بحالة جيدة، والأطباء والممرضون بالإضافة إلى الجرحى أفغان، وهناك قسم للنساء ،والممرضات فقط نساء، أما الأطباء فرجال بإمكانهم الكشف على المريضات بلا حرج وبلا ملاحقة من طالبان، بل إننى رأيت النساء وجوها وسفورا لأول مرة فى أفغانستان خلال زيارة هذا المستشفى الذى تجرى به كافة العمليات الجراحية، فقد كنت بصحبة نائب وزير الصحة مولوى ستاينك زاى الذى زار النساء المصابات مواسيا وملاطفا فى حديث نادر! وتستورد كابول مستلزماتها الطبية من باكستان بالإضافة إلى ما تتلقاه من مساعدات دولية، وفى الصيدليات العامة تتوافر معظم الأدوية، ولبعض من يضعون الحرب والمجاعة فى سلة واحدة تقول جولتنا فى أفغانستان إنها ليست الصومال أو رواندا أو الكونغو الديمقراطية، فالموت هنا نظيف وسريع «وليس بالتقسيط»!

ومنطقة وسط المدينة فى كابول تحكى قصة مدينة لم تمت، ومبنى وزارة الخارجية على سبيل المثال كما هو فى أية دولة من دول العالم الثالث وهو طبعا لم يتم بناؤه فى عهد طالبان بل هو فى الأساس قصر ملكى تظلله الأشجار الباسقة وبه مسحة من فخامة ولا يدل على طالبان فيه سوى صغر سن بعض المسئولين الكبار والعلم الأبيض والآيات القرآنية المكتوبة على لوحات فى حديقة المبنى مثل «نصر من الله وفتح قريب»، و«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» و«واعتصموا بحبل الله جميعا

ولا تفرقوا»، وقد بـدأت طالبان دورات للدبلوماسـيين في معهد أنشـىء مؤخرا لهذا الغرض. وهي تعتمد عـلى بعض الكوادر القديمة ممن يمكن أن تـصنف أحدهم بأنه «رجل لكـل العصور» عـمل في الوزارة من عـهد الملكـية ثم مر بالـشيوعيـة وحكم المجاهدين وحـكم الطلبة، وكل حـكم لديه هو حكم الـقوى على الضعيـف وتبديل الولاءات هروبًا من الموت والجوع والنفي.

وصادف وجـودي في كابول انـعقاد مـجلس الـشورى الموسع لـطالبـان أو «أهل العقد والحل» كما يـسمونه حيث يضم حوالي ١٥٠٠ عالم ديـن من معظم الولايات الأفغانية، وتتراوح أعمار هؤلاء ما بـين ٢٥ و٨٥ عاما وهذا عالم وذاك أيضاً، والكل يمثلون ما يمكن أن نسـميه بالهيئة الانتخابية لطالبان وقراراتهـم بمثابة أحكام قطعية، ونظريا فإن هذا المجلس أعلى سلطة من الملا محمد عمر وهو الذي اختاره في الأصل لمنصب «أمير المؤمنين» في العام ١٩٩٦ وبالتحديد في الثالث من أبريل(نيسان) وهذا الاختيـار كان عن طريق الـبيعة، وحـتى لا يشكك أحـد في شرعية هـذه البيعـة فإنه أخذها تبـاعًا ، غير أن ابنا لأحـد هؤلاء العلماء أبـلغني في كابـول أن أباه حذا حذو الآخرين من العلماء لأنه لا يستطيع الخروج عن الإجـماع وأنه لـم يكن مقتنعا بأهلية الملا عمر، على حد قول الابن، والله أعلم بنوايا العلماء الآخرين!

المهم، جاء العلمـاء إلى كابول بناء على دعوة من الملا عمـر الذي ظل في قندهار حيث طلب منهم إصدار فتوى بالجهـاد ضد إيران، إذا هاجمت أفغانستان، ورغم أن التصدي لأي هجـوم أو غزو إيراني لـم يكن يحـتاج إلى فتوى فإن الملا عمـر على ما يبدو أراد إبداء قدر عـال من التماسك وما يمكـن أن يسمى بـــ «الوحـدة الوطنية» تجاه إيران وإحراج المعارضَة المتحالفة مع طهران، بإجراء ديني!

وقد استـقبلت المعارضـة هذا المؤتمر بوابـل من الصواريخ عـلى كابول لـم ينـقطع طوال أيام انعقاده الستة وبدا الأمر كأنه صـراع بين «شرعية القوة» و«قوة الشـرعية» أو «تجاوز الشرعيـة» غير المكتملة في ظل غـياب المعارضة و«شرعية التـجاوز» بالضرب بالـصواريخ، ولا نريـد مزيدا مـن الاصطلاحات حـتى لا يتـحول الأمر إلى «عـبث منظم» كما هو في الحالة الأفغانية!

كان لى حظ حضور الجلسة الختامية للمؤتمر الذى عقد وسط إجراءات أمنية مشددة، حيث رأيت لأول مرة الدبابات فى قلب كابول بالقرب من مقر وزارة الداخلية التى استضافت المؤتمر، ولا أعرف السبب وراء اختيار هذا المقر بالذات رغم دلالته السلبية، لكن ربما تكون جاهزية المكان هى السبب وليس هناك تفكير فى رمز ولا يحزنون!

وفى القاعة الرئيسية فى الوزارة التى دخلها الصحافيون بعد تفتيش دقيق شمل احتجاز كاميرات التصوير، كانت هناك غابة من الشعارات تحويها لافتات غطت جدران القاعة تقريبا وأغلبها عبارات تأييد لطالبان ومأثورات تحض على الجهاد، وأقوال للملا عمر، وإشادات بتطبيق الشريعة. المتحدث الرئيسى فى الجلسة كان مولوى محمد نبى محمدى زعيم حركة الانقلاب الإسلامى، أحد «أحزاب» المجاهدين القدامى، وقد كان الملا عمر أحد قادته الميدانيين قبل نشوء طالبان وهو يتمتع بتقدير وإجلال كبيرين من هذه الحركة الطلابية، وفى الجلسة بدا خطيبا مفوها خصص جزءا كبيرا من الخطبة للهجوم على إيران والحديث عن منجزات طالبان وسط استحسان وهتافات الحاضرين وبعضهم طبعا ليسوا أعضاء فى مجلس الشورى الموسع ولكن من مسئولى ونشطاء طالبان، ووسط الخطبة تجد من يقف ويلقى شعرا بالعربية أو الباشتو أو حكمة ثم يقول «تعرى تكبير» أى «كبروا أيها الحاضرون» فتنطلق الأصوات «الله أكبر الله أكبر»، وقد فوجئت بأحد مسئولى وزارة الخارجية وكان يجلس بجوارى وهو ينطلق كالسهم إلى المنصة قاطعا خطبة عصماء لعالم دين مرددا بيتى الشعر القائلين:

وكأن ظل السيف ظل حديقة ... نبتت دمانا فوقه أزهارا

ندعو جهاراً لا إله سوى الذى ... خلق الوجود وقدر الأقدارا!

والبيتان للشاعر الباكستانى محمد إقبال وتغنيهما السيدة أم كلثوم، وذكرتنى هذه الانطلاقة الشعرية لصاحبنا وما تلاها من تكبيرات بشطر بيت فى ذات القصيدة يقول «لابد للمكبوت من فيضان»، وليس باستطاعتك هنا التمييز ما بين الكبت والفيضان.

وقد أخبرنى هذا المسئول فيما بعد أن وزير الخارجية أبلغه بإعجابه بهذه «الهجمة الميكروفونية التى نفذها ببراعة»، وفسر هذا الإعجاب بأن الوزير وهو الملا محمد حسن آخوند أحد قيادات طالبان استحسن هذا «التمثيل الوزارى» فى المهرجان الخطابى الكبير!

ورغم أن معظم العلماء كانوا يتحدثون بالباشتو إلا أن أحدهم أصر على الكلام باللغة العربية وإن كان هذا أسعدنى فقد ضايق الكثير من الحاضرين الذين رغم تعلمهم هذه اللغة فإن ألسنتهم ثقيلة فى النطق وآذانهم ضعيفة فى السمع.

طالت الجلسة الختامية بمزيد من الخطب وتخللها خطاب من الملا عمر إلى المؤتمر قرأه أحد العلماء، حيث دعا الملا عمر العلماء إلى تأييد «النظام الإسلامى» والدفاع عنه وحث المعارضين على أن يسلموا أنفسهم لطالبان، وفيما يتصل بإيران فقد جدّد الأعراب عن ثقته فى أنها لن تهاجم أفغانستان وحذرها من أنها ستكون أكبر الخاسرين إذا أصرت على مثل هذا الهجوم، وطبعا قوبل الخطاب بعاصفة أخرى من التكبير والتهليل، بلا أى تصفيق كالعادة.

وبينما كانت الخطب تتوالى سقط أحد العلماء من الإعياء وحمل إلى الخارج وسط قدر من الهرج والمرج ولم يسكت الميكروفون المصوب فى الآذان فى وقت كان يوزع فيه بيان موجه من العلماء إلى سكان الولايات التى تسيطر عليها المعارضة فى شمال البلاد يدعوهم إلى الانضمام لطالبان محملا من يستمر فى القتال «مسئولية» من يقتلون وتسفك دماؤهم، وحمل البيان تحذيرا من المسئولية أمام الله من دماء الأبرياء ومن الدعوة إلى القتال باسم العرقيات.

وانتهى البيان بتهديد من أن استمرار القتال يعنى اعتباركم (المعارضين) من البغاة الذين تحل لنا (طالبان) أموالكم ودماؤكم لأن مال الباغى غنيمة ودمه مباح والقتال ضده جهاد، وآخر كلمات البيان الذى حمل اسم «متن النصيحة» هى «إذا مات الباغى فلا يصلى عليه صلاة الجنازة لأنها نعمة من الله ورحمة يحرم منها».. انتهى البيان وبالقطع لم تنته الحرب، وربما لم يسمع سكان الولايات التى تسيطر عليها المعارضة به أصلا!

فى آخر الجلسة أقر أهل العقد والحل دون تصويت البيان الختامى الذى شمل الفتوى المطلوبة من الملا عمر بالجهاد ضد إيران إذا هاجمت أفغانستان غير أنه حوى نصوصا أخرى بدت لافتة حيث أكد رفض مجلس الشورى الموسع للإرهاب وتدريب الإرهابيين فى أفغانستان أو انطلاق أعمال إرهابية من أراضيها ضد أى بلد كان، فى إشارة ضمنية لأسامة بن لادن.

ودعا المجلس إلى منع زراعة وتجارة وتعاطى المخدرات لأن الإسلام يحظرها.

وقال المجلس إن «الإمارة الإسلامية الأفغانية» تؤيد منح الحقوق التى كفلها الإسلام للمرأة ولكن الأوضاع الأمنية والاقتصادية لا تسمح بذلك حاليا.

والقراءة البسيطة فى البيان تشير إلى اختلاف لافت مع الخطاب التقليدى لطالبان وصياغته توصى بأنه يستهدف تأكيد أن مجلس الشورى هو أعلى سلطة فى طالبان، ومن باب الملاحظة فقط أن واشنطن وجدت ما ترحب به فى هذا البيان الذى لست فى موضع تحليله حيث إن المؤتمر شد انتباهى إلى محمد نبى محمدى ذلك المجاهد السبعينى الذى بدا وكأنه فى دور «الأب الروحى» لطالبان مستغلا شعبية ملحوظة فى صفوف الحركة وخارجها!

كان من حُسن حظى أن محمدى ذا العمامة الزرقاء المميزة يقيم معنا فى «الكونتيننتال» ولكن فى الطابق الأول حتى يكون بعيدا تماما عن خطر صواريخ مسعود، ويبدو أنه كان من حُسن حظه هو أيضاً إقامته فى هذا الفندق حيث تقاطر عليه الصحافيون الذين جاؤوا قبل آخر يوم من المؤتمر وأيقظوا الحياة فى الفندق بعد أن كان يشبه جزيرة منعزلة لا تجد فيها حتى من تتحدث إليه، ورأينا عدسات التليفزيون الاسترالى مصوبة إلى «المجاهد القديم» الذى يجمع بين ميزة الانتماء إلى الماضى الجهادى والحاضر الطالبانى، ووصل الأمر إلى حد أنه عقد مؤتمراً صحافياً للإجابة عن الأسئلة الآنية المتصلة بالتوتر مع إيران ولم يكن هذا مبتغانا، ونجح مسئول من طالبان فى ترتيب موعد لى معه ذات مساء ناعس فى كابول لم يقطع صمته سوى جلبة حراس محمدى وزواره من الحركة الذين كان بينهم وزراء ونواب وزراء ، وفى كل الأحوال فالكلاشينكوف هى سيدة الفندق والعمائم تروح وتجىء كأسراب الطير!

وعندما صافحته للمرة الأولى كان قد استقبلني بحرارة، وهو أحد القلائل الذين تغاضوا عن قصر لحيتي وانصب اهتمامهم على «عربيتي»، والأفغاني بشكل عام عندما تباغته بعبارات عربية رصينة مطعمة بآيات وأحاديث تنفرج أساريره لك وعلى حد قول جمال الدين الأفغاني، فالأفغان يعتقدون أنهم والعرب فقط المتدينون حقا. والباقون يأتون من بعدهم بدرجات!

المهم، جلست مع محمدي الذي تربع على مقعده وقد وضع «ترموس» الشاي الأخضر بجانبه وطوال الحوار الذي دام حوالي ساعة انقطع الحديث بفعل رشفات الشاي حتى أحسست أنه ليس بإمكاني إحصاء عدد الأكواب التي أرتشفها، وتذكرت المثل الأفغاني القائل «لا توجد حرب من دون شاي»، وطبعا الحرب لم تكن بعيدة أبدا عن الحوار حيث بإمكانك أيضاً أن تقول «لا توجد أفغانستان من دون حرب»!

وهذا هو نص الحوار مع الرجل الذي بدأ «جهاده» قبل أكثر من ٢٠ عاما والذي يسبق اسمه لقب مولوي ومن ثم فهو عالم دين كبير بالمقاييس الأفغانية!

* كيف ترون الوضع الآن في أفغانستان بعد سيطرة طالبان على معظم الأراضي الأفغانية وبقاء جزء في الشمال بأيدي المعارضة؟

ـ الوضع الموجود الآن في أفغانستان مؤسف جدا، فأفغانستان دولة مؤمنة مجاهدة، وقد قدمت للعالم نموذجا لا مثيل له في الشجاعة في فترات مختلفة من التاريخ. ونجحت في امتحانات عديدة وقد اعتدت روسيا على هذه الدولة المسلمة وارتكبت جرائم وحشية وقتلت وظلمت ودمرت لكن الشعب الأفغاني قاوم هذا العدوان وأعلن الجهاد، والله عز وجل نصر هذا الشعب المظلوم نصرا مؤزرا وحطم صنم الشيوعية بيد أبنائه وتمزق «الاتحاد السوفييتي»، لكن للأسف بعد الفتح والنصر لم نشكر هذه النعمة العظيمة فحرمنا منها.

والمؤسف أيضاً أن قادة الجهاد الذين شجعوا الشعب على المقاومة وأحيوا هذه الفريضة انهزموا أمام أنفسهم بعد تحرير البلاد واتبعوا أهواءهم ولعب حب السلطة برؤوسهم فتركوا الصواب، وظلموا الشعب ظلما لم يلاق مثله من الروس والشيوعيين، ووقعت في عهد المجاهدين فتن ومفاسد ومظالم لا نظير لها وسادت

السرقة والزنى وقطع الطريق، وأصبح الناس غير آمنين على أموالهم وأعراضهم وأصبحت تجزئة أفغانستان محتملة، وتدخلت الدول الأجنبية فى شئوننا ولعبت أيدى الآخرين فى بلادنا، وقام ما يمكن أن نسميه بـ «حكم الطوائف»؛ دوستم يحكم جزءًا وإسماعيل خان(أحد القادة الميدانيين لبرهان الدين ربانى وهو أسير لدى طالبان حاليا)، له جزء آخر وأحمد شاه مسعود فى الشمال، ولقد كان حكام الدول الأجنبية ينتظرون هذه الفرصة. عندما حاولت العودة للسؤال أبلغنى مسئول فى طالبان قام بمهمة الترجمة أن محمدى يبدأ دائما بالتاريخ ومن الأفضل لى أن أسايره!

* أين كانت حركة «الانقلاب الإسلامى» فى مرحلة ما بعد الجهاد التى بدأت بسقوط نظام نجيب الله فى العام ١٩٩٢؟

- فى البداية قدم لنا مناصب كثيرة وعمل رجال الحركة فى الحكومة لكن بعد أن سادت الفوضى والظلم للشعب كان موقف الحركة السعى لإصلاح ذات البين بين الأطراف المتصارعة، ولقد قمت بمساعى كثيرة على مدى عام ونصف العام لكن لم تحقق جهودنا شيئا، حيث عرفنا أن هؤلاء المتناحرين لا يريدون الصلح، فيئسنا، وتركنا جميع المناصب والوظائف وانقطعنا عنهم.

* هل تعتقد أن الخلل فيما آلت إليه أفغانستان قبل ظهور طالبان فى شخصيات قادة المجاهدين مثل شخصية قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامى وشخصية ربانى وعبد رب الرسول سياف وأحمد شاه مسعود وغيرهم؟

- لا شك أن لهذه الشخصيات وهؤلاء القادة تأثيراً مباشراً فى الأوضاع التى وصلت إليها أفغانستان آنذاك، وهم ارتكبوا جرائم كثيرة حبا فى الحياة والمناصب واتبعوا أهواءهم وشهواتهم، والطبقة الثانية الفاسدة هى القادة الميدانيون الذين كانوا قد شبوا على الفساد والسرقة قبل الجهاد ثم دخلوا فى صفوف المجاهدين. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».. وبعد انهيار حكم نجيب جلس المجاهدون الحقيقيون فى بيوتهم، وبدأ هؤلاء بالظلم والفساد وارتكبوا موبقات لم يرتكبها الروس حيث ظهروا على حقيقتهم.

وفى ظل هـذه الأحوال تقبل الله دعاء الشـعب الأفغانى فـسخر لخدمـته أشرف الناس وأحسنهم خلقا وأفقرهم فى نفس الوقت.. إنهم طالبان.. العلماء الذين عندما ظهرت حركتهـم المباركة فر هؤلاء الفاسقون الـفجرة، ومنّ الله على طالبـان بالنصر على أعـدائها.. ووراء كل ذلك إخـلاص العاملين فـيها ونواياهـم الحسنة وتوكـلهم على الله الذى كان مـعهم دائما، وكانت قوة الإيمان هى سلاحهـم. لقد كانت هناك اتهامات وشائعـات بأن هذه الحركة «غربية» عميـلة للأمريكيين وأنها صـنع أمريكى باكستانى مشترك، لكن ظهر بكل وضوح أنها حركة جهادية إسلامية قامت ضد الشر والفسـاد، ولقد فوجـىء الفاسدون بحـسن استقـبال الشعـب الأفـغانى لهـذه الحركة وترحيبه بها وحبـه الشديد لها لذلك استسلموا، وساعد الجمـيع رجالا ونساء طالبان الذين جاؤوا بالأمن والسلام ويطبقون النظام الشرعى الذى يريده الشعب.

* عودة للسـؤال الأول، ما تصورك للصراع فى أفـغانستان حاليـا.. حيث تجارب المعارضـة المؤيدة من قوى خـارجية طالبـان قائلة إنـها ليست تـعبيرا عن كـل القوى السياسيـة والعرقيات الأفغانيـة وطالبان متهمة بـأنها لا تمثل سوى «الباشـتون» فقط، وأنها تكريس لهيمنة باشتونية على البلاد؟

ـ هذا كـله كذب.. إنهـا أساطير أشاعهـا المخالفون (المـعارضون) والادعـاء بأن الحركـة عرقية بـاشتونيـة باطل، وهى لـكونها مـن الأوزبك والتركـمان والطاجـيك والنورسـتان بالإضافة إلى «البـاشتون»، وهناك وزراء وأصـحاب مناصب كبـيرة من غير البـاشتون (وفقا لقـائمة رسمية حديـثة فمن بين أعضـاء وحكومة طالبـان البالغ عددهم ٢٥ عضـوا يوجد ٢٢ عضوا من البـاشتون الذين يقدرون بـحوالى ٥٥٪ من السكان ومن بين ٢٦ واليـا يوجد ١٩ من الباشتون).. نعم القيادة بيـد الباشتون لكن هذا لا يعنى أن (طالبان) قامت ضد العرقيات الأخرى.. بل ضد الشر والفساد، وبعد الاستـقرار الكامـل فى أفغـانستان والـسيطـرة على جـميع المنـاطق ستـعطى جمـيع الأقليات والعرقيات حقوقها كاملة وتـرد الأمانات إلى أهلها، وتقسم الوظائف وفقا لمعيار الأهلية فقط (!!)

طالبان هـم أهل الشريعة ويعـطون الناس ما أعطـته لهم الشريعـة من الحقوق ولا يضـيعون حق أحـد، أما الدول الـتي تسـاعد المخالفـين فقـد كانت تـطمع في تجـزئة أفغانـستان وبذلـت جهودا كبيـرة من أجل ذلك، فـإيران كانت تريـد السيطـرة على الولايـات القـريبـة، وكانت تـخطـط لإقامـة «خراسان الـقديـمة»، والـدول المجاورة للولايات الـشمالية (طاجـيكستان، وأوزبكـستان وتركمانـستان) تريد انضـمام هذه الولايات لها، وبعد أن فشلت خططهم جميعا يساعدون المخالفين الآن.

* ثمة من يرى أن «الصراع السني والشيعي» وراء التوتر بين طالبان وإيران الآن؟

- أعتقد أن هناك مشـكلة «سنة وشيعة» مع إيران، حيث إن إيـران لا تريد أن تقبل طالبان كحركة سنيـة، لكن بالنسبة لنا فالشيعة في أفغانـستان آمنون ولا يواجهون أية مشاكل مثل بقية الشعب.

* لكن لا يوجد مسئول شيعي واحد في حكومة طالبان؟

- بالأمس كـان هناك عالم شيـعي أفغاني يدعـى «تقدسي»، وقد شارك فـي مؤتمر العلماء وهو ضد إيران، صحيح ليس هناك وزراء شيعة ولكن يوجد شيعة في بعض المناصب الأخرى.

* في خارج أفغانستان ثـمة من يقول أن طالبان مجموعة طلبـة صغار السن ليس بإمكانهم الانتقال من مرحلة الحركة إلى الدولة التي يتطلب تأسيسها عقولا وخبرات مختلفة عن مجرد القيام بأعمال عسكرية.

- ليس للعمر دخل في هذا الأمر فحكمتيار كان صغيرا عندما بدأ الجهاد ومسعود كان صبيا وكـذلك عساكره الذين يحاربـون معه الآن، لكن زعماء طالبـان كلهم من كبار السـن. وهم حين أنشأوا طالبـان كانوا أكبر من حكـمتيار ومسعود سنـا وعلما وخـبرة، ومـن البـداية ضـمت الحـركة أصـحاب الـتجـارب السـياسـية والـعلـمية والاجتـماعية وهـم الذين يـديرون أمور الحركـة، أما الشـباب فهـم يحاربون الـعدو وينفذون الأوامر.

* ما هي طبيعة علاقتكم بطالبان الآن، وهـل عرضت عليكم تولي منصب معين، وإذا عرضوا عليكم أن تتولوا رئاسة الدولة أو رئاسة الحكومة فهل تقبلون؟

ـ علاقتى بطالبان هى علاقة الحب والتعاون وقد أيدتهم منذ البداية وأؤيدهم الآن وكنت وما زلت معيناً لهم ما داموا لا يخالفون الله وشرعه.

أما عن موقفى من المنصب فإنى أشهد الله جل وعلا أننى ـ ولى تاريخ طويل فى الجهاد ـ لم أعمل من أجل المنصب، وأعتقد أنه أمانة عظيمة وندامة يوم القيامة، وقلت على رؤوس الأشهاد أننى أريد أن أبقى حرا إلا من المسئولية الشرعية.

* وما المقصود بالمسئولية الشرعية؟

ـ المقصود هو أن نرى احتمال وقوع الأمة فى ضلال مبين بما فى ذلك هدم المعنويات والأخلاقيات، ففى مثل هذه الحالة لو عرضوا على المسئولية (الحكم) واتفقوا جميعا على ذلك وكنت أرى نجاة الأمة بيدى فسأقبل وهذا أعتبره إجباراً لى!، ولكن لو تركت وشأنى فلا أقبل أى منصب، وطالبان لم تعرض على منصبا.

انتهى الحوار بهذا النفى، والأيام ستظهر مصير محمدى الذى شارك فى تأسيس أول حزب للمجاهدين وهو الحزب الإسلامى فى العام ١٩٧٥ ثم انشق عنه مشكلا «الانقلاب الإسلامى»، فهو من «الحزب» إلى «الانقلاب» ثم مع «طالبان»، ورغم إقامته فى باكستان فإنه ليس بعيدا عن صنع القرار فى طالبان «الإمارة الإسلامية»، والمرجح أن يظل «الأب الروحى» لتلميذه الملا عمر وللمجاهدين الصغار، وإن كانت القاعدة فى أفغانستان لا تصدق سوى الوقائع فقط!

طالبان
العمائم والخناجر والأفيون

8

«حكم»
في «مهب» الأسئلة!

دار الخيّال

لسوء الحظ كان وزراء طالبان على جبهات القتال في فترة وجودي في كابول، وحتى نفهم طبيعة الحركة فالكل في طالبان مقاتلون، وعلى سبيل المثال قاد وزير الداخلية الملا خير الله خير خواه قوات الحركة على جبهة باميان خلال المعارك مع حزب الوحدة الشيعي هناك، وقتل في هذه المعارك التي جرت في شهر سبتمبر (١٩٩٨) الملا يار محمد والي غزني أحد أبرز قيادات طالبان والمقرب من زعيمها الملا محمد عمر، وقد حاولت لقاء مولوي عبد الكبير نائب رئيس الحكومة لكنه كان يتردد كثيرا على خط جبهة كابول حيث تواجه طالبان قوات أحمد شاه مسعود، ومسئولو طالبان يديرون أمور البلاد والعباد بطرق بسيطة للغاية، وبالمناسبة مصدر الفخر للمسئول ليس منصبه الذي قد يتغير ولكن «سجله القتالي»، وحتى الموظفون العاديون الذين ينتمون لطالبان تكون «ساعات الصفاء» بينهم في التفاخر بعدد المعارك وعدد القتلى الذين حصدهم كل واحد منهم في الحرب مع المعارضة، والملا عمر نفسه جزء من شرعيته أنه مقاتل وقد فقد عينه اليمنى في معركة ضد الشيوعيين، كما أن الملا محمد رباني رئيس الحكومة هو أول قائد لجيش طالبان، وقد استقبل مرافقنا من طالبان «مصباح الله» البالغ من العمر ٢٨ عاما رجلا في أحد شوارع كابول بالأحضان وإن كان بلا تقبيل على الطريقة الأفغانية، حيث شاركا معاً في دخول العاصمة عام ١٩٩٦، فحتى الصداقة «قتالية»!

ولكى لا نبعد كثيرا عن الموضوع فمن تمكنا من إجراء حوارات معهم فى كابول هم مسئولو الصف الثانى أو نواب الوزراء حسب ما سمحت أوقاتهم والأيام السبعة التى قضيناها هناك.

بدأت بنائب وزير الاقتصاد عارف الله العارف وهو رجل فى أواخر الثلاثينيات من عمره، والحق أننى قابلته دون موعد مسبق فجاء الحديث مقتضباً، وأول ما فاجأنى به الرجل هو أنه لا توجد لديه إحصاءات أو أرقام عن الاقتصاد الذى قال إنه يعتمد بشكل أساسى على الزراعة حيث تعتبر أفغانستان دولة مصدرة للمنتجات الزراعية بما فى ذلك الفواكه بأنواعها. فضلا عن التجارة ومعظمها مع باكستان وتركمانستان، وهناك أيضاً مصانع للمنتجات الجلدية وتجفيف الفواكه والأسمنت، بالإضافة إلى نشاط تعدينى محدود حيث تصدر أفغانستان بعض الأحجار الكريمة، وتحصل حكومة طالبان ـ حسبما قال العارف ـ على جمارك مقابل البضائع التى يتم استيرادها وعلى رسوم خدمات من السكان، لكنه أكد أنها محدودة جدا، وأشار إلى أن طالبان تحصل على بعض المساعدات من الخارج لكنه تمنى لو أن الدول الإسلامية الغنية تساعد الشعب الأفغانى، وحسب العارف فإن الكهرباء تتوافر فى كل المدن الأفغانية الكبيرة وهناك ٨٠ شركة تدير الشبكات الكهربية وهى تابعة لحكومة طالبان، وفيما يخص الروبية عملة أفغانستان فإن طالبان لا تتدخل فى سعرها وتتركه للسوق وهى لم تطبع نقودا وأغلب الروبيات التى فى السوق هى من عهد «المجاهدين».

ويقول العارف إن لدى طالبان خططا طموحة لإعادة البناء بعد انتهاء الحرب وهى تعول كثيرا على مشروع الغاز التركمانستانى حيث سينقل عبر الأراضى الأفغانية إلى باكستان وإذا نفذ المشروع فإن طالبان ستحصل على رسوم مقابل مرور هذا الغاز فضلا عن الاستفادة من مشروعات البنية الأساسية التى ستواكبه مما يوفر فرص عمل للأفغان ويفتح الطريق أمام نهوض الاقتصاد الذى يصفه بـ «المضعضع»، وقد اعترف العارف بأنه لم يدرس الاقتصاد وباعتماده على معاونيه فى فهم الأمور الاقتصادية المعقدة، وعندما سألته عن العولمة قال إنه يسمع بهذا المصطلح للمرة الأولى، وعندما شرحته له بشكل مبسط، قال: نحن مع العولمة لأننا نشجع

التجارة المفتوحة، رغم قوله قبل قليل إن طالبان تتجه لرفض عرض شركة «يونوكال» الأمريكية لتنفيذ مشروع الغاز التركمانستاني بسبب شروطها حيث تريد حرية كاملة للعاملين الذين ستستقدمهم لأفغانستان وبينهم نساء، ومن جانبنا نظن أن كلمتي «طالبان» و«العولمة» ينطبق عليهما ما يقال في اللغة عن «المتضادات»، أما «عدم معرفة» العارف بذلك فتلك قضية أخرى، تتصل بـ «الطلبنة» لا «العولمة»!

لقاؤنا التالي كان مع مولوي سعيد أحمد شهيد خيل (٢٩ سنة) نائب وزير التعليم ،وهو أحد مسئولي طالبان القلائل الذين قبلوا إجراء الحوارات معهم باللغة العربية، بل أصر على ذلك لكن بعد أن بدا لي أنه يجد صعوبة في الحديث المنطلق طلبت منه التخاطب عبر المترجم!

بدأ بمقدمة عن وضع التعليم قبل طالبان وبعد توليها السلطة قائلا: «كان التعليم يمر بظروف سيئة وصل إلى حد إشاعة العقائد الكفرية الإلحادية، وقد كان هناك نوعان من المدارس.. الليلية والنهارية، الليلية تدرس فيها العلوم الدينية، وهذه المدارس كانت عبارة عن حجرات عمرت في القرى بمعاونة الأهالي، أما المدارس النهارية فكانت عصرية، ولم تكن شهادات المدارس الدينية تُقبل ولا يُعترف بها من جانب الحكومة «الشيوعية». وأيضاً كانت المدارس العصرية محرومة من العلوم الدينية والشرعية والآن أوجدنا منهجاً واحدا من الصف الأول للسادس لهذين النوعين من المدارس بحيث تدرس العلوم الدينية والعصرية معا، ثم بعد ذلك يحدث فصل في المناهج بحيث تدرس العلوم العصرية من الصف السادس حتى الثاني عشر، والعلوم الدينية من السادس حتى السادس عشر، على أن تكون هناك بعض العلوم العصرية القليلة في المدارس الدينية والعكس أيضاً».

ويتابع خيل كلامه قائلا: «لقد أسسنا مدارس دينية جديدة بحيث أصبحت في كل ولاية مدرسة كبيرة وعشرات المدارس الصغيرة ونحن الآن لدينا ٢٤ مدرسة كبيرة وحوالي ١٥٠٠ من النوع الصغير، أما المدارس العصرية فعددها ٥٠٠ كبيرة، و٤ آلاف صغيرة».. (المدارس العصرية كلها تقريبا أنشئت قبل ظهور طالبان).

ويعتبر نائب وزير التعليم أن التعليم الديني بالنسبة لطالبان، أحد الفروض

الضرورية مثل الجهاد والحج والصلاة وتطبيق الشريعة وأنه مهم من أجل استقلال أفغانستان.

ولا يتردد فى القول بأن طالبان تفضل العلوم الدينية على العلوم العصرية معتبرا أن هذا التفضيل منبعه تعاليم الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ويأتى بحجة مثيرة قائلا: «هناك قسم فى سائر العلوم يهتم بالحيوانات أما العلوم الشرعية فتهتم بالإنسان فقط».. ولما قلت له إن السياسة على سبيل المثال تهتم بالإنسان كعلم وليس بأية مخلوقات أخرى كان رده «بعض سلوك الحشرات فيه سياسة»..!

وطبعا لم يكن الهدف من الحوار الدخول فى جدال ومن ثم ابتلعت لسانى، بينما واصل هو حديثه قائلا: لقد أنشأنا جامعات فى كل ولاية تقريبا وبها كليات للعلوم العصرية مثل الطب والهندسة والزراعة.

ورداً على سؤال بشأن تعليم المرأة فى عهد طالبان قال مولوى خيل: «الأساس الذى نستند إليه القرآن الكريم والسنة الشريفة، والرسول ﷺ علم الإناث إلى جانب الرجال وربى الصحابيين والصحابيات، وكان بجوار أبى بكر أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وعمر الفاروق كان فى كنفه حفصة رضى الله عنها، وكان هناك على كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء فضلا عن رقية وأم كلثوم، والكل تعلم من النبى صلى الله عليه وسلم، والقرآن نزل لجميع البشر بما فى ذلك الإناث والرجال، لكن اليهود والنصارى حرفوا طرق تعليم الإناث وجعلوهن يعملن فى أمور غير مطلوبة بدلا من أن يتعلمن الشئون الدينية والشرعية ويعرفن حقوق الزوج والأب والأم وتربية الأبناء والبنات وحقوق الجوار، والآن نحن نريد تبديل طرق التعليم ونعيدهن إلى ما هو واجب عليهن.. إننا سنحاول تعليم الإناث على قدر الاستطاعة، والآن المعلمات يجلسن فى بيوتهن ونعطيهن رواتبهن حتى نتمكن من تجديد تعليم النساء، ومازلنا ننتظر فتاوى من العلماء فى كيفية وطرق تعليم النساء والعلوم التى يتعلمنها وبشأن الأماكن التى يتعلمن فيها والسن المناسبة للتعليم!!».

ويرى مولوى خيل أن التعليم الدينى وراء رسوخ الإيمان فى أفغانستان، وأن الطلبة الأفغان رغم الإمكانات البسيطة يتفوقون على أقرانهم فى الخارج، وأن من

يدرسون داخل البلاد لا يقلون علما عمن يذهبون لباكستان للتعلم، وهو يدعو الله أن تمتلىء أفغانستان بالعلماء ويستغنى شعبها عن سائر الناس فلا يحتاج الطلاب للسفر للخارج.. ويؤكد أن هذا هو «أمل وزارة التعليم».

وحول عدم تدريس لغات الأقليات في المدارس يقول مولوى خيل: إن أبناء هذه الأقليات يجيدون الباشتو والفارسية وهما اللغتان الرسميتان فى البلاد.. ويمتدح نائب وزير التعليم المدرسين الأفغان الذين قدر عددهم بـ ٤٠٠ ألف مدرس قائلا: إنهم ذوو همم عالية ويخترعون وسائل لمساعدة الطلاب على التحصيل محتذين بعهد الرسول ﷺ والصحابة رضى الله عنهم، حيث كانت الكتابة تتم على الأحجار والشجر .. لكنه يستدرك قائلا: «إن طلابنا يستخدمون القراطيس والأقلام». وختم مولوى سعيد أحمد شهيد خيل حديثه قائلا: نحن الغرباء بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء و«الصبر مفتاح الفرج»، «إن الله مع الصابرين». نرجو من الله الاستغناء!!

محمد أكبر ندى موظف قديم فى وزارة العدل حيث يعمل فيها منذ ٣٠ عاما يؤدى مهامه فى مكتب بلا مكتب، ويوقع الأوراق على «مفرش» يغطى أرضية حجرته ويقابل أهل الحاجات، هكذا فلا تشعر بأنك فى وزارة أو مكان عمل رسمى، والكثير من المصالح الحكومية فى كابول تدار بها الأمور بهذه الطريقة، ونعود فنذكر بأن طالبان عمرها أربعة أعوام فقط!

وعن الوزارة يقول: إن دورها مراقبة تنفيذ القوانين فى المحاكم والإشراف على النظام القضائى وهى تعمل وفقا لما وصفه بـ «دستور» عبارة عن فرمانات أمير المؤمنين (الملا محمد عمر)، ولهذا الدستور أولوية ثم تأتى بعده قوانين الشريعة، فالقوانين الوضعية التى استقدمت فى عهود سابقة من بلاد عربية مثل السعودية والعراق ومصر، ووفقا لهذا النظام القضائى فإنه يوجد وكلاء الدعوى أى وكلاء النيابة ومحامون، والمحاكم درجات ابتدائية واستئناف ثم المحكمة العليا التى يعتبر رئيسها نور محمد ثاقب من الشخصيات المهمة فى الدولة، وقد رأيته أمام مقر المحكمة مستقلا سيارة مرسيدس سوداء وأمامه وخلفه سيارات حراسة وهو أمر

لا يحدث عـادة مع أي مسئـول من طالبان بما في ذلك الملا عمـر نفسه، وثـاقب هو الذي يختار قضاة المحاكم بموافقة الملا عمر الذي يعين هو نفسه بعض القضاة.

ووفقا لما ذكره محمد أكبر ندي فإن وزارة العدل تعطي التراخيص للمحامين لممارسة عملهـم وتشترط أن يكون المحامي من خريجي كليات الشريعة أو الحقوق، وفي كل ولاية محكمة استئناف وفي المديـريات المحاكم الابتدائية (الولاية مكونة من مديريات).

وعن الفروق بين النظـم القضائية في عهود الشيوعيين والمجـاهدين وطالبان يقول ندي: إن القـوانين الوضعيـة سادت في عهد الـشيوعيين وفي عهد رباني كـان هناك خليط من القوانين وأحكام الشريعة، أما عـهد طالبان فالأولوية لأحكام الشريعة على المذهب الحنفي وهـي الأكثر تطبيقا من القوانـين الوضعية، ويختتم مـحمد أكبر ندي الذي يقـارب عمر السـبعين بـالقول بأن طـالبان أبقـت على ٧٥ موظـفا من العـهود القديمة في الوزارة لكنها جاءت بآخرين جدد وطبعا قيادات الوزارة من طالبان!

الحاج مولوي قـلم الدين نائب وزيـر الأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر هـو أكبر مسئولي طالبان الذيـن التقيتـهم سنا حيـث يبلغ عمره ٤٦ عـاما، وأيضاً أضخـمهم جسما ومع ذلـك لا يخلو من روح الدعابة حيث قال لي ضاحكاً : علـيك أن تحمد الله لأنـني لم أضعك في الـسجن لقصـر لحيتك.. ورددت علـيه بالقول لو انـتظرت حتى تبلغ «الطول الـشرعي» وهو لا يقل عن ١٠ سنتيمترات فقـد أمكث في السجن حتى الـعام المقبـل، ولكنه طـمأنني إلى أن الـعقاب هو ١٠ أيـام سجنا فـقط من دون ضرب وساعتـها اطمأننت إلـى أنني بإمكاني الـعودة بعد ١٠ أيام إذا لم يـكن كلامه مزاحاً خالصـاً، وزادني طمأنة بقوله: نحن لا نـطبق قوانيننا علـى الأجانب، فأدركت ميزة أن تكون أجنبياً في بلد مثل أفغانستان!

يبدأ كلامـه الجدي بالحديث عـن نشاط الوزارة قائـلا :«إن وظيفة الأمر بـالمعروف والنهـي عن المنكر هـي دعوة الناس لتـنفيذ النظـام الإسلامي وتطبـيق الشريعـة على أنفسهم في كل المناطق التي تسيطر عـليها طالبان، والأمر بالمعروف هو في كل ما أمر الله به سـبحانه وتعالى، والـنهي عن كل ما نهى الـله عنه، ونحن نقـدم النصح أولاً. كمـا أمر القرآن الـكريم: «ولـتكن منـكم أمة يدعـون إلى الخيـر ويأمرون بالمـعروف

وينهـون عن المنكـر»، فهناك تـدرج واضح، وفى حالة المخـالفة نقـوم بالتعـزير الذى يحدده المحتسبون (رجال الأمر بالمعروف) وأحيانا تحدده المحكمة والقضاء.

وينفى قـلم الدين الاتهامـات للمحتسـبين بالغلظة فـى التعامل مع الـناس قائلا: «هذه شائعات وأساطير ويروجها من لا يعرفون عن هذه الوزارة شيئا ولا يريدون أن يعرفوا».

ورداً على سؤال عن اهتمام الأمر بالمعروف بأمور شكلية فقط مثل اللحية والشعر دون التـطرق لمسـائل جـوهرية مـثل حض الـناس عـلى العـمل والإنتـاج ومسـاعدة المحتاجين يقول قـلم الدين: «هناك مسئولون لمساعـدة المحتاجين فى وزارات أخرى، أما فـكرة التـركيز علـى الشكـل فهذا كـلام من يعـيشون فى الأسـواق عندمـا يرون المحتسـبين يقبـضون على المخالـفين للـنظام الإسلامى، ونـحن لنا دعاة وجـماعات للتبليغ وهم يلقون دروسا للناس يومـيا بعد صلاتى العصر والمغرب، وهناك لقاءات جماهيرية لتـثقيف الناس، بل إن لنا دعاة فى الوزارات والمصالـح الحكومية وفى كل التجمعات السكانـية ،وهناك برامج دينية للجميع، وعلى سبيـل المثال أعددنا برنامجا يطبـق فى وزارة الخارجية الآن لتـدريس العلوم الـشرعية لمن لـم يتعرفوا جيـدا على الدين الحنيف».

وعن طريقة اختيار العاملين فى الـوزارة يقول نائب الوزير: «الشرط الأول لتعيين العاملين أن يكون الواحد منهم عالماً كامـلاً أو «مولوى» (أكمل تعليمه الدينى) حتى يلم بالمسائل التى تعن له ويفصل فيها ؛ وإذا كانت هناك مسألة لا يستطيع الحكم فيها فهناك مـكتبة ضخمـة فى الوزارة يعود إليـها وإذا لـم يصل إلى حـكم فعليه أن يـلجأ لكبار الـعلماء فى أفغـانستان وإن لـم يستـطع هؤلاء أن يقولوا الـكلمة الفصـل فإننا نستشير علماء باكستان.

وفى إجابـته على سؤال عـما إذا كانت طالـبان هى التـى أصدرت فتوى بتـحريـم الموسيقى والأغانى قال: «تحريم الأغانى والموسيقـى ليست فتوى لعلماء أفغانستان أو لوزارتنـا، بل هى فتـوى لجميع علـماء العالم الإسـلامى، لأن هناك آيـات وأحاديث وأقوالا دينية كثيرة جداً تحرمهما، والغـناء والموسيقى يدعوان إلى الفحشاء والأخلاق السيئة وفـيما يخص منع النسـاء من الخروج بمفردهن يقول: «خـروج المرأة مع محرم

مسألة شـرعية محسومة لابد مـنها وهذا ثابت فى الشـريعة وليس عندنا فـقط، وعلى سبيل المثال ذهاب المرأة إلى الحج لايجوز إلا بمحرم ونحن نتمنى تطبيق هذه القاعدة ولكن حتى الآن لم نفعل وأنت ترى النساء يخرجن إلى الأسواق دون محرم».

وعن عقاب تاركى صـلاة الجماعة قال: «نحن نعاقب تارك الـصلاة لأنها أمر من الله سبحانه وتعالى والأمر للوجوب عند المذاهـب الأخرى وفريضة عندنا ونحن نأمر بإغلاق المحـال وقت الصلاة ونؤمـن هذه المحال من السرقـة حتى يرجع المـصلون»، وعن عدم صلاة المحـتسبين وفقا لـهذا السلوك يقـول: «هذه مسألة شرعيـة هناك من يصلى وهنـاك من يأخذ حذره كما جاء فى الـقرآن الكريم، وعموماً إذا لـم يستجب أصحاب المحال للمحتسبين نضع علامات معينة على أبواب هذه المحال وفى الصباح نغلقها أو نفرض عقوبات مناسبة».

ويؤكد الحاج قـلم الدين أن وزارة الأمر بالمعروف والـنهى عن المنكر تتـلقى أوامر وإرشادات مباشرة باستمرار من الملا عـمر وتنسق مع الوزارات الأخرى وهناك ٦٠٠ من العامـلين فى الوزارة مع المقاتـلين فى جبهات القـتال ليبينوا لهـم أحكام الإسلام ويساعدوهم عـلى تطبيق الشريعة، وأى رجـل يخالف الشريعة من وزيـر إلى صغير يعاقب.

ويشير قلم الدين إلى أن هناك مسائل ترفع للمـحكمة العليا للفصل فيها، ويقول: إنه ليـس هناك كتـاب معين يـرشد «المحتسبين» للـعقوبات حـتى الآن لكن يـجرى الإعداد له حالـيا، والوزارة تستخدم وسائـل الإعلام مثل الإذاعة والصحـف فى نشر توجيهاتها، ووفقا لما ذكره فـإن عدد المحتسبين الآن ٢٥٠٠ رجل بعد أن كان ٦ آلاف من قبل، ويعلل التخفيض بأسباب اقتصادية قائلا: «إن المحتسب ليس له مصدر رزق سوى عمله حيث يـخرج صباحا ولا يعود لبيته إلا فى المـساء»، وعن راتب المحتسب يقول قـلم الدين: إنـه حوالى ٣٠٠ ألف روبـية أفغانـية شهريـا (حوالى ٨ دولارات ونصف تقريبا!).

وردا على سؤال عمن يـأمر رجال «الأمر بالمعروف» وينهاهم عـن المنكر.. يقول: العبـارة خاطئة لأن اللـه سبحانه وتـعالى هو الـذى يأمر بالمعـروف وينهى عن المـنكر

ونحن سبب. ويضيف «إذا خالف الصغير فالكبير يحاكمه فإذا خالف الكبير فهناك من فوقه يحاكمه والصغير أيضاً بإمكانه أن يحيل الكبير إلى المحاكمة». ويستطرد قائلا: «هناك محتسبون فى السجون». انتهى كلام قلم الدين وربما لو كان اسمه سيف الدين لكان مناسبا لعمله وهيئته!

رغم أن الفارق بين لقاء الحاج مولوى قلم الدين والملا عبدالشكور مطمئن رئيس اللجنة الأولمبية كان سويعات إلا أننى أحسست باختلاف هائل فى الشكل والروح، وقد كان مطمئن المسئول الكبير الوحيد من طالبان الذى سمح لى بالتقاط صورة له دون أن يشرع فى وجهى الحجة أو الفتوى الطلبانية الخاصة بتحريم تصوير كل ذى روح. رغم أننى أفلت منها كثيرا إلا أنها كانت بمثابة «سد» فى بعض الأحيان، بل إن مطمئن كان كريماً إلى حد أنه منحنى نسخة أصلية باللغة العربية لشهادة تقدير حصل عليها من الملا عمر!

والملا مطمئن هو بطل سابق فى التايكوندو وقد تدرب فى إيران والصين وتركيا وباكستان وحسب قوله فقد فاز ببطولة آسيا لهذه اللعبة قبل ٦ سنوات وشارك فى مسابقات عالمية وزار دولا كثيرة وهو الآن يقوم بتدريب ١٨ شابا أفغانيا على التايكوندو ليكونوا خلفاءه فى البطولات.

وهو من ولاية لغمان التى يسيطر عليها أحمد شاه مسعود الآن وعمره ٣١ عاما فقط، وقد بدأ الجهاد ضد الروس والشيوعيين قبل ١٣ عاما، وكان ينتمى لحزب «الجمعية الإسلامية» بزعامة الرئيس المخلوع برهان الدين ربانى، ويقول إنه كان يعتقد فى البداية أن أحزاب المجاهدين بما فيهم الجمعية هى لأهل التقوى والصلاح ولكن بعد دخول كابول «رأينا كيف انحرفوا وقتلوا الشعب فتركتهم وانضممت إلى طالبان لكونها حركة إسلامية»، وذلك فى أول ظهور لها.

وحسب مطمئن فاللجنة الأولمبية هى بمثابة وزارة الرياضة فى حكومة طالبان، وهى تشرف على ٢٢ لعبة تمارس فى أفغانستان، وأكثر اللعبات شعبية هى المصارعة وكرة القدم والكرة الطائرة وكرة السلة بالإضافة إلى التايكوندو والبوزكشى التى هى لعبة ليست رياضية بالدرجة الأولى ولكن قبلية تراثية، ويؤكد مطمئن أن هذه الألعاب منتشرة فى أنحاء البلاد، وبينما كنا فى مكتبه بمقر اللجنة

الأولمبية كانت هناك مباراة مصارعة في الاستاد الملحق بالمقر، وتنظم اللجنة مسابقة لدوري كرة القدم وفي العام الماضي فاز فريق من كابول بالبطولة.

ولكن مطمئن يعترف بأن الأحوال الزمنية أحيانا تؤدي إلى إلغاء بعض المباريات أو تأجيلها، ويرى مطمئن أن طالبان أضافت الجديد للرياضة حيث أصبحت لعبة «الكريكيت» شعبية، وعندما سألته عن ارتباط ذلك بعلاقات طالبان بباكستان نفى بابتسامة قائلا: «إنها لعبة أفغانية قديمة تسمى «توبدنده» والأولى أن نأخذ بقديمنا»!

ونفى مطمئن تحريم البوزكشي وهي لعبة خطرة يتسابق فيها «الفرسان» على التقاط تيس أو كبش في الميدان، وهي لعبة خطيرة من لا يجيدها قد يقتل في السباق على التيس أو الكبش، وهي تعكس القوة والمهارة والسرعة وكانت جزءا من الثقافة الحربية للأفغان قبل مئات السنين، ويقول مطمئن: «لقد شاهد الكثير من القيادات «الطالبانية».. مباراة «بوزكشي» بين فريقي «تاخار» و«بلخ» (ولايتان شماليتان) مؤخرا، لكي ننفي للناس ما تردد عن تحريمنا للعبة».

ويضيف الملا مطمئن: «إننا نحظى بعضوية اللجنة الأولمبية الآسيوية واللجنة الأولمبية الدولية ولنا علاقات رياضية مع ١٦٥ دولة ونشارك في مسابقات عالمية». لكنه يستدرك قائلا: إن بعض المشكلات تمنعنا من المشاركة الدولية أحيانا، ويضرب مثلا للنشاط الرياضي الأفغاني على الساحة العالمية بقوله: «في ديسمبر من العام الماضي شاركنا في مسابقة للدراجات في كراتشي ضمت باكستان وكازاخستان وبنجلاديش وحصلنا على المركز الرابع (من بين خمس دول)!!».

ولا احتراف في أفغانستان للرياضيين حيث معظمهم طلبة أو موظفون وفقا لنص كلمات مطمئن، وقد شاهدت في وزارة الإعلام رياضيين يتدربون على المصارعة والملاكمة في «صالة الاستقبال» بعد انتهاء ساعات العمل الرسمي.

وعن التغيرات التي أحدثتها طالبان في ممارسة الرياضة يقول مطمئن: أولا، ألزمنا جميع الرياضيين باللباس الشرعي وقبل ذلك كان بعض الرياضيين لا يسترون عوراتهم، وقد زودنا الجميع بالملابس الشرعية.

ثانيا: كانت العروض الرياضية تبدأ بالموسيقى فأصبحت تبدأ بالقرآن الكريم.

ثالثا: منعنا ممارسة أية رياضة أو أداء أية مباريات أثناء أوقات الصلوات الخمس مهما كانت الظروف.

رابعا: تغيرت سلوكيات الرياضيين حيث كانت تقع أعمال عنف من اللاعبين والجمهور، ونحن لا نتسامح مع أى شخص يلجأ للقوة أثناء المباريات وممارسة الألعاب، رغم أن الرياضيين يتركون اللعب ويشاركون فى الجهاد ضد «المخالفين» أحيانا.

الشيء الذى لم يورده مطمئن وذكرته به هو منع المرأة من ممارسة الرياضة وهو يبرر ذلك بقوله: الشرع لا يمنع المرأة لكن هناك رياضات أصلا لا تناسب النساء، وبالنسبة للرياضات المناسبة لهن فإننا لا نمتلك الإمكانات حاليا لإقامة منشآت رياضية تقتصر عليهن فقط. ويشدد مطمئن على رفض طالبان لممارسة النساء أية ألعاب أمام الرجال قائلا: «نحن مسلمون والشرع لا يجيز ذلك أبدا».

ويؤكد مطمئن أن الملا محمد عمر زعيم طالبان «له علاقة خاصة بالشباب ويعطى اللجنة الأولمبية اهتماما خاصا، وقد منحنى درجة «أستاذ» تكريما للرياضة والرياضيين فى أفغانستان».

ويختتم مطمئن حديثه بحكاية طريفة حيث يقول: إن الملا عمر شاهد «عرضا» لقوته حيث مرت سيارة بها ٢٠ راكبا على بطنه فى قندهار فمنحه جائزة كبيرة عبارة عن سيارة داتسون!

ودعت مطمئن مندهشا وأنا أتخيل «أمير المؤمنين» وهو يشاهد هذا «السوبر مان» الطالبانى وينفحه سيارة طبعا بلا عشرين راكبا، لكن دهشتى كانت أكثر وأنا أقرأ نص الشهادة التى منحها له الملا عمر ويقول فيها بالنص العربى: «صاحب الفضيلة شخصيت الرياضك فى المملكة ملا عبدالشكور مطمئن ابن محمد عثمان مطمئن!».

إظهارا لخدماتـكم الجميلة فى مجال الريـاضة خاصة بعد نصبكم عـلى منصب مقام رياسة العـامة للرياضة البدنية ولجنـة الملى الأولمبيك (اللجنة الوطـنية الأولمبية) ولأجل قيـادتكم السـليمة لحركـة العامة فـى الرياضة الأفغـانى وعلى أن كـل شباب رياضة المملكة الأفغانى فاضوا بسـلامة البدن والروح وهيئوا لخدمة الإسلام والوطن وهب إليك من مقام إمارة الإسلامى فى أفغانستـان درجة العلمية العالية فى الرياضة البدنية وأتقدم بأصدق التهانى لهذه المناسبة وأدعو الله بكم سعادة الدارين.

والسلام عليكم

مجاهد الأكبر خادم الإسلام

أمير المؤمنين ملا محمد عمر مجاهد

«توقيع»

هذه كانت شهادة الملا محمد عمر للملا عبدالشكور مطمئن، وهى مكتوبة بثلاث لغات : الباشتو، والفارسية والعربى، ومن باب «التقدير» أتى مطمئن بمقص وأعطانى النص العربـى بعد أن قصه من الشهادة الثـلاثية، وقد نقلته بالحـرف ومن باب الأمانة عدم تصحيح الأخطاء اللغوية، وحتى لا ننسى هذا كلام «أمير المؤمنين»!

طالبان

العمائم والخناجر والأفيون

9

حصاد الأفغان
الأفيون والألغام!

دار الخيّال

عندما كنت فى إسلام آباد، وقبل التوجه إلى أفغانستان قال لى معارض أفغانى من حزب «الجمعية الإسلامية» الذى يتزعمه الرئيس المخلوع برهان الدين ربانى إن طالبان تصف عائدات المخدرات، خاصة الأفيون بأنها «حلال من حرام»، ورغم تحريم طالبان لزراعة وإنتاج وتجارة المخدرات بفرمان من الملا محمد عمر فهذا المعارض يقول إن التعبير السالف يردده مسئولو طالبان فى مجالسهم الخاصة.

وخلال رحلتى لأفغانستان كان حديث أى مسئول من طالبان عن المخدرات أمرا محرما باستثناء رجلين الأول وكيل أحمد متوكل مستشار الملا عمر والمتحدث الرسمى باسم طالبان الذى أوردت تصريحاته فى فصل سابق ونفى بشدة استفادة طالبان من عائدات المخدرات واعترف بزراعتها قائلا: ليس لدى الحركة ما تقدمه للمزارعين كى يتخلوا عنها، والثانى هو المهندس مير نجيب الله شمس الذى التقيته قبل وداع كابول بيوم واحد، واستحلفنى بنشر حديثه بدقة شاكيا من تحريفات وتشوهات ارتكبها صحافيون آخرون فى أحاديث سابقة له، والمهندس شمس هو السكرتير العام للمفوضية العليا للحد من المخدرات فى «إمارة أفغانستان الإسلامية»، الذى يبدو فى الخمسينيات من عمره وكان مسئولا فى حكومة نجيب الله الشيوعية من قبل ويتحدث الإنجليزية بطلاقة.. وهذا هو نص الحديث:

* ما هو حجم زراعة المخدرات فى أفغانستان؟

ـ اعتمادا على إحصائية العام ١٩٩٧ التى أعدها برنامج الأمم المتحدة للحد من المخدرات فإن ٥٨,٤ ألف هكتار تزرع بالكوكنار (الخشخاش) فى أفغانستان ويبلغ مجموع محصولها السنوى من الأفيون ٢٨٠٠ طن مترى.

* هل توجد معامل لإنتاج المخدرات فى أفغانستان أم يتم تصديرها فى صور مواد خام (المعامل لإنتاج الهيروين والمورفين والمواد الخام هى الأفيون)؟

ـ لقد قلنا مرارا إنه لا يوجد فى المناطق التى تسيطر عليها ألإمارة الإسلامية معامل لإنتاج الهيروين، لكن تقارير بعض وكالات الأنباء العالمية تقول إن هذه المعامل موجودة فى ولايات يسيطر عليها المخالفون (المعارضة) مثل ولاية بادخشان وهى تنتج فى اليوم ١٠٠ كيلوجرام من الهيروين تقريبا.

* ما هى معلوماتكم عن تصدير مخدرات أفغانستان.. الدول المستوردة.. كيفية التصدير.. وهل هناك عصابات منظمة للتجارة؟

ـ ليست لدينا معلومات، وبناء على التقارير التى تنشرها وكالات الأنباء وفهم أصحاب الخبرة فى المنطقة لزراعة وتجارة المخدرات فإن التجار المحليين والمافيا العالمية ينقلون الهيروين والحشيش والأفيون عبر الحدود الأفغانية من ولاية بادخشان الشمالية إلى مدينتى خاروك وكولاب فى طاجيكستان ثم من هناك تنقل بمساعدة فئات عسكرية من دول آسيا الوسطى بواسطة طرق معينة إلى أوروبا وأمريكا.

* هل توجد عقوبات لزراعة المخدرات، وهل هناك طرق لإغراء الفلاحين بعدم الزراعة؟

ـ وفقا للأسس الدينية وحفاظا على القواعد الدولية وضعت فى سجل قانون الحد من المخدرات فى «إمارة أفغانستان الإسلامية» عقوبات متنوعة، ولكن لأن الحرب مستمرة حيث تحطمت «أركان الاقتصاد» وفى ظل الفقر وشيوع الفراغ وعدم تقديم الخدمات اللازمة للفلاحين الفقراء فإن الكوكنار (الخشخاش) لايزال يزرع فى بلادنا، والعامل الوحيد الذى يمنع الزراعة فى هذه الظروف الصعبة هو تقديم المساعدات المالية اللازمة للفلاحين فضلا عن تزويدهم بأدوات ولوازم الزراعة الحديثة حتى يتمكنوا من حل مشاكلهم الاقتصادية ويجدوا البديل للمخدرات بإقبالهم على زراعة محاصيل أخرى مثل القمح وغيره.

* ما هو دور برنامج الأمم المتحدة للحد من المخدرات فى أفغانستان؟

- عدم اعتراف الأمم المتحدة بالإمارة الإسلامية جعلها لا تقدم لمن يهمه الأمر فيها المساعدات المالية والصناعية التى يمنحها البرنامج لدول أخرى بهدف الحد من زراعة المخدرات.

ومن الواضح أن الأمم المتحدة والدول الغربية تنظر إلى أفغانستان بمنظار مصالحها وأهدافها السياسية وتقوم بتحليلات وفقا لذلك، تستخدم فى الضغط على الإمارة الإسلامية وهذه السياسة لا تناسب أبدا المصالح الشعبية لأفغانستان المظلومة!

* هناك اتهامات واضحة لحركة طالبان بالتورط فى زراعة الخشخاش وتجارة الأفيون؟

- إن أى اتهام لحركة طالبان المباركة فى شأن زراعة المخدرات وتصديرها هو محض افتراء يقصد به تهميش الإمارة الإسلامية وتقليل شأنها فى المحافل الدولية. والحقيقة أن الإمارة الإسلامية عملت منذ نشأتها تحت راية الشريعة المحمدية الغراء، ورأت أن من واجبها الدينى والشعبى والدولى إيقاف زراعة المخدرات والحد منها وقد أبرزت سياستها داخليا ودوليا بهذا الشأن، ويشهد على صدق ذلك إحراق ٢٠٠٠ كيلوجرام من الأفيون من قبل الإمارة الإسلامية فى مدينة جلال آباد فى الأول من يونيو/ حزيران (١٩٩٨).

* ما هى أسعار الأفيون فى أفغانستان؟

- تتفاوت الأسعار بتفاوت الأنواع والمناطق التى يزرع فيها (الخشخاش) ووفقا لتصريحات مسئولى برنامج الأمم المتحدة يتراوح سعر الكيلوجرام من الأفيون ما بين ٤٠ و ٨٠ دولاراً أمريكياً.

* ما هو عدد متعاطى ومدمنى المخدرات فى أفغانستان، وكيف يتم التعامل معهم؟

- بسبب استمرار الحرب لا توجد لدينا إحصاءات موثقة أو أرقام دقيقة عن عدد متعاطى المخدرات لكن يسعدنا القول بأن هذا العدد أقل بكثير من الدول المجاورة لنا.

وحينما يتعرف المسئولون إلى هؤلاء المتعاطين يدخلونهم المستشفيات حيث يخضعون لعلاج جدى، وإذا عادوا إلى التعاطى مرة أخرى يعاقبون وفقا للقوانين الشرعية ويحق عليهم التعزير!

* هل لديكم مستشفيات خاصة لعلاج المدمنين؟

ـ نعم، وفى هذه المستشفيات يتلقون الرعاية الطبية اللازمة وفقا لأحدث الأساليب العلمية.

* هل لديكم حملات للتوعية بخطورة المخدرات؟

ــ لتعريف الأفغان خاصة الشباب الذين هم مستقبل إمارتنا بأضرار المخدرات وآثارها السيئة وضعنا خطة كاملة للتوعية تشمل:

١ــ تشكيل لجان تقوم بتحذير الأفغان من تعاطى المخدرات، وأعضاؤها يعملون تطوعا بلا مقابل.

٢ــ تتضمن البرامج التعليمية فى المدارس موضوعات تتحدث عن أخطار المخدرات.

٣ــ نقدم فى الإذاعة تمثيليات عن المخدرات وأضرارها.

٤ــ ننشر مقالات عن المخدرات فى الجرائد والمجلات الأفغانية.

٥ــ الخطب فى المساجد وسيلة للتحذير من المخدرات فضلا عن مؤتمرات شعبية تقام لهذا الغرض.

انتهى حديث المهندس مير نجيب الله شمس ليأخذنا بعد ذلك فى جولة داخل مقر المفوضية ويرينا تحذيرات طالبان من المخدرات سواء الزراعة أو التجارة وبعضها أطلقه الملا عمر متضمنا آيات قرآنية، كما تعرفنا على أنواع المخدرات التى وضعت فيما يشبه المتحف الصغير داخل المفوضية، وخلال الجولة ذكرنا أحد المسئولين بأن الملا عمر أصدر فى العام الماضى فرماناً بحظر المخدرات زراعة وإنتاجا وتجارة، وغادرت المفوضية وما زال فى الذهن الكثير من الأسئلة، والآن أجدنى مضطرا لقطع زيارة كابول «ورقيا» على الأقل للعودة إلى إسلام آباد حيث التقيت الماى شيرزاد

مسئول أفغانستان فى المكتب الإقليمى لغرب آسيا التابع لبرنامج الحد من المخدرات الدولى، والرجل أفغانى، وكان السؤال الذى طرحناه عليه: هل طالبان متورطة فى زراعة وتجارة الأفيون؟ وقد كانت إجابته واضحة «لا توجد لدينا أدلة على ذلك لكن البنك الدولى يقول إن المخدرات هى أحد مصادر دخل طالبان وحسب معلوماتنا فإنهم يأخذون العشر من زراع الخشخاش»، والعشر كما هو معروف هو زكاة الزروع الشرعية.

وعن نشاط البرنامج فى أفغانستان يقول: «إننا نعتمد على بدائل تنموية مثل تعويض الزراع وتحسين الأحوال الصحية وتوفير فرص عمل لكن نشاطنا متوقف منذ ٣ شهور. ويضيف شيرزاد: إن طالبان تريد إظهار التعاون معنا وهى قد قطعت وعودا بمنع زراعة الخشخاش فى مناطق جديدة».

وأحالنا شيرزاد إلى تقرير البرنامج عن أفغانستان للعام الحالى ومن التقارير ما يفيد، غير ذى خبرة فى «دنيا الكيف»!

أبسط ما يقوله التقرير أن أفغانستان هى المنتج الأول للأفيون فى العالم، حيث وصل حجم الإنتاج إلى ٣٢٠٠ طن بزيادة قدرها ١٦٪ فى عام ١٩٩٨، عن عام ١٩٩٧ بينما قدرت الأراضى المزروعة بالخشخاش بـ ٦٣٦٧٤ هكتارا بزيادة بلغت ٩٪ عن عام ١٩٩٧، أما الحقيقة الأهم فى التقرير فإن ٩٦٪ من إنتاج الأفيون يتم فى ولايات تسيطر عليها طالبان، بل إن ولاية بغلان التى استولت عليها طالبان فى العام الحالى زاد إنتاجها من الأفيون بنسبة ١٨٤٪، ووفقا للتقرير فإن ولايتى قندهار وهلماند الجنوبيتين وننجرهار الشرقية توفر ٧٢٪ من أفيون أفغانستان، وحسب التقرير فإن قيمة الأفيون الأفغانى بلغت ١٠٥ ملايين دولار مما يجعله المحصول الأول من حيث الدخل فى البلاد!

ولاحظ التقرير أنه رغم كون الأفيون أغلى سعرا فى الشرق عن الجنوب تقليديا فإن العكس يحدث العام الجارى حيث سجل الكيلوجرام ٢٨ دولارا فى ننجرهار و٣٥ دولارا فى قندهار وهلماند، وحتى نفهم الأمور جيدا فإن سعر الكيلوجرام الواحد وفقا للأرخص يبلغ ثلاثة أمثال الراتب الشهرى لموظف الحكومة!

وبالمناسبة هذا سعر أول بيع، أو بمعنى أدق «سعر الفلاحين» حيث يباع خارج أفغانستان بما يتراوح بين ٨٠ و ٩٠ دولارا، وبالنسبة للفلاحين فإن أسوأ إنتاج ممكن للخشخاش هو أكثر قيمة بمقدار الضعف عن أفضل إنتاج ممكن من القمح، وهكذا يتسبب الأفيون في عجز غذائي يتراوح ما بين شهرين و٧ شهور في بلد يعتمد أكثر من ٨٠٪ من سكانه على الزراعة كمصدر رزق، ليصبح الكيف قبل الخبز أحيانا، وقد يفسر ذلك كون أفغانستان إحدى أفقر دول العالم بمتوسط دخل سنوى للفرد لا يتجاوز ٢٢٥ دولاراً!

والتقرير الذى أعد بواسطة مسح ميدانى توصل إلى نتيجة أخرى مهمة هى أنه لا توجد جهود ملموسة لتقليل زراعة الخشخاش إلا فى مديرية زباك فى ولاية هرات المتاخمة لإيران بينما شهدت ١٠ مديريات جديدة (الولاية مكونة من مديريات) زراعة الخشخاش للمرة الأولى العام الماضى ودخلت فى صفوف المنتجين، وبعبارة أخرى «تخشخشت وتأفينت»!

ولاحظ التقرير أن ولاية بادخشان الشمالية التى يسيطر عليها أحمد شاه مسعود تنتج الأفيون الأغلى سعرا فى أفغانستان حيث يصل هذا السعر إلى ٩١ دولارا للكيلوجرام.. وهو سعر يغرى بالمعارضة على ما يبدو!

ووفقا لإحصائية سابقة للبرنامج فإن متوسط دخل المزارع من فدان الخشخاش الواحد يبلغ ١٣٠٠ دولار سنويا وهو ثروة، فبهذا المبلغ يشترى بيتا فى كابول أو سيارة لا يبعد موديلها كثيرا عن أحدث موديل، وبحسبة أخرى يعادل راتب موظف فى ١٠ سنوات تقريبا.

وقد أجرى برنامج الأمم المتحدة للحد من المخدرات مسحا على تجارة الأفيون فى أفغانستان شمل ٣٨ تاجرا وخرج بنتائج لافتة، وخلص المسح إلى أن مركز التجارة فى الشرق يقع فى بلدة «غانى خيل» التى تسيطر عليها قبيلة شينوارى وتتمتع بما يشبه الحكم الذاتى رغم الوجود الملحوظ لطالبان فيها.

أما فى الجنوب فإن التجارة تبدو لا مركزية والسوق حرة أكثر من الشرق وإن كانت بلدة «موسى قلعة» مركزاً آخر للتحالف «الأفيو دولارى».

وأفيون الشـرق يذهب أغلبه إلـى باكستان أما أفيـون الجنوب فوجهتـه إيران التى تتضاعف الكمية المتجهة إليها، وعلـى سبيل المثال فإن السلطات الإيرانية صادرت فى عام ١٩٩٧، ٦٢ طـنا مـن الأفيـون مقـابل ٢٨ طنـا فى عـام ١٩٩٠، ووفقـا لهـذين الرقمـين بإمكاننـا تفسير هـجوم إيران المستمـر على طالبـان فيما يتصـل بالمخدرات واتهامها بأنها تضخ أطنانا من السموم فى أراضيها.

وتقول نتائج مسح بـرنامج الأمم المتحدة إن الباشتون وهم الأغلبيـة فى أفغانستان يزرعون الخشخـاش فى الجنوب لكن التجارة يقـوم بها البلوش الذين يسـكنون على جانبى الحدود الأفـغانية ـ الباكستانيـة، ولا يوجد دليل لدى البرنامج عـلى أنه يجرى إنتاج هيروين من الأفـيون داخل أراضى أفغانستان، وإن كانت هناك مـعلومات تشير إلى تصنيع المورفيـن بشكل محدود فى الجنوب، وفى كل الأحوال فإن البـاكستانيين يقومـون بالدور الأكبر فـى تجارة المخدرات الأفغانـية وثمة مـعلومات تشـير إلى أن إقليم سرحد وعـاصمته بيشاور، كمركز لإنـتاج الهيروين حيث توجد مـعامل سرية، وبعيدا عن تقارير الأمم المـتحدة فإن هناك حديثاً داخل باكستان نـفسها عن عصابات منظمة تدير «التجارة المحرمة» التى تأخـذ طريقها إلى أوروبا وسط «تغطية فساد» من جانب مسئولين حكوميين باكستانيين وضباط كبار فى الأمن والشرطة.

نعود إلى المسح الخاص بالتجارة داخل أفغانستان حيث يشير إلى أن معظم التجار موظفون حكوميون ومدرسون سابقون أى فى عهد الشيوعيين والمجاهدين، ولم يشر المسح إلى أية صلـة تنظيمية بينهم وبين طالبان، غير أن الأمم المتحدة تلفت الانتباه إلى أن الأمن الذى حقـقته طالبان فى المـناطق التى تسـيطر عليها أدى إلـى رواج التجارة حيث قلـت السرقات واختفت تقـريبا عمليات الخداع بين التجار والنصـب المنظم وهنا تستطيع أن ترى بوضوح أن «من الأمن ما قتل»!

والمثير أن حوالـى ٨٥٪ من التجار أدوا فريضة الحـج، وبينهم عالما دين بـالمقاييس الأفغانية يحملان لقب «مولوى» وكان من الممكن أن يصبح أى منهما قاضياً أو مفتياً أو مدرساً على أقل تقدير، وفى إفادتهم لمندوبى البرنامج اعتبر التجار أن الضرورات الاقتصادية تبيـح المحظورات الدينية، والمدهش أن معظمهـم لا يتوقعون وقف زراعة الخشخاش وتجارة الأفيون فى أفغانستان، ورغم أن الملا محمد عمر قدم عرضا للأمم

المتحدة مؤخرا بتنفيذ حظر الزراعة مقابل الاعتراف بحكومة طالبان فإن هؤلاء التجار يرون أن طالبان لن تقدم علـى مثل هذه الخطوة التى ستثير غضـب المجتمعات المحلية حسب تقديرهم، خاصة أنه لا يمكن إيجاد بـديل سريع «لهيمنة الأفيون» فى القطاع الزراعى، وعلى حـد تعبير باحث أفغانى فـالمخدرات خلقت فى أفغانستـان «منظومة اقتصادية اجتماعية».

ومما يثيـر العجب فى إفادات التـجار الأفغان تحريمـهم لصناعة وتجارة الـهيروين الذين لا يقارنونه بـالأفيون رغم أنه «ابن شرعى» له كما أن معظم أفـيون أفغانستان يأخذ طريـقه إلى الأسواق العالميـة فى صورة هيروين، وتـشير إحصائية سـابقة للأمم المتحدة إلى أن ٨٠٪ مـن الهيروين المستهـلك فى أوروبا يخرج من قلـب الخشخاش الأفغانى أفيونا خاماً!

وفى إطار المنـظومة الأفغانيـة ثبت للأمم المتحدة أن الـتجار يعطون الـزراع مقدما لأثمان أفـيونهم يـصل بعضهـا إلى ما يقـترب من هذه الأثمـان ويسمى هـذا المقدم «سلام»، ولكن ذلك يتم بحذر وليس مع كـل الزراع خشية تعرض المحصول للهلاك لأسباب تتعلق بالطقس أو الآفات، وعلى سبيل المثال فإن الطقس كانت له آثار سلبية فى إنتاج الأفيون فى الولايات الجنوبية فى عام ١٩٩٨ فـ «السلام» مشروط ولابد أن يكون هناك أساس لمبدأ «الأفيون مقابل السلام»!

وتقول الأمم المتحدة فى نتائج المسح إن التـجارة علنية داخل أفغانستان والأسواق مفتوحة للـجميع فضلا عن تجارة موازية تـتم من البيوت، وفى منطقـة سانجيان سوق بها ٢٠٠٠ مـحل اسمه «سوق الأفيـون» والتجار الصـغار يأتون بالأفيـون من الزراع لهذه السوق حيث يختـار التجار الكبار الأنواع التى يريدونها للتصديـر تمهيدا لبيعها لـ «البـارونات» الذين يحولونـها إلى هيروين فى بـاكستان أو طاجيكـستان أو إيران لتأخذ طريـقها إلى المستهلك الغـربى، وكما نقل صحفى غربـى عن زارع خشخاش أفـغانـى ذات مرة «الـغـرب يرسـل لنـا الـسلاح وطـلقـات الـرصاص ونـحن نـرد بالهيروين»!

وتجار الأفيون الأفغان يمثلون طبقة ثريـة وقد أشار المسح إلى أن معظمهم له أكثر من زوجـة، وكما لاحـظنا مـن قبل فـى كابـول فإن التـجار هم الآن فـى قمة الـهرم

الاجتماعي الأفغاني سواء من يتاجر في المعلبات أو السيارات وبالمثل الأفيون فهم «ذواقة الدولارات»، ولا ننسى أن حدود أفغانستان شبه مفتوحة والتهريب في انتعاش مطرد.

والتجار يمارسون حرفتهم بإخلاص مع الأفيون فبعضهم لا يقوم ببيعه أو بمعنى أدق تصديره في موسم الحصاد بل ينتظر حتى يقل المعروض وهنا قد يحقق ثروة إذا كانت لديه عشرات الكيلوجرامات من هذا المخدر الذى يستخرج سائلا من ثمار الخشخاش التى تؤتى محصولها بعد ٤ أو ٥ شهور فقط وتحتاج زراعتها إلى كميات قليلة من المياه.

هذه هى قصة الأفيون والخشخاش نتاج الأرض الأفغانية وفقا للمعلومات المتاحة ولا شك أن هذا ليس كل الحقيقة التى تبوح بها الأرض والناس!

ننتقل إلى قضية الألغام، التى تشى بها السيقان الصناعية و«اللاسيقان» التى شاهدناها فى المدن الكبرى خاصة كابول وقندهار، ومن الحقائق المفجعة أن أراضى أفغانستان تحوى حوالى ١٠ ملايين لغم منتشرة فى مساحة ٧٢٥ كيلومترا تتركز فى ولايات كابول وقندهار وبادغيس وبغلان وبلخ وهرات وكابيسا وقندوز وخوست ولغمان ولوجار ونـنجرهار وباكتيا وبروان وهذه الولايات تمتد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وتقول إحصاءات الأمم المتحدة إن ٢٠ شخصا يسقطون يوميا فى أفغانستان ما بين قتيل وجريح بسبب الألغام فى حين يقدر عدد من بترت أعضاء لهم بسبب الألغام بحوالى نصف مليون أفغانى.

وفى كابول التى توصف بأنها العاصمة الأكثر تلغيماً فى العالم حيث تحيط بها حقول ألغام من عدة جهات التقيت المهندس أمير محمد مساعد منسق وكالة التخطيط لإزالة الألغام وهى إحدى المنظمات غير الحكومية الدولية المشاركة فى جهود نزع الألغام من الأراضى الأفغانية، وقد بدأ حديثه بالتحذير من تصديق الأرقام المعلنة عن ضحايا الألغام قائلا: إن هناك قتلى ومصابين يسقطون يوميا ولا يسمع بهم أحد لأنهم فى مناطق بعيدة، كما لا يذهب بعض المصابين إلى المستشفيات.

ويشير محمد إلى أن منظمته التى يمارس نشاطها فى أفغانستان نحو ٤٥٠٠ موظف ومهندس وعامل أفغانى، تعمل بالتنسيق مع حكومة طالبان، وهى تتلقى طلبات من السكان لنزع الألغام فتذهب الفرق الخاصة بذلك إلى موقع الألغام وهى تبدأ بتصويره ثم عمل مسح شامل له وصولا إلى نزع الألغام المتعددة الأنواع والأحجام، ويقول إن الكلاب المدربة تستخدم أحيانا فى الكشف عن الألغام.

ويؤكد محمد أن المهمة ليست سهلة حيث توجد ألغام مترابطة بتوصيلات كهربية وعندما تنزع لغماً ينفجر آخر، أما فى حالة تعرض السكان لها فقد تؤدى منظومة الألغام هذه إلى ما يعادل ضحايا صاروخ قصير المدى!

وبالقطع يسقط بعض «الشهداء» من بين «مطاردى الألغام» الذين يتلقون تدريبات خاصة مكثفة، ويقول إن بينهم «ملالى» أى طلاب تعليم دينى. لكنه يستدرك قائلا: إننا فى حاجة إلى المتلقين تعليما عصريا أكثر، فلابد لمن يعمل معنا أن يكون ملماً بالرياضيات. ويسخر من بعض دارسى العلوم الدينية قائلا: «فيهم من لا يعرف حتى الإمساك بالقلم»!

وحسب المهندس أمير محمد فإن لمنظمته برامج للتوعية بالألغام يشارك فى تنفيذها أجانب أحيانا، فضلا عن سيدات أفغانيات يخاطبن النساء لهذا الغرض أيضاً، وبعض هؤلاء السيدات يذهبن للقرى ويجتمعن بساكناتها لتحذيرهن من خطر الألغام وكيفية التعامل معها.

ويؤكد محمد أن نزع الألغام ذو تكلفة باهظة رغم أن راتب «النازع» يتراوح ما بين ١٣٥ و ٢٠٠ دولار فى الشهر حيث تتكلف إزالة ألغام مساحة تقدر بـ ٢٠ كيلومترا حوالى مليونى دولار، والمشكلة أن هناك ما يشبه السباق بين نزع الألغام ووضع أخرى جديدة من جانب الأطراف المتحاربة، وحسب قوله فإن المعارضة هى الزارع الأكبر للألغام فى أفغانستان فى حين أن طالبان زاهدة فى زراعتها (هذا قبل أن تقرر طالبان مؤخرا حظرا شاملا للألغام حسب بيان رسمى).

ويضيف المهندس أمير محمد: إن الروس سلموا خرائط لحقول الألغام التى زرعوها أثناء احتلالهم لأفغانستان للمنظمات العاملة فى مجال نزعها لكن المصيبة

هى أن «المجاهدين» الذين كانوا يقاومون الروس زرعوا الألغام بشكل عشوائى قرب مناطق سكنية وزراعية دون أية خرائط أو معلومات فيما أطلق عليها «الحقول العمياء»!

ويكشف محمد عن «حروب ألغام» تتم بين القبائل والعشائر الأفغانية المتصارعة حيث يقوم بعض أبنائها الخبراء فى التعامل مع الألغام بتبادل زراعتها أمام المنازل، ويقول: إن فريقا منا ذهب إلى إحدى القرى ذات مرة لنزع ألغامها وبينما كان أفراده يؤدون مهمتهم دخل أحد الفلاحين «منطقة الخطر». وأمسك لغماً بيديه وحمله بعيدا، فحذرناه من ذلك فرد علينا بقوله: «أنتم تخافون كثيرا لقد نزعت بمفردى أكثر من ٢٠٠ لغم قبل ذلك»!

ويتحدث المهندس أمير محمد عن فظائع تحدث أحيانا بسبب الألغام حيث تمر حافلة فى حقل ألغام وتكون النتيجة «مجزرة» بلا جناة ولاتهم، ولا ينسى محمد مشهد حوالى ١٥ شخصا مزقت أشلاؤهم فى قرية شارخاب القريبة من كابول نتيجة اصطدام حافلتهم الصغيرة بلغم وكأنه لا يكفى أفغانستان أن أبناءها من أقصر البشر أعمارا فى العالم حيث يبلغ متوسطها ٤٤ عاما فقط، فالموت هنا زراعة وصناعة وتجارة!

طالبان

العمائم والخناجر والأفيون

10

«أحلام المجاهد القديم»!

دار الخيّال

«دقت الساعة المتعبة» وفى ليلة السفر وبعد ثمانية أيام فى كابول.. هذه المدينة المدهشة، كنت ألملم أوراقى وأشرطتى وذكرياتى، ولا يمكن نسيان ذلك الفتى الأزهرى محمد قاسم المسئول فى وزارة الخارجية وزميله الأزهرى أيضًا عبد الله عبد الغفور اللذين يحلمان بعلاقات طيبة لإمارة أفغانستان الإسلامية بكل دول العالم، وعندما أتيا ليلاً لوداعى فى الكونتيننتال وسط مخاطر القصف الصاروخى قالا لى: إننا متأكدان أنك ستأتى يوما إلى كابول فى وقت قريب «حيث لا صواريخ ولا خرائب ولا متسولون» مؤكدين أن الشعب الأفغانى قادر على النهوض وأن طالبان ستتطور إلى الأفضل، وتذكرت اللقاء الأول معهما عندما فوجئت برجل أنيق على غير عادة مسئولى طالبان، وذى لحية تفوقهم طولا أثناء جدل صاخب مع موظف فى وزارة الخارجية وهو يقول لى بلهجة مصرية مكسرة، إيه ياعمنا عامل دوشة ليه، فابتسمت وأخذنى بالأحضان .. كان الرجل محمد قاسم الذى قدمنى إلى زميله عبد الله عبد الغفور الأزهرى ودار حوار حار عن مصر!

أحسست فى قلب آخر ليلة فى كابول بانحياز كبير فى أعماقى لهذه المدينة، وأننى سأفارق حبيبة لم أر سوى وجهها البائس وحزنها الشامخ، وحتى الكونتيننتال هذا الفندق الذى يبدو كشبح هائل وسط أضواء المدينة لم يعد رمزا لأيام تعيسة وتواريخ دامية، وعندما تأملت الصحافيين الغربيين الذين سمح لهم بالقدوم إلى كابول بعد

حوارات مقتضبة معهم، أدركت كم يعامل الغربيون بعض الشعوب كمادة للإثارة والتسلية وينحتون التعبيرات التى تشى ببعض الحقائق وتخفى أغلبها، كما تذكرت وصايا بعض أبناء كابول لى بدعوة المسلمين القادرين لتقديم مساعدات للشعب الأفغانى، وحامت فى الذاكرة صورة امرأة رأيتها فى إحدى أسواق كابول تعرض ساعة يد للبيع دون أن تجد مشتريا فذهبت مسرعة هاربة من الزمان والمكان وضعف الإنسان أمام الفقر الأشد فتكا من الصواريخ، والذى يتحدى شعارات، «الشريعة»، و«الجهاد» و«العدل»!

جاء آخر صباح لى فى كابول، وكان مرافقنا من طالبان مصباح الله يعتزم الذهاب معنا إلى جلال آباد مدينته لكنه وبعد أن وصلنا إلى المحطة غير رأيه وفاجأنى بوداع لم أكن مهيأ له وتركنى بصحبة محمد المترجم ومرافق آخر هو مولوى سردار شيرزاد المسئول فى وزارة الخارجية ، وكانت آخر كلماته «تالبانو تالبانو زندباد» أى «تعيش طالبان» التى طالما رددها ونحن معا فى ليالى قندهار وكابول وهرات، وابتسمت وأنا أودعه باللقب الذى يحبه «السلام عليكم أسد جلال آباد» التى كتب لنا زيارتها من دون هذا الأسد الذى يتمنى أن يحلم بامرأة جميلة تأتيه فى منامه فتخفف عنه وحشة القتال وظمأ أعوامه الثمانية والعشرين!

فى الطريق إلى جلال آباد مررنا بما كان يسمى فى عهد الشيوعيين بالأكاديمية العسكرية التى تخرج ضباطا لكافة أفرع الجيش والآن أصبحت قاعدة لطالبان التى لا يتلقى أفرادها أى نوع من الدراسة العسكرية ولا يوجد فيها ضباط أو أى رتب، وليس هناك من يرتدى زيا عسكريا باستثناء شرطة المرور فى المدن الكبرى التى تنتمى لعهود سابقة وليست من تشكيلات طالبان.

غير أن جيش طالبان مكون من وحدات شبيهة بما لدى الجيوش النظامية، فهناك «الدلقى» أى الفصيلة وهى تضم ما يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ مقاتلا، ثم هناك «كندك» أى كتيبة وعدد أفرادها يصل إلى مئات المقاتلين ثم يجىء بعد ذلك إلى الـ «غن» أى اللواء وأكبر تشكيل هو الفرقة، والاتصال يتم بين كافة التشكيلات باللاسلكى وعلى سبيل المثال فإن قيادة طالبان فى قندهار تتلقى أخبار الجبهات العسكرية بهذا الجهاز فى ظل غياب الخطوط الهاتفية.

وفي الطريق من كابول مررنا ببلدة سروبي التي كانت أحد معاقل الحزب الإسلامي الذي يتزعمه قلب الدين حكمتيار، وحسب رواية مرافقنا «الطالباني» سردار شيرزاد فإن أحد القادة الميدانيين لحكمتيار ويدعى زرداد خان فريدي كان له «باتك» أي نقطة تفتيش على هذا الطريق وكان في النقطة التي هي عبارة عن خيمة، رجل طويل الشعر والقامة قبيح الوجه ذي أنياب طويلة ويمشي على أربع قد ربطه رجال زرداد بحبل في أحد أعمدة الخيمة، وكان يسمى «كلب زرداد»، وكل من يمتنع عن دفع ضريبة المرور التي كانت شائعة في عهد المجاهدين يلقونه لهذا «الإنسان الكلبي» فيضطر للدفع ويخرج الخبيء من الأموال والنفائس حتى يهرب من هذا الفزع الرهيب، ولا يقع ضحية «لهذا الوحش» الذي قد ينهشه بأنيابه!

. أصابتني هذه الحكاية بالكآبة خاصة أن شيرزاد أقسم لي أنه رأى بنفسه هذا «الكلب البشري» وأنه تعرض للضرب على أيدي رجال زرداد، وفيما بعد أكد لي أفغاني معارض لطالبان في إسلام آباد قصة كلب زرداد التي ليس أمام الذاكرة سوى «ازدرادها»!

وفي سروبي توقفنا في مطعم، وبالمناسبة الأفغان يسمون المطعم «هوتل» وبعضهم يعربه «فندقاً»، وقد قابلت صاحب المطعم ويدعى غلام حضرت وهو يقول إنه كان يعمل فيه قبل مجيء طالبان أثناء سيطرة حكمتيار على البلدة مقابل النوم والأكل فقط، وعندما جاءت طالبان أجرته له، وهو يقول أن مسئولي طالبان وأفرادها يدفعون مقابل تناول الطعام وليس هناك «بلطجة» مثلما كان يحدث في عهد المجاهدين بحيث اعتاد قادتهم ومقاتلوهم الأكل المجاني في كل مكان وكأنهم كانوا يحصلون على «ثمن الجهاد» بأثر رجعي!

ويؤكد حضرت أنه لم ير من طالبان شيئا يكرهه وهو يعتقد أنها قد تسمح لحكمتيار بالعودة إلى أفغانستان إذا تاب واعتذر للشعب الأفغاني بغض النظر عما فعله في سروبي وغيرها!

ودعنا سروبي وبعد حوالي ساعة تقريبا وجدت الطريق يأخذنا لأعلى.. لأعلى حتى وصلت بنا السيارة إلى ارتفاع لا يقل عن ٥٠٠ متر، بينما السائق واسمه محمد

شاه يصارع الوحشة والمطبات وضيق الطريق الذى لا يحميه سور بل ويميل إلى السرعة أحيانا، ورغم المنظر الطبيعى الجميل لمياه تتساقط منْ أعلى الجبل فى المنحدر أسفل الطريق فإن الخوف يهزم الجمال والإطراق خير من مجرد تخيل السقوط!

وصلنا جلال آباد ومنذ البداية كان هدفى واضحا، فلم أنشغل بتأمل المدينة بشكل أعمق من الظاهر وإن استلفت الانتباه لمسات الجمال فى أشجارها وبيوتها ونظافتها النسبية بالقياس لقندهار على سبيل المثال، كان لقاء مولوى يونس خالص هو همى الأكبر، ومن حسن الحظ أن مرافقنا سردار الذى صاحبنا فى الرحلة من كابول على مدار ٥ ساعات كان يعرف بيت خالص ويعرفه شخصيا أيضًا حيث حارب فى فصيلة «الحزب الإسلامى» الذى انشق عن الحزب الإسلامى «حكمتيار» فى العام ١٩٨٠، والحق أن خالص غنى عن التعريف فى تاريخ الجهاد الأفغانى، وهو يحظى باحترام قطاعات واسعة من الأفغان فى الداخل والخارج خاصة أنه لم يتورط هو وفصيله فى كوارث ما بعد الشيوعية.

وكنت أعتقد أن بيت خالص فى قلب المدينة، لكننى فوجئت بأنه يقع خارجها فى «البرارى» وعندما وصلنا إليه أحسست أن الرجل يريد أن يعيش نوعا من العزلة الداخلية رغم أنه ليس من أعداء طالبان وبعض قادة الحركة وعلى رأسهم الملا محمد ربانى رئيس حكومة طالبان والملا محمد حسن وزير الخارجية فضلا عن جلال حقانى أكبر قادته الميدانيين الذى يشغل الآن منصب وزير الحدود والشئون القبلية كانوا معه فى الحزب أيام الجهاد.

دخلنا ساحة البيت البسيط الذى يحرسه مقاتلان من طالبان حيث استقبلنا حفيده الصبى وجلسنا ننتظر الشيخ الذى يكمل عامه الثمانين بعد شهور قليلة، ولاحظت على أحد الحوائط وثيقة عنوانها «إفتاء فى عدم جواز التصاوير والأوثان من جانب اتحاد علماء أفغانستان» إلى جانب آيات قرآنية ولفظ الجلالة فى إطارات.. لم يطل انتظارنا وإن كان ما يثير قلقى هو قرب موعد صلاة الجمعة مما قد يعنى حوارا مقتضبا، وعندما أطل الرجل متوكئا على عصاه وقد استند إلى حفيده بدا المرض متمكنا منه ولكنه رحب بنا بحرارة وخاطبنى بعربية سليمة بل وبليغة، وأشهد أنه أفضل أفغانى على الإطلاق فى إتقان اللغة العربية.. طبعا من بين من قابلتهم فى أفغانستان وباكستان، وقد أصر على أن يكون الحديث بلغة القرآن.

وبدأ الحوار الذى استبقه بإبداء أسفه لعدم قدرته على الذهاب إلى كابول لحضور مؤتمر أهل العقد والحل أو مجلس الشورى الموسع قائلا: لا أستطيع أن أجلس دون مساعدة ولا أصلى واقفا، لا أريد أن أكون سببا فى إزعاج أحد».. والآن إلى أسئلتنا وأجوبته:

* بدأتم الجهاد منذ زمن طويل لكن للأسف ما آل إليه كان مؤسفا، هل توضحون لنا ما كان قبل ظهور طالبان؟

- العلوم الإسلامية تجيز الجهاد تحت إمرة أمير تتبعه الجماعة، والرسول ﷺ يقول: «الإمام جُنة»، وللأسف نحن بدأنا الجهاد دون أن نعين أميرا واحدا حتى نكون على كلمة واحدة وهذا أول خطأ ارتكبناه، ومع مجيء الشيوعيين إلى الحكم هاجرنا إلى باكستان جزى الله الباكستانيين حكومة وشعبا كل خير إذ رحبوا بنا ترحيبا لا يقوم به الأخ لأخيه، وسمحوا للمهاجرين الأفغان بأن يسكنوا فى مزارعهم ولم يضايقوهم بل كانوا يقولون لهم نحن أخوانكم مع أن الحكومة السابقة (فى عهد ظاهر شاه) كانت عدوا لباكستان وكانت تتصرف بأمر الهند وأخذت تثير قبائل باكستان باسم «باشتونستان»، وقد كنت صحافيًا فى عهد ظاهر شاه وللأسف كتبت مقالات وأشعاراً تدعو لإقامة «باشتونستان» (دولة من الباشتون الباكستانيين والأفغان)، ولم أكن أدرك أن هذا الأمر من دسائس الهند، ورغم أننى عملت مدرسا فى جامعة كابول ١٧ عاما بالإضافة إلى عملى كصحافى إلا أننى لم يكن لدى الوعى الكافى لفهم هذه الدسائس.

وقد بدأت الحركة الشيوعية الإلحادية فى عهد الملك (ظاهر شاه) فألفت كتابا ضدها طبع على حساب الحكومة، ثم جاء عهد داود (محمد داود هو ابن عم ظاهر شاه وكان رئيسا للوزراء وعزل ثم قام بانقلاب فى العام ١٩٧٣ بمساعدة الشيوعيين واستولى على الحكم وقد انقلب عليه الشيوعيون وقتلوه وتولوا الحكم فى العام ١٩٧٨)، ورأيت كابول مقرا للفواحش فذهبت إلى أمريكا ثم ألمانيا، وبدأنا حركتنا بعد ذلك ضد حكم داود والشيوعية أنا وبرهان الدين ربانى وقلب الدين حكمتيار وقد أخذت السلطات تقبض على أعواننا فهاجرنا إلى باكستان كما أسلفت.

وظني اليوم أن ما حدث بعد بدء الجهاد ضد الشيوعيين من انقسامات وراءه باكستان، حيث كانت المنظمات التى تشكل وليدة لاختيار الحكومة الباكستانية، وهى التى أمرت صبغة الله مجددي بإنشاء منظمة وربانى بأخرى، ورغم ذلك سعينا إلى الاجتماع على أمر رجل واحد ولكن حكمتيار كان يتخذ اليوم موقفا وفى اليوم التالى نقيضه وكنت معه (فى الحزب الإسلامى) فقلت له إما أن تترك هذا السلوك أو نفترق. فقال: لا أعرفك!

وقلت نذهب إلى الداخل (أفغانستان) للجهاد مع شعبنا وبدأنا الجهاد المسلح.

* كيف كانت أولى خطواتكم فى الجهاد وبعد دخول أفغانستان؟

- بدأنا بقطع الخطوط الهاتفية حتى نشوش على الحكومة وكنا نكتب منشورات ونلقيها للناس لكى نوجد فيهم الوعى ونقلق الحكومة وعملاءها ونخيفها، وفجرنا بعض القذائف فى الأماكن الخربة حتى لا نؤذى الشعب، وأول قنبلة فجرناها فى سينما خالية من الرواد فى جلال آباد قبل ١٩ عاما وكان معى فى ذلك الوقت ٧ مقاتلين فقط.

وقوانا الله بعد ذلك وكبر الجهاد لكن الأخوة (زعماء جماعات المجاهدين الأخرى) اختلفوا على الكرسى وكل واحد منهم كان يريد أن يكون رئيسا، فجاء بعض الأخوة العرب ووحدونا (عام ١٩٨٠)، وحدث انشقاق أخينا عبد رب الرسول سياف الذى انفرد بتنظيم الاتحاد الإسلامى (كان فى الأصل ائتلافا لأحزاب المجاهدين السنة)، وبعد ذلك حدث قتال بين رجال حكمتيار وربانى داخل أفغانستان، وكنا نجنب الطرفين الخطر بإعطاء مقاتليهم بطاقاتنا بحيث لا يتعرضون لهجمات متبادلة.

وأنا لا أعتبر نفسى خير المجاهدين، فقد كان هناك من هو أفضل منى رغم أنى كنت آقاتل بنفسى وأطلق أول طلقة، وقد كنت قائدا لحقانى (جلال الدين حقانى) لكنه أكثر منى جهادا وأحسن تدبيرا، وهناك آخرون مثله ونسأل الله ألا يجعلنا مغرورين ومهووسين بما ليس فينا!

* ماذا حدث عند انتهاء الحكم الشيوعى؟

ـ جاءنا الخبر أن نجيب ترك الكرسي (١٥/ ٤/ ١٩٩٢) فقال الأخوة (الباكستانيون) يجب أن تعينوا واحدا منكم رئيسا حتى لا يأتوا بظاهر شاه، سلمت الأمر لبقية الأخوان، فاختاروا صبغة الله مجددي وبعد انتهاء فترته قال لا أستطيع أن أترك المنصب. ووصف عبدالرشيد دوستم الكافر بأنه مجاهد كبير أملاً في الحصول على مساعدته ولكن دوستم أدرك أن ورقته خاسرة، وبعد ذلك جاء الأستاذ ربانى وتخطى الفترة المحددة أيضاً وقال لا أترك الرئاسة حتى أموت. ووقع ما وقع ودمرت كابول أكثر مما حدث لها في عهد الروس. وقتل مجاهدون في الاقتتال أكثر ممن قتلوا على أيدى الروس والشيوعيين.

* ما موقفكم بالتحديد عندما وصلت قوات المجاهدين إلى كابول؟

ـ كنا محايدين وكان لدينا مقاتلون شاركوا فى «فتحها»، واتصل بى أحد قادتى الميدانيين من كابول وقال لا أريد السيطرة على جزء معين. فقلت له: فعلت خيرا. وترك كابول وانسحب، ووقع اشتباك بين قوات ربانى وحكمتيار فتوسطنا بينهم وقلنا لهم عليكم أن تختاروا أحدكم رئيسا والآخر رئيسا للوزراء، وحدث ما حدث وفعلوا ما فعلوا حيث كان من يعملون تحت إمرتهم يرتكبون الفواحش ويسرقون أموال الناس وذهب المجاهدون حقا إلى قراهم وبلداتهم وأوصيت الأخ ربانى قائلا إما أن تختار الكرسى أو القوة، وقلت له: لا تسلط جماعتك وحدها على أفغانستان إذ أنك لا تستطيع السيطرة على البلاد كلها، وأود أن أقول إنه فى زمن الجهاد لم يكن هدفى السيطرة على أراضٍ أو ولايات، بل الجهاد ذاته.

* إذن أنتم دائما مع مشاركة جماعية فى السلطة؟

ـ نعم، وقد قلت ذلك لربانى وذهبت إليه فى قصر شاه وكان معه قائده أحمد شاه مسعود، وأوضحت له أن القوة فى أفغانستان للعلماء والمجاهدين والشيوخ «أهل العقد والحل»، وطلبت منه أن يجيء بهم حتى يرضوا عنه، وقلت له بوضوح: «أنا الآن لست معك لأننى لا أشعر بالاطمئنان تجاهك وأنت تدير الأمور كما كان فى زمن ظاهر شاه والروس». فقال مسعود: قولك حرى بالقبول. وقال ربانى: إن شاء الله سنفعل ولكن ما فعل!

* متى علمتم بنشأة طالبان؟

ـ بعدما تكونت مباشرة وذهبت إليهم (في قندهار) وقابلت الملا محمد رباني (رئيس حكومة طالبان الآن) والترابي (الملا نور الدين الترابي وهو وزير العدل الآن في حكومة طالبان) والملا محمد حسن أخوند (وزير خارجية طالبان الآن) والملا عبد الرزاق (أحد القادة العسكريين لطالبان) وكانوا معي في زمن الجهاد.

* إذن أصبح «مجاهدوك مع الطلاب»؟

ـ بل الطلاب معهم، وللعلم فبعد نشأة الحركة أمرت قادتي بتزويدهم بالأسلحة.

* ماذا قلت لهم عندما ذهبت للمرة الأولى؟

ـ قلت لهم: عليكم، ألا تكتموا الأمر عن العامة اظهروا كل شيء كما قلت لهم: ليس لكم أن تبدؤوا القتال، عليكم أولا أن تضربوا قاطعي الطريق والمفسدين، ولكنهم قبل أن يصلوا إلى «غزني» (ولاية في الجنوب الشرقي) بدأ رجال حكمتيار بالقتال معهم، فلما رأى مقاتلو طالبان أنهم نجحوا في المعارك اتجهوا إلى كابول، والآن لايزالون يقاتلون وأرى أنهم خسروا في هذا الأمر كثيرا ولو بقوا على ما كانوا عليه لدخلوا المدن دون قتال.

* بعد أن دخلوا كابول وجاء وقت «بيعة» الملا محمد عمر «أميرا للمؤمنين» ماذا كان موقفكم؟

ـ أرسلت اثنين من أخواني حفظة القرآن، وقلت لهما قبل الرحيل عليكما أن تدققا في الأمر فإن كان صحيحا عليكما أن توافقا وإلا فالمعارضة صراحة، فلما عادا قالا: بايعناه. فقلت: رأيتما خيرا وحكمتما عدلا!

* كيف تطورت علاقتكم مع طالبان بعد ذلك؟

ـ ذهبت إليهم مرة ثانية وثالثة ورابعة، وقلت لهم كان في جنود رسول الله ﷺ من خاطبهم بقوله: «منكم من يريد الرياء» فلا يصيبنكم الغرور ومن الممكن أن يكون منكم الخبثاء، عليكم أن تدققوا في الأمر فلا تزعجوا الناس، والله يقول: «يا

أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين».

وخطبت فيهم يوم جمعة وقلت لهم لا تغرنكم الغلبة فحينما غرت صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم انهزموا يوم حنين، والله يقول: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾.

* الآن هل يستمعون لنصائحكم؟

ـ العلماء منهم يستمعون أما العوام فليس هناك موضع لا يكون فيه فاسد أو سيىء!

* هل تنصحونهم مباشرة؟

ـ نعم أكتب إليهم وكنت أذهب إلى قندهار قبل أن أصاب بالعرج وقبل يوم واحد كتبت خطابا إلى الأخ الملا محمد عمر حيث قلت له عليك أن تسهل الأمور وتتباحث مع إيران حتى لا تكون سببا فى تقاتل بين أهل السنة وأهل التشيع فإننى ما رأيت فى تاريخ الإسلام اقتتالا بين الجانبين ونحن نحسب أهل التشيع أخوة مسلمين وعلينا أن نتسامح معهم فإن فيهم علماء يقرؤون القرآن الكريم، وعندما كنا نذهب إلى طهران كانت هناك عجائز يأتين ويتعلقن بجيوبنا طالبات صدقات ولو أنهن كن لا يحسبننا مسلمين ما سألننا!

* عندما ترسلون خطابا للملا عمر هل يرد عليكم أو ترون رد فعل لنصيحتكم؟

ـ لا يرد، ولكن فى بعض الأحيان أرى استجابة للنصيحة فى الفعل والسلوك.

* هناك من يرى أن انتقال الطلاب إلى مرحلة الدولة من مرحلة الحركة يحتاج إلى توجهات وسلوكيات مختلفة؟

ـ هذا صحيح والرسول عليه الصلاة والسلام عندما شكل حكومة قال عن أهل الذمة: «دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا». وهذا لم يكن كذلك قبل الدولة التى تتطلب التسامح أكثر من الحركة.

* ثمة من يرى أيضًا أن هؤلاء الطلاب صغار السن وليس بإمكانهم إدارة شئون البلاد، وعلى سبيل المثال طالبان تأتى بطالب لم يكمل تعليمه وتعينه رئيسا لبنك أو نائبا لوزير وهو ليس عليما بمهام منصبه؟

- الله تعالى يقول : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾. وعندما سيطرنا أيام الجهاد على مديرية «خواجة زائى» (قرب جلال آباد) وعينا لها مسئولا لإدارتها أنا أقسم أنى رأيت الذى يدخن البانجو وقد تركه بمحض إرادته واللصوص أصبحوا حريصين على الصلاة، فالله هداهم ولو عمل بالدين العامل أو المسئول فالله معه ويلقى فى صدر من هو عليم بالأمور الرهبة والتقوى فيساعدهم.

* إذن أنتم لا ترون ضرورة للخبرة إذا كان الطلاب مخلصين؟

- إذا كانوا مخلصين لله تعالى فالخبراء بالأمور قلوبهم بين إصبعى الرحيم وهو يولد فى هذه القلوب المحبة لأهل الدين، أما إذا فوض الأمر إلى فاسد حتى وإن كان خبيرا فإننا نخسر.

* ما تقييمكم لطالبان الآن؟

- إن عملوا بقول الرسول ﷺ: «يسروا ولا تعسروا.. بشروا ولا تنفروا» فلعل الله يقيهم ويقرون دائمين أما إن عسروا على الناس وأخافوهم بأذى فمن أخاف عبدا أخافه الله وسيكون مصيرهم سيئا.

* يقولون إن طالبان تجسيد للسيطرة الباشتونية على الأعراق الأخرى التى تعانى الظلم خصوصا الهزارة الشيعة؟

- قد حدث فى عهد ربانى أن التقيت وفدا إيرانيا حيث قلت لهم عليكم ألا تلقوا بأفغانستان فى ذيل أمريكا لأنكم إذا تدخلتم فى أفغانستان وأوقعتم بيننا وبين أهل التشيع فهناك التقاتل والدماء ولن يستفيد من ذلك سوى أمريكا، حيث سيأتى الأمريكان إلى بلادنا كما جاء العراق بالقوات الأجنبية إلى منطقة الخليج. وقلت لهم أيضًا عليكم أن تسهلوا الأمور على أهل السنة (فى إيران) ونحن نرى أنكم تقتلون الشيوخ وتجبرون أولادهم على التشيع!

* لكـن ما هو تـعليقـكم علـى عدم وجود مـسئــول شيعى واحـد فى حكـومة طالبان؟

ـ عندما يقولون حكومة طالبان فـإنهم يستبعدون أى طرف آخر من الاسم وهذا ليس عـنوان الحكومة المطلوبة، عـليهم (طالـبان) أن يأتوا بحـكومة موسـعة، وكان الرسـول عليه الـصلاة والسـلام لا يؤتى الأمر لمـن طلبـه، فإذا كان الـشيعة يـريدون الحكومة فـإنهم لا يريدون حكومـة إسلامية ولكن شيـعية، وليس للطـالب أيضًا أن يعين من يـريده فإذا رأى فى الشيعى أهـلية للمنصب فـعليه أن يختاره، واللـه تعالى يقول: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾.

* هنـاك اتهامـات لطالـبان بالـتشدد فى تـطبيـق الشريـعة وعدم إظـهار سمـاحة الإسلام؟

ـ التشـدد فى التطبيـق ليس من الشريـعة لأن الله تعالـى يخاطب الرسول بـقوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بـالحكمة والموعظة الحسنة﴾، ويقول أيـضًا: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى اللـه وعمل صالحا وقال إننى من المـسلمين ادفع بالتـى هى أحسن فإذا الذى بـينـك وبيـنه عداوة كـأنه ولـى حمـيم﴾، هذا هـو الإسلام، أنـا لا أقول إنـهم يتشددون إنمـا يخطئون طريق الإسـلام إذا تشددوا، وأنت إذا أمرت شخصـا بالصلاة فقد يتمرد عليك ويصبح كافرا، والرسـول ﷺ أوصى بترديد الشهادتين أمام المحتضر لا أن نأمره بأن يرددها، ومن التشدد أخذ الناس بالشبهات.

* هل ترى فى طالبان تشددا؟

ـ أنا سمعت أن بهم تشددا ولكن لم أر بنفسي.. أنا مريض!

* ماذا عن تعاملهم مع المرأة وقضية تعليمها؟

ـ التـعليـم يتـم لتكـوين الإنسـان فإذا كان شـيطـانيا فـلا حاجة لـهذا الـتعلـيم، والشيـوعيون وعمـلاؤهم تخرجـوا من المدارس الحكـومية (فى عـهد الملكـية) وهـم يقولون نحن لا نقبل الله ورسوله، انظر إلى تركيا الآن إنها فى خطر لأنها تريد محو الإسلام.

وإذا لم يكـن التعليـم على منوال الـشريعة فـنحن لا نريده لـلرجل فكيـف يكون للمرأة، ولابد أن تكـون المرأة عالمة بالدين والدنيا وأنا زوج لامـرأتين ولدى ٩ بنات وأرى الفرق بـين كبرى بنـاتى التى تعـلمت القرآن وبعـض الكتب بيـنما لم تتـعلم الصغرى، ووقف تعليم المـرأة ظلم لها لكن لا نريد التعاليم الشيـطانية التى استولت على المسلمين شرقـا وغربا، نريد أن يكون التعليم دينيا ولا يعـنى ذلك اقتصاره على الصلاة والصوم، التعليم الدينى يختص بالأخلاق أيضًا حتى تستطيع المرأة فهم الحياة والدنيا والدين.

والآن نرى الرجال ذئابا والـنساء نعاجا، فإذا خرجت المرأة فهنـاك ذئب يترصدها ويفتـرسها وهذا ناجم عـن التعليـم الفاسد، وعلـى طالبان أن تعلـن موافقتهـا على تعـليم المرأة ولـكن على طـريقتـنا الإسلاميـة، وللمـرأة الحق فى العـمل إذا تعلـمت وأصلـحت نـفسـها ويـجوز لـها أن تـعمـل قاضـية فـى كل الأحـكام دون الحـدود والقصاص وهذا حكم شرعى، ويجوز لها أن تعـمل بالتجارة ولكن ليس معنى ذلك أن تكشف عن ساقيهـا وثدييها ويجب أن يكون هناك فصل بيـن الرجال والنساء فى أماكن العمل حتى فى المساجد.

* نعود للـوضع الراهن فى أفغـانستان سياسـيا وعسكريا؛ مـسعود يسيطـر على جزء صغير مـن الأراضى وطالبان تبسط سـيطرتها على ٩٠٪ من الـبلاد، وهناك من يرى أن هذا الوضع المتمثل فى «اللاحسم» عسكريا سيستمر، ما هو تقييمكم؟

ـ لقد ذهبـت إلى طالبان فى أول الأمـر وقلت لهم إن استـطعتم أن تأتوا بمـسعود وربانى إليكم على أن تخدموهم بأنفسكم حتى لا يلتحقوا بالمفسدين فافعلوا. فقالوا: لا نريد ذلك. وأنا أقول الآن إن هند بنت أبى سفيان قد شقت صدر حمزة عم رسول الله ﷺ ومـضغت قلبه وقـطعت أنفه ومـع هذا كله عنـدما فتحت مكـة جاءت إلى رسـول الله ﷺ وقـالت أنا مؤمنة. فـقال لها لا أعرف هذا، فـقالت والله الذى بـعثك بالحق إن أقبح الخيـام عندى كان خيمتك، والآن أراها الأفضل والأجـمل. فقال لها «أنت مؤمـنة ولكن لا تـواجهينى لأن عمى عزيـز علىّ». وأنا أنـادى بالصلـح بين طالبان ومسعود وربانى.

* لكن طالبان والمعارضة لهما مناهج وتوجهات مختلفة؟

ـ المعارضة مسلمة أم غير مسلمة.. إذا كانوا مسلمين ويوافقون على تطبيق الشريعة فعلى طالبان أن تصالحهم ويجب أن تسألهم عن ذلك بوضوح فإن أجابوا بنعم فهذا طريق حسن، والله تعالى يقول: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ وإنى أطالبهم (طالبان) بأن يأتوا بزعماء المعارضة ويسكنوهم قصرا ويقوموا على خدمتهم كما قلت آنفاً وأنا أصر على هذا الموقف، والله تعالى يقول: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم...﴾. والله يعلم القلوب فهذا أساس شرعى للمصالحة، وعلى طالبان أن تسعى لأن يكون الجميع من المؤلفة قلوبهم.

* إذن أنت تنادى بالتسامح من أجل وحدة البلاد؟

ـ أنا أنادى بالتسامح إلى نهاية ما يسامح به الإسلام، ولكن لا أقبل بمخالفة الإسلام باسم التسامح.

* ما هى توقعاتك لمستقبل أفغانستان؟

ـ كما رأيت الشهداء بعينى ورأيت مواقف الطلاب فى أول الوقت (لدى ظهور طالبان) حيث هبوا لنجدة الإسلام فإننى أسأل الله أن يكون لأفغانستان حكومة إسلامية إما بيد طالبان أو الآخرين، وأتوقع أن يتغير موقف المعارضة وإننى أدعو الله كل ليلة أن يصلحنا ويصلح أخواننا ولا يجعلنا مع الكفار.. كانت هذه آخر كلمات الشيخ يونس خالص الذى أشفقت عليه وهو يتحدث بصعوبة لدرجة أننى كنت أشعر أنه قد لا يكمل الجملة التى ينطق بها، لكن الحديث طال وطوى وقت صلاة الجمعة دون أن ندرى ومع ذلك لم يغضب الرجل ولا المرافقون باعتبار أن الحديث كان ضرورة وأن «الله غفور رحيم».

غادرنا جلال آباد من دون مرافقنا الطالبانى المسئول فى الخارجية سردار شيرزاد، وشعرت ونحن نودع المدينة أنها تنطوى على رحابة، وقد ذكرتنى بهرات فى عراقتها وخضرتها وقلة رجال طالبان فيها، والآن نحن فى الطريق إلى باكستان وبمعنى أدق إلى «طورخم» الممر الحدودى الذى يقود إلى بيشاور.

لا أعرف لماذا انفك لسان السائق محمد شاه وقد قام بتشغيل شريط كاسيت يمتدح طالبان وينتهي بالعبارة الشهيرة «تالبانو تالبانو زندایاد»، وكان هذا مقدمة لحديث قصير مع شاه الذى قلت له: الآن حدثنا بصراحة عن «طالبان» فليس معنا أحد منهم ، فأجاب بلا تردد: طالبان نوعان نوع يجاهد ونوع يحكم وهؤلاء الذين لديهم عمائم كبيرة وهم الآن وزراء ومسئولون لم يشاركوا كثيرا فى الحرب، نحن الذين حاربنا وأنا أحيانا أقابل شخصا من طالبان فيقول لى حاربت فى معارك كذا وكذا ، وعندما أخبره أننى كنت حاضرا هذه المعارك يخجل ويسكت!

ويواصل شاه حديثه بحرقة: «كنت أجاهد مع طالبان وأنا لم أكن من طلاب المدارس الدينية وكنت خبيرا فى إصلاح الدبابات وأصبت فى رجلى وكتفى واستشهد ابن عمى وكان قائدا كبيرا وعندما ذهبت إلى المستشفى لأزوره قبل أن يلقى ربه جاء رجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقصوا شعرى وأنا أنتظر زيارته فكرهت الجهاد وقررت العودة للعمل». ولكنه استدرك قائلا: «ومع ذلك أريد استمرار حكم طالبان لأنهم أفضل من غيرهم كثيرا وهم سيهزمون المخالفين (المعارضة) وسيحكمون البلاد كلها»، ما أذهلنى أن محمد شاه قال أن عمره ١٨ عاما فقط وأنه بدأ الجهاد وهو طفل حيث كان يحمل الأسلحة فوق ظهور الحمير للمجاهدين فى ولايته لغمان.

ويبدو أن حديث محمد شاه أثار أشجانه فأغلق الكاسيت ودخل فى صمت عميق وأنا أتأمل الصحراء التى تحاصر الطريق والأشجار التى «تحاصرها» إلى أن وصلنا إلى «طورخم»، ودعنا محمد شاه بحرارة ولا أنسى أبدا وجهه البرىء المستبشر ولا حزنه العميق الداكن الذى أشعرنى أنى أعرفه منذ زمن طويل وكانت آخر كلماته «تالبانو زندایاد» وكانت أيضًا آخر تعبير سمعته قبل أن أدخل بحقائبى وبرفقة محمد المترجم إلى باكستان وقد سكننى ارتياح ممزوج بالحزن ارتياح الهارب من الحرب، والنار وحزن المفارق لبشر طيبين يهزمهم عنادهم وغلظتهم حتى مع أنفسهم!

طـــــالـــــبـــــان
الــعــمــائــم والخــنــاجــر والأفــيــون

11

أفغان المنافى الشقيقة!

دار الخيّـــال

عندما وصلنا بيشاور فى الساعة العاشرة مساء كان لايزال هناك بقايا زحام ورطوبة رغم صيف سبتمبر الباهت، وكنا قد عانينا وحشة ليلية طوال الساعات الثلاث التى أقلتنا السيارة فيها من «طورخم» إلى المدينة حتى مع تناوب رجال شرطة باكستانيين على حراستنا فى نقاط التفتيش التى صادفتنا، كان هناك فارق كبير بين أفغانستان التى ودعناها وباكستان التى استقبلتنا بحرارة الطقس لا حرارة المشاعر، لقد انتقلنا من زمن راكد فى بلاد هادئة الإيقاع.. ذلك الذى لا تكسره قعقعة الحرب، إلى زمن طافح بالحياة ومكان يرسم ملامحه الزحام والضجة!

انطفأت ليلتنا الأولى فى بيشاور التى كانت يوما ما مركزاً عاتيا «للجهاد» الأفغانى والمتقاطرين عليه من داخل أفغانستان وخارجها باحثين عن مجد دينى أو دنيوى، ففى هذه المدينة التى تظهر هوساً بالحياة الآن وخطط لحرب طويلة دامت ١٤ عاما اكتسبت بهذا الاسم الدينى الذى كان مهجوراً لعشرات السنين وربما المئات.. «الجهاد».. وأصبح هناك نوع جديد من المقاتلين.. لا متمردين ولا ثواراً ولا عصابات مسلحة «مجاهدون»، وهنا جيء بالأموال والأسلحة التى لا تحصى لهؤلاء المجاهدين.. تلك الأسلحة التى وجهت إلى صدورهم لاحقا وحصدت ولاتزال تحصد أرواحا أفغانية بريئة.. إنه زمن الجهاد الذى اتضح الآن أنه كان «أمريكياً» فى شق منه على الأقل، وها هو يرتد ضد بعض زارعيه فى منافى الأفغان إلى مناطق أخرى فى العالم وله نفس الاسم «الجهاد»!

هكذا تداعت فى رأسى الأفكار وأنا أصافح الوجوه فى صباح بيشاور الأول فلا أجدنى أفرق كثيرا بين أفغانى وباكستانى، حتى اللحية ليست دليلا على شيء فالسائق الأفغانى الذى رافقنا على مدى ٤ أيام فى بيشاور حليق اللحية رغم اقتناعه بأنها شيء أساسى لأنه يريد تجنب مضايقات رجال الشرطة الباكستانيين و«الخبز قبل اللحية أحيانا»!

كان أبرز ما شغلنى فى بيشاور اللاجئون الأفغان الذين ليس لهم إحصاء رسمى، لكن التقديرات تشير إلى أن حوالى مليون أفغانى يعيشون فى المدينة وهؤلاء لا تشملهم قوائم اللاجئين الرسمية التى تحويها سجلات المفوضية العليا لشئون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة وتضم هذه السجلات مئات الآلاف ممن يعيشون فى مخيمات متناثرة حول بيشاور فى إقليم «سرحد»، وبشكل عام لا يمكن إحصاء عدد الأفغان فى باكستان لأنهم يخرجون من بلادهم ويعودون بلا رقيب وفى أى وقت فلا تأشيرة دخول ولا مراجعة للهويات فى نقاط العبور الرسمية، فما بالنا بحدود طولها ٢٤٦٦ كيلومترا هى الأطول لأفغانستان مع أى من جيرانها، والسكان على جانبى الحدود هم من نفس العرقية.. الباشتون.. ويتكلمون نفس اللغة وعلى ذات الدين بل والمذهب الحنفى ،ولا يمكن الاعتماد فقط على العمامة الأفغانية الكبيرة أو القلنسوة ذات الفتحة الأمامية فى التمييز بين شعبين يمتزجان بقدر ما يفترقان!

لقد ذهب «الجهاد» وبقى اللاجئون وبقايا جماعات «المجاهدين» القديمة، وعندما ذهبت إلى مخيم شامشتوه الذى يبعد لمسافة تقدر بعشرات الكيلومترات من بيشاور كانت ملامح الطريق ومحيطها لا توحى بالتفرقة بين ما هو باكستانى وأفغانى غير أن السائق والمترجم كانا قادرين على هذه التفرقة وكانا يقولان لى هذا المنزل لأفغانى وذاك لباكستانى حتى من دون أن يريا دجاجة أو طفلا أمام أى منهما!

وصلنا إلى مخيم شامشتوه وكنا نبحث عن رجل يدعى المهندس عبد السلام قيل لنا إنه ممثل الحزب الإسلامى فى إقليم سرحد، وعندما دخلنا من الباب الرئيسى الذى تحرسه الشرطة الباكستانية فوجئنا بمقاتلين مسلحين تابعين للحزب الذى يتزعمه قلب الدين حكمتيار، وفى الطريق إلى مكتب المهندس عبد السلام وجدنا أن الأمر لا يقتصر على هؤلاء المسلحين الذين يرتدون زياً عسكرياً موحداً عبارة عن «بزات

موهـة» بل إن للـحزب فى المخيـم مـجمـعاً إداريا كـاملا به مـوظفون مـن درجات مختلفة.

وبعد أن استقبلنا المهندس عبد السلام الذى رفض الحديث بدعوى أنه غير مخول لذلك وخرجنا من المجمع عرفنا من بـعض الموظفين أن الحزب يدير المخيم من الألف للياء وينفق عـلى اللاجئين فيه ويجـمع فلول أعـضائه معـهم، بعد أن فـقد وجوده الميدانى فى أفـغانستان بشكل كـامل على أيدى طالبان الـتى أطاحت بمكانته كـممثل أكبر للـباشتون، ومن الواضـح أن حكمتيار الذى يـعيش فى إيران حالـيا والذى كان أكبـر «متـمول» من زعـماء المجاهـدين سـواء بالدولارات الأمـريكيـة أو العـملات الأخرى، يضـخ لرجاله فـى باكستان مـا تيسر من الأمـوال حرصا علـى الولاء وأمل البـقاء، ثم إنـه يدرك رغـبة باكـستان فـى الاحتفـاظ بحزبـه كورقـة قد يجـىء وقت لاستخدامها على الساحة الأفغانية إذا وهـنت طالبان أو تضعضعت رغم أنها ترفض استـقباله حـاليا وتهـيل على صـورته أكوام الـذم حيث تحمـله المسئولية عن مـآسى أفغـانستان وهـو الذى كان رجـلها الأول فى هـذه الجارة الشـقيقـة، وسبحان مـن له الدوام!

وبعد عـودتنا من شامشتوه تبيـن لنا من روايـات أفغان المنفـى أن حكمتيـار يدير مخيمات أخـرى وأن حزبه له اتصالات ببعـض بقاياه فى الأراضى الأفغانـية وعندما زرنا مـكتبـاً للـحزب فجـأة فى بيـشاور وجـدنا أحد عـناصره يـجرى مـحادثة عـبر اللاسلكى بآخر داخل أفغانستان، لكن هذا ليس مؤشرا على أن حكمتيار يحظى بأى قدر من الشعبية بين الأفغان، فخلال رحلتنـا فى أفغانستان كان الأوفر حظا باللعنات والهـجوم من جـانب السكـان الذين اسـتطعـنا التـحدث إليـهم ناهيـك عن طالـبان ورجالها وتابعيها!

بعـد الظهر ذهـبنا إلى مـخيم آخر هـو «كاشجـرى» الذى يتلـقى مساعـدات من المفوضـية العلـيا لشئـون اللاجئين الـتابعة لـلأمم المتحدة، والمخـيم مكون مـن بيوت خشبية وطـينية منخفضـة ويعيش سكانه علـى بعض المعونات وعائد الـعمل اليدوى خارجه، ورغم أن لهـو الأطفال لا يشعرك بالبـؤس الفاقع إلا أن ملامحه تظـهر على

الأكبر سنا ممن يحملون هماً وحزناً ويفتقدون وطناً وحصناً.. الحياة تسير لكن الزاد بالكاد ورغم أنه لا أحد يموت جوعا فإن للغربة مرارتها تلك التى أفصح عنها الشاب فرحات ذو الاسم الذى ينطوى على مفارقة.. لقد ولد فى المهجر قبل ٢٠ عاما .. إنه ابن أصيل للمنافى وقد قدم والداه من ولاية ننجرهار وعاصمتها جلال آباد ومعظم اللاجئين فى «سرحد» هم أبناء لهذه الولاية، ويحكى فرحات قصته قائلا: «كنت طالبا فى كلية الطب فى جامعة هيواد (الوطن بالباشتو) الأفغانية وكان يديرها أساتذة أفغان وبعد مجيء طالبان للحكم طلبت منهم التخلى عن الدراسة العصرية والتركيز على التعليم الدينى فرفضوا مما حدا بالحركة إلى الطلب من حكومة باكستان إغلاق الجامعة فاستجابت لذلك»!

ويضيف فرحات: «أنا الآن طالب لم يكمل تعليمه بلا عمل أهيم فى الشوارع والأسواق بحثاً عن لا شيء لأننى لا أستطيع إكمال تعليمى فى جامعة باكستانية وقد حاولت الالتحاق بجامعة يديرها الحزب الإسلامى فى مخيم شامشتوه (الذى سبق أن زرناه) إلا أن مسئولى الحزب رفضوا قائلين إنه لا يوجد مكان لك».

ويعيش فرحات مع والده الذى يقوم ببعض الأعمال اليدوية وينفق على أهله، ورغم ما حدث له يرى فرحات أن طالبان أفضل من غيرها من الأحزاب والحكومة التى كانت قبلها «لأنهم جلبوا الأمن والاستقرار للبلاد» لكن فرحات يرى سلبيات لطالبان «مثل التشدد فى تطبيق الشريعة».

فى الساعات الأولى من الليل كنا نجلس فى أحد متنزهات بيشاور حيث رأيت أفغاناً وباكستانيين يظهر فى ملامحهم وأزيائهم رغد العيش وآخرين يطحنهم تعب البحث عن اللقمة وسبحان مقسم الأرزاق، وبينما أنا فى غفوة تأمل فى الحالة الأفغانية فى الوطن والمنفى جاء طفل ونقر بأصابعه على ذراعى كأنه يطرق باباً همساً، واستفقت لأدرك أنه ماسح أحذية ومن المترجم عرفت أنه أفغانى من أبناء اللاجئين فأدرت معه هذا الحوار القصير الذى سمح به وقته المطارد:

* ما اسمك؟

ـ محمد خان.

* كم عمرك؟

- ١٢ عاما.

* من أين أتيت؟

- جاء والداى من جلال آباد وولدت هنا فى سرحد.

* مع من تعيش؟

- مع أسرتى فى مخيم كاشجرى.

* ماذا يعمل والدك؟

- حمّـــال فى الأسواق.

* كم تحصل فى اليوم من مسح الأحذية؟

- ٥٠ روبية باكستانية تقريبا «أقل من دولار قليلا».

* هل ذهبت إلى المدرسة من قبل؟

- كنت أذهب إلى المدرسة حتى صدمتنى سيارة وبقيت شهرين فى المستشفى وحدث لى «خلل دماغى» ثم تحسنت أوضاعى الصحية وبدأت أعمل ماسحاً للأحذية وتركت المدرسة.

* هل تعرف شيئا عن أفغانستان الداخل؟

- أحيانا أزور بعض أقربائى فى جلال آباد.

* هل تحب أفغانستان؟

- أحبها كثيرا.

* وهل تحب باكستان؟

- نعم ولكن أحب أفغانستان أكثر!

* هل ترغب فى العودة إلى أفغانستان؟

- نعم فالطقس هناك أفضل وتوجد أشجار كما أشعر بالراحة!

* هل سمعت عن طالبان؟

- طالبان لديهم لحى طويلة وعمائم كبيرة!

* هل هم طيبون أم لا؟

- هم طيبون لأنهم يقتلون من يفعلون الخبائث!

* هل تحب أن تنضم إلى طالبان عندما تكبر؟

- نعم!

* هل سمعت عن قلب الدين حكمتيار وبرهان الدين رباني وعبد رب الرسول سياف؟

- أعرفهم وكانوا أصحاب لحى وعمائم كبيرة والآن ذهبوا لأنهم كانوا يتقاتلون فيما بينهم!

* هل أحد يضايقك هنا في باكستان؟

- نعم بعض الباكستانيين يؤذوننا والشرطة لا تسمح لنا بالعمل بحرية!

ودعنا محمد خان بعد أن نال أجره وعلى فمه ابتسامة وفي عينيه شعاع دمعة متوارية خبأها في حكاية مع ماسح أحذية آخر أفغاني في نفس سنه تقريبا حيث قص عليه حكاية هذا الغريب الذي يتحدث عن أفغانستان!

إيراج محمد لاجيء أفغاني آخر يقترب منه محمد خان ماسح الأحذية في العمر لكن الفروق بينهما كثيرة، فإيراج ينتمي لطبقة أخرى من اللاجئين الأفغان في باكستان يمكن أن تصنفها بالمستريحة. والده ناشر يتحدث الإنجليزية بطلاقة نادرة له مكتبة في فندق كونتيننتال كابول جلب فيها كل ما يمكن تصوره من كتب عن أفغانستان حيث يبيعها بالدولار للصحافيين الأجانب ولشاه محمد - وهذا اسمه - دار نشر في بيشاور ودخله بالقياس لدخول أفغان الداخل «خرافي» حيث إن ثمن الكتاب الواحد يعادل راتب موظف في شهر، وهو يتردد بين كابول وبيشاور حيث تعيش أسرته في فيللا ويدرس أولاده في مدارسها، وقد أتيح لي إجراء هذا الحوار مع إيراج البالغ من العمر ١٤ عاما والذي تظهر عليه إمارات العز والراحة:

* منذ متى تعيش فى باكستان؟

ـ منذ ١٩٩٢.

* ما الفرق بين الأعوام التى قضيتها فى أفغانستان وهذه التى تعيشها فى باكستان؟

ـ لقد كنت طفلا عندما كنت فى كابول لم أكن أعرف أى مكان فيها لكن الآن أعرف بيشاور جيدا.

* وماذا عن الحرب عندما كنت فى كابول؟

ـ لقد كانت هناك حرب بين دوستم ومسعود ولم أكن أخاف!

* ألا تخاف من الصواريخ والقذائف؟

ـ لا أحد يقتل من دون أمر الله.

* ماذا عن أصدقائك فى كابول؟

ـ لقد كان لى ٨ أصدقاء.

* ألم تكونوا تتحدثون عن الحرب؟

ـ لم نكن ندرك شيئا ولا حتى نعرف من هو دوستم ومن هو مسعود.

* هل تعرف أحدا قتل فى الحرب؟

ـ أحد أعمامى قتل.

* وماذا شعرت إزاء ذلك؟

ـ لم أكن فى مكان الحادث!

* ألم تبك عليه؟

ـ لا فالكثيرون يموتون!

* والآن كيف ترى كابول؟ وهل تزورها؟

ـ قضيت ٣ شهور هذا العام هناك والناس فى كابول فقراء جدا ونقودهم قليلة

ولذلك يفرحون بأى نقود وثمن البيت فى كابول يعادل ربع ثمن البيت المماثل فى بيشاور.

* هل تشعر بالأسى لسكان كابول لكونهم فقراء؟

- وما الذى أفعله لهم لكى يصبحوا أغنياء.

* وإذا طلب فقير نقودا منك فى كابول؟

- إذا كان لدى نقود كثيرة أعطيه وإذا لم يكن فلا. المتسولون كثيرون هناك وإذا أعطيت كل من يطلب نقودا فلن تبقى لى أموال!

* ما رأيك فى طالبان؟

- لم أرهم من قرب.. أريد السلام فى أفغانستان، لا يهمنى أن يحقق ذلك مسعود أم طالبان.

* ما الذى لم يعجبك فى رحلتك الأخيرة لكابول؟

- لا يوجد تليفزيون ولا أحب ذلك وحتى الدول الأجنبية لا تعرف ماذا يجرى فى أفغانستان.. شىء ثان إذا كان هناك شخص يسير ممشط الشعر وحسن الهندام يقول الناس إنه سيىء ويجب أن يكون أشعث أغبر وأنا لا أستطيع أن أجعل من نفسى قذرا لكى أعجب الناس!.. أمر ثالث: لقد قال لى طالبان فى كابول يجب ألا ترتدى الملابس الملونة مثل هذا اللون القرمزى (لون ردائه) يريدون الأبيض والأسود فقط وطريقة معينة لقص الشعر والأمر بالمعروف يجبر الناس على تقصير شعورهم حسب هذه الطريقة (وفقاً لما رأيته فى أفغانستان فلا توجد طريقة واحدة فهناك من رجال طالبان من يحلقون شعورهم بالموسى وهناك من يطيلونها حتى تتهدل من تحت العمامة وآخرون يقصرون شعورهم بقدر متساو لكن التقصير على طريقة كابوريا هى المرفوضة باعتبارها تقليعة غربية!).

* ألا تحب الأمر بالمعروف؟

- لم أقابلهم لكننى لا أحبهم لأننى لا أحب التدخل فى حياة الناس، لكن هناك أشياء طيبة يفعلها طالبان حيث يقطعون أيدى اللصوص.

* وماذا عن تعاملهم مع المرأة؟

ـ يقولون إن الرجل فقط يجب أن يتعلم وليس المرأة وأنا لا أحبهم فى هذه النقطة.. إن طالبان لا تسمح للنساء حتى بإظهار وجوههن ويجب أن تسمح.

* هل تحدثت إلى فتاة فى كابول؟

ـ إذا تحدث رجل مع امرأة فى الشارع سيأتى الأمر بالمعروف ويأخذونه.

* هل تحب أمريكا؟

ـ لا أحب أمريكا لأنهم يقولون إن التلوث فيها كبير وهى أيضًا لا تقبل اللاجئين الأفغان.. إننى أحب استراليا وبريطانيا وكندا التى أريد الهجرة إليها وأية دولة أفضل من باكستان حتى الهند!

* هل تحب العودة إلى أفغانستان والاستقرار فيها؟

ـ تحتاج إلى قرن ليكون فيها حكومة جيدة، هل تريدنى أن أعود بعد قرن لا بد أن يكون كل الناس قد ماتوا!

* ما رأيك فى أحوال المهاجرين الأفغان فى باكستان؟

ـ سيئة جدا.. كابول أقل قذارة من بيشاور وإذا لم تعط الشرطة نقودا تقودك إلى السجن والشرطة تضايق الأفغان.

* هل ذهبت لمعسكرات المهاجرين؟

ـ لا ولكن أحوالهم سيئة ويشربون ماء غير نظيف.

* هل تؤدى الصلوات الخمس.

ـ نعم.

* هل تقرأ القرآن؟

ـ أحياناً.

* هل درست اللغة العربية؟

ـ لا أحبها.

* لماذا؟

ـ هذا اختيارى!

* هل تتعلم فى مدرسة لغات؟

ـ لا.. لكننى اختتمت «كورس» فى اللغة الإنجليزية مؤخرا، إننى أدرس فى مدرسة أفغانية خاصة «بالباشتو» و«الدارى» ونتعلم الإنجليزية أيضا.

انتهى الحوار مع إيراج الذى قال إن اسمه هو اسم إيران القديمة ومع ذلك فهو لا يحب إيران وهذا أيضًا اختياره كما قال باللغة الإنجليزية حيث دار الحديث، ولله فى خلق الأفغان شئون!

من بقايا المجاهدين فى كابول القاضى محمد أمين وقاد (القاضى اسمه وليس لقبه)، وهو يقول إنه كان أول زعيم للمجاهدين الأفغان حيث عين أميرا لأول تنظيم سمى باسم «الحزب الإسلامى» فى بيشاور عام ١٩٧٧ وكان معه ربانى وحكمتيار ويونس خالص ومولوى نصرالله منصور وجلال الدين حقانى الوزير فى حكومة طالبان الآن، ثم بعد أن أصبح الحزب الإسلامى تنظيماً خاصا بحكمتيار عين وقاد نائباً له، واختير وقاد أيضًا وزيرا للاتصالات فى حكومة حكمتيار التى شكلها بعد سيطرة المجاهدين على كابول وظل فى هذا المنصب ٩ شهور إلى أن أدى القتال إلى انهيار كل شىء فى أفغانستان بما فى ذلك الحكومة فعاد إلى بيشاور وهو الآن يرأس جمعية خيرية تسمى «المركز الإسلامى للخدمات الاجتماعية».

وقد تعبت سعياً للقاء وقاد الذى يعيش فى فيللا مريحة ويظهر على أبنائه الذين استقبلونا على الباب بعض سمات الرغد، والرجل نفسه يبدو هادئا وواثقا من أنه سيكون له دور فى إعادة صياغة الوضع فى أفغانستان. وذات صباح حار كان اللقاء فى بيته، وخفف جهاز التكييف وهواؤه من حرارة الطقس والأحداث الأفغانية أيضًا! وهذا أبرز ما دار فى حوارنا معه.

* من المسئول عن الوضع الذى آلت إليه أفغانستان ومهد الطريق لظهور طالبان؟

ـ شخصان فقط حكمتيار وربانى، وحكمتيار أكثر؛ لقد بدأ بالصراع وتحالف مع دوستم والشيعة فى كابول وبدأ حربا ضد الحكومة وهو رئيس للوزارة وطلبنا منهما (حكمتيار وربانى) وقف النار وجاء «إمام الكعبة» وذهب فى وفد من علماء أفغانستان وباكستان وبنجلاديش برئاسة يونس خالص ـ وكنت معهم ـ إلى الرجلين وطلبنا منهما وقف النار ولم يفعلا ومسئولية كل ما يجرى فى أفغانستان وإلى سنوات مقبلة تقع عليهما.

* وأحمد شاه مسعود؟

ـ رجل عسكرى ليس له دور سياسى ،ربانى هو المسئول والزعيم!

* هل ترى أن ما حدث وراءه صراع عرقى حيث ربانى ومسعود من الطاجيك وحكمتيار من الباشتون؟

ـ ليس فى أفغانستان تعصب عرقى.. بل هناك تجانس والمشكلة سياسية.. دوستم كان يردد: نريد حقوق الأوزبك. أما الآن فهو ليس موجودا فى أفغانستان والأوزبك راضون وقد ذهب خليلى (عبد الكريم خليلى زعيم حزب الوحدة الشيعى) إلى إيران بعد هزيمة حزبه فى باميان (سبتمبر ١٩٩٨) والشيعة الهزارة يعيشون راضين أيضًا.

* هل أنت على اتصال بطالبان؟

ـ نعم توجد اتصالات والعلاقات حسنة وقد سافرت إلى أفغانستان مرارا وليس هناك مشكلة فى ذلك، ولأننى لم أقم بدور فى المعارك الداخلية (فى عهد المجاهدين) فهم يقدرون ذلك ولم يجدوا شيئا يديننى عندما كنت وزيرا.

* ما هو تقييمك لحكم طالبان؟

ـ الطلاب مشغولون بالحروب والمعارك وكلما يسيطرون على منطقة يتوافر فيها الأمن والشريعة والناس يشعرون بالرضا لكن بعد انتهاء المعارك سيواجهون (طالبان) بالتساؤلات وحتى الآن لم يشكلوا حكومة قانونية فهم يصفون حكومتهم الحالية بأنها «مؤقتة»، وهم سيكسبون الحرب ويسيطرون على بانشير (معقل أحمد شاه مسعود) وستظهر المشكلات السياسية.. لأن الأمور الأساسية لبناء الدولة ثلاثة: القوة

العسكريـة والاقتصاد والسياسة الخارجيـة المستقلة.. الآن كل شيء واقع تحـت هيمنة المعارك، تقدم.. تأخر.. هزيمة.. انتصار، وهم بـعدما يواجهون المشكلات سيراجعون المجاهدين والشخصيات الخبيرة، وعلينـا ألا نأخذ الأمور بالسرعة ونتساءل كيف هذا وكيف ذاك.. نصبر وننتظر وبالاستقامة سيأتـى اليوم الذى يحتاجون فيه للشخصيات الجهادية فى الخارج!

* لكن معظم دول العالم لاتزال تعترف بحكومة ربانى؟

- الادعاء الوحـيد للأستاذ ربـانى بأنه رئيس الدولة يفيـد الطلاب لأنه ليـست له سيطرة على أفغـانستان وله صلات مع الروس والهنود وإيران، والـشعب الأفغانى لا يحب التدخل الخـارجى خصوصا من هذه الأطـراف الثلاثـة، والأفضل لربـانى أن يستقيل من رئـاسة الدولة ويأتى بآخر من قادة المجاهدين مثـل صبغة الله المجددى أو حكمتيـار أو سياف، وعلى كل الأحوال بعد سيـطرة الطلاب على أفغانسـتان سيأتى الـتغـييـر إما يـأخذون طـريق الإصـلاح ويحـصلـون علـى مسـاعدة الآخـرين مـن الشخصيات الجهادية أو يواجهون المشكلات فى الداخل والمنطقة والعالم.

* ماذا تقصد بطريق الإصلاح؟

- الإصلاح فـى تطـبيق الـشريـعة وتعـميـم القانـون ومسـألة الحكـم والعـلاقات الخارجـية.. الإدارة.. الجيش.. الـلاجئيـن..الآن ليس فى أفـغانسـتان دولة.. طالـبان حركة.

* والمآخذ التى تنسب لهم الآن؟

- .. سيتغيرون، وبعد السيطرة على أفغانستان سيتجهون لتشكيل برلمان.

* هم يقولون أن لديهم مجلس شورى حاليا؟

- هذا ليس مجلس شورى هذا مجلس للحـركة، لقد كان لدينا دستور ينص على أن كل مديرية (الولاية مكـونة من مديريات) لها ممثل، المهم أعتقـد أن طالبان ستأخذ طريـق التسـامـح والـتقــارب مع قادة الجـهاد وسوف تـشكل حـكومة ذات قـاعدة موسعة.

* لكن الحكم الآن فى يد الملا محمد عمر فقط؟

ـ ليست هناك مشكلة أن يبقى الأمير (أمير المؤمنين فى إشارة للملا عمر) أميراً، لكن أفغانستان بحاجة إلى جيش واقتصاد مركزى بما فى ذلك نظام مصرفى فضلا عن سياسة مستقلة ومجلس شورى كما سبق أن قلت.

* البعض يرى فى طالبان صورة سلبية للإسلام بالتركيز على الشكليات مثل إطالة اللحى وارتداء العمائم؟

ـ وكيف تركوك وأنت لحيتك غير طويلة (واستغرق فى الضحك)، اللحية والعمامة أمر بسيط فهذا رد فعل لما فعله الشيوعيون ومن الممكن أن يكون هناك اعتدال مستقبلا.

* ما تعليقك على دعوة يونس خالص لحكومة موسعة.. الآن؟

ـ نحن جميعا نطلب المصالحة وتشكيل حكومة موسعة وهذا من حق جميع الأفغان وكل الجماعات والقوميات ؛لأن أفغانستان ليست باشتون فقط ولا قندهار فقط فأغلب مسئولى طالبان منها.. لا يمكن أن تستمر طالبان على وضعها الحالى.

هذه هى آخر كلمات وقاد الذى تطرح إجاباته مزيدا من التساؤلات عن توجهاته وآماله وطموحاته، لكن عند الفهم ولو من بعيد تنطفىء الأسئلة!

كنت أود مقابلة المجاهد القديم صبغة الله المجددى، لكن لسوء الحظ كان فى الخارج حيث يخضع للعلاج، وعندما ذهبت إلى بيته فى بيشاور الذى يحظى بحراسة مشددة ونظام أمنى صارم استقبلنا ابنه رحيم الله خريج الأزهر الذى يتحدث عربية رقيقة ولا يمكننى أن أقول «ركيكة»، ولما عرفت أن المجددى الابن يشغل منصباً مهماً فى منظمة والده المسماة «جبهة ملى لنجاة أفغانستان» أو «الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان» وهو رئيس المكتب السياسى ومنظمة الشباب، ومع أن هذه الجماعة تكاد تكون اسمية لا وجود لها ملموسا لا فى باكستان ولا أفغانستان، فقد أعجبنى الاسم وشدنى لقب رحيم الله وقلت لعله يتحدث بلسان أبيه فكان الحديث «دردشة» حيث وجه رحيم الله أكبر اللوم لربانى الذى أصر على ترك أبيه لمنصب

أول رئيس لأفغانستان ما بعد الشيوعيين عندما انتهت فترة رئاسته وكانت شهرين فقط فى.٢٨/ ٦/ ١٩٩٢ وهو يرى ظهور طالبان رد فعل لما وصفه باستيلاء ربانى على الحكم مع أنه كان هناك اتفاق مسبق على رئاسة ربانى بعد المجددى.

ويرى رحيم الله أن «كل يوم يمر تتعقد فيه المشكلة الأفغانية أكثر، والحرب لا تحلها»... وحسب قوله، فإن الجبهة ترى أن الشعب الأفغانى لا يحكم بالقوة وتطلب من الطرفين المتحاربين وقف النار فورا والبدء فى مفاوضات مخلصة لحل المشكلة، ويعتبر المجددى أنه «لا حل دائما إلا بحكومة مركزية مقبولة من الشعب الأفغانى بحيث يختارها مندوبوه».

ويضيف رحيم الله أن جبهته أو جبهة أبيه لها اتصالات مع طالبان والمعارضة وجميع الجماعات الأفغانية وتنصحهم بهذا الأمر.

ويدعى المجددى أن أغلبية الشعب الأفغانى تؤيد هذه الجبهة وأن لها مؤيدين من جميع الطبقات والفئات ولكن لا يعبرون عن آرائهم «لأن الجو غير مساعد»!! ويقول رحيم الله أن على طالبان مسئولية كبيرة فى وقف الحرب ومنح حق تقرير المصير للشعب الأفغانى.

وينظر إلى مجلس شورى طالبان باعتباره غير ممثل للشعب الأفغانى كله، ويدعو لجمع كافة العلماء والسياسيين والطبقة المثقفة فى مجلس شورى موسع، كما يدعو المجددى طالبان للتسامح مع المجاهدين السابقين قائلا: «لا يمكن رفض جميع المجاهدين بسبب أخطاء بعضهم مثلما يتعاملون مع محمد نبى محمدى، عليهم أن يعاملوا الآخرين بالمثل خاصة من لم يضروا بالقضية ولم يدمروا البلاد».

هذه بعض آراء المجددى الصغير الذى عرفت أن طالبان ينظرون إلى أبيه بريبة وإن لم يضعوه فى مصاف الأعداء، وفى أفغانستان تعددت الجماعات والموت واحد!

طـــــالـــــبـــــان

الـعـمـائـم والخـنـاجـر والأفـيـون

12

«منابع» خارج الحدود

دار الخيّـــال

لم أكن أعرف أن الطريق إلى جامعة «دار العلوم الحقانية» من بيشاور طويل لهذه الدرجة، فأخذت أقطع الملل بقراءة تقرير عن المدارس الدينية كنت قد حصلت عليه من وزارة الشئون الدينية فى إسلام آباد، فى حمى بحثى عن جذور طالبان.

يقول التقرير: إن عدد هذه المدارس المتناثرة فى أنحاء باكستان يبلغ ٣٧٠٦ مدارس وعدد طلابها حوالى ٥٤٠ ألف طالب وطالبة، فى حين يبلغ عدد الطلاب ٤٦٦٤٦٦ طالبا فإن عدد الطالبات لا يتجاوز الـ ٧٤ ألفا فقط، وحسب التقرير فإن أغلبية المدارس الدينية فى إقليم البنجاب الذى يضم ١٦٨٦ مدرسة ثم إقليم الحدود الشمالية الغربية (سرحد) ٦٨٦ مدرسة، وبقية المدارس منتشرة بشكل أقل فى الأقاليم الأخرى.

وحسبما قال لى صحافى باكستانى فإن عدد الأفغان فى هذه المدارس يقدر بعشرات الآلاف، وتعرف المدارس الدينية بـ «الديوبندية» نسبة إلى بلدة هندية أنشئت فيها أول مدرسة، وتسمى المدرسة بالجامعة وهذا هو الاسم الرسمى، وهى تشمل كافة المراحل التعليمية من الابتدائى للجامعة أما تاريخ النشأة فيعود للعام ١٨٦٧، ومنذ ذلك الحين تدرس هذه المدارس «العلوم الشرعية» بشكل أساسى وبعض العلوم الأخرى مثل اللغة العربية بنحوها وصرفها وبلاغتها، فضلا عن الأدب الفارسى والفلكيات والرياضيات القديمة، مما يسمى بـ «العلوم الآلية» التى

تساعـد على فهم الـعلوم الشرعـية، وتوصف هـذه المدارس بمدارس العلـماء، وفى اللغـات السائدة فى بـاكستان وأفـغانستـان يقال لها «أولـما مدارس»، والكتـب التى تدرس وفقاً لمناهج هذه المدارس لا يقل عمرها عن ١٠ قرون!

المهم وصلـنا إلى «الجامعة الحقـانية» حيث كنا نسـعى للقاء «مولانا» سـميع الحق وهو أحد قطبى التعليم الدينى فى باكستان، والثانى هو «مولانا» فضل الرحمن وكل منهما يرأس جماعة تسمى نفسها بـ «جمعية علماء الإسلام فى باكستان»، والحق أن الوقت لم يتسع لمعرفـة من انشق على من فيهما، وفى «الجامعة الحقـانية» التى أسسها عبدالحق جد والد سميع الحق وبدأت بحلقات للدراسة الدينية فى الخمسينيات، كما عرفنا فيما بعـد، لم نجد من المسئولين سوى راشد الحق ابن سمـيع الحـق حيـث كان الأب فى إسـلام آباد، وقلت لـنفسـى هذا حق وذاك حـق المهم أن نعـرف من أيهـما الحق!

بدا راشد الحق بن سميع الحق بن عبد الحـق مرحبا بنا عندمـا استقبلنا فى مـكتبه البنسيط فى الطابق الثانى حـيث جلسنا على سـجادة أفغانية ونودى إلى الـشاى على الطريقة الأفغانية أيضًا، وبانتظار الشـاى الذى اعتبره راشد الحق حقا عليه، شرعنا فى حديـث عن المدرسة ـ الجامعة ـ والـتعليـم الدينـى وطالبـان وبدأ راشد الحق كـلامه بإبلاغنا بـأنه يحمل «ماجستيـر» فى الدراسات الإسلامية وبأن الدراسـة فى الجامعة ـ المدرسة ـ ٩ سنوات لابد أن يسبقها تعليم ابتدائى فى مدرسة دينية أخرى، وهى مثل كل المدارس الديـنية «داخلية» أى يقـيم طلابها فيها، والحـق أننى عندما تجولـت فيها عرفت أن الطـلاب ينامون حيثمـا اتفق، فهناك «عنابـر» مخصصة للنـوم، وهناك من ينامون فى الفصـول الدراسية أو المسجد، وحسبما قال راشـد الحق فإن المدرسة توفر للطلاب الطعام، وهـم لا يدفعون أى مقابل، وردا على سؤال عن تمويـل نشاطها قال راشد الحق «إننا نعتمد على تبرعات المحسنين»، وأشار راشد الحق إلى أن هناك طلابا من جنـسيات مختلـفة يدرسون فيـها ولا تقتصر عـلى الباكسـتانيين والأفغـان فقط، وقابلت هناك طلابا من طاجيكستان والشيشان وأوزبكستان.

ومثل معظم المدارس الديـنية فى باكستان، تلتزم الجامعة الحقانـية بالمذهب الحنفى الشائـع فى شبه الـقارة الهندية، ويقول راشد الحـق إن الجامعة لا تقـتصر فقـط على

العلوم الدينية بل تدرس علوما عصرية مثل المنطق والحساب واللغة الإنجليزية والتاريخ.. وقد شاهدنا غرفة بها أجهزة كمبيوتر في المدرسة حيث قال إن الطلاب يستخدمونها.

ومعظم الأساتذة من باكستان، لكن هناك آخرون أفغان، وأساتذة «زائرين» من جامعات عربية، ويرى راشد الحق أن الهدف من الدراسة هو تخريج دعاة وعلماء دين، ويضيف: «هناك من الطلاب من ينخرط في جماعات التبليغ ويترك الدراسة لأيام وأسابيع ثم يعود إليها».

ويؤكد راشد الحق ارتباط الجامعة بجمعية علماء الإسلام التي يرأسها والده وأن لها خططا طموحة تشمل إنشاء «مآهد لتأليم اللغة الأربية» حسب نطقه «معاهد لتعليم اللغة العربية»! وتنظر الجمعية ومن ورائها الجامعة إلى الحكومة الباكستانية باعتبارها عدوا «لأن زعماء باكستان أبناء لأمريكا ونحن نخالفهم» على حد قول راشد الحق الذي أوضح أن الجامعة تشهد مظاهرات ضخمة ضد الحكومة قد تنتهي بسجن بعض الطلاب شهورا.

وردا على سؤال عما إذا كانت الحكومة تتهم الجمعية بالوقوف وراء عنف مسلح في باكستان قال راشد الحق «الحكومة لا تتهمنا بذلك لكن الغرب هو الذي يتهمنا لأن لنا علاقات بالمجاهدين في كشمير وطالبان».

وفي إجابته عن سؤال حول ما إذا كانت الجامعة ترسل طلابها لأفغانستان وكشمير للمشاركة في القتال هناك قال «الأفغان يذهبون لبلادهم ويحاربون إلى جانب طالبان، والباكستانيون يذهبون لكشمير (التي تحتلها الهند) وإن حدث تبادل فهذا شيء شخصي».

ومما قاله راشد الحق أن هناك من بين قادة طالبان من تخرجوا في الجامعة الحقانية مثل مولوي عبدالكبير نائب رئيس الحكومة والملا محمد حسن رحماني والي قندهار ومولوي سعيد الرحمن حقاني السفير الأفغاني في إسلام آباد ومولوي شهاب الدين دلاور القائم بالأعمال السابق في السعودية، ومولوي حفيظ الله المسئول في وزارة الخارجية، ولفت انتباهي أيضًا إلى أن الملا محمد عمر زعيم طالبان والملا محمد

ربانـي رئيس الحكـومة (المسماة مجلس الشورى) تـلقيـا قسطا مـن تعليمهمـا فى باكستان.

ويؤكد راشد الحق أنه لو توافرت الإمكانات لجمعية علماء الإسلام (جناح سميع الحق) لأنشأت فرعا لها فى أفغانستان، وهو يـتمنى أن تظهر حركة طالبان أخرى فى باكستان «لأن الجمهـورية ليسـت طريقا صـحيحا لـلحكم وأكـثر رجال الحكـم فى باكستان مثل نواز شـريف وبنازير بوتو لصوص والاقتصاد مخرب والـفساد مستشر والسـياسات المـطبقة فـاشلة والـسياسـيـون لـم يحقـقوا آمالنـا لا فى الديـن ولا فى الدنيا»!!

هذه هـى آخر كلـمات راشد الحـق الذى كنت أطـمح للـقاء والده لـكن انتـهت الرحلة من دون هذا اللـقاء، لأسباب خارجة عن الإرادة، وبينما نحـن فى طريقنا إلى خارج الجامعة حاولت تـصوير أحد الطلاب فأشار رافضا بغضـب وهو منكب على القراءة فى كتابـه متأرجحا للأمام والوراء مذكرنـى بكُـتّـاب قريتنا فـى صعيد مصر، خاصة أن الكتـاب كان متهالكا ممزق الغـلاف بصفحاته الصفراء وخـطوطه السوداء المكتوبة باليد!

وعندما ذهـبنا لزيارة مدرسة دينـية فى مخيم قريـب من الجامعة الحقانيـة، ودخلنا المدرسة فجأة بصحبة مـرافق من الشرطة الباكستانية أخذ التلامـيذ الصغار يفرون منا كما يفر الـدجاج من ذئب البرارى، حيث ذهبـوا سراعا إلى مدير المدرسة صـبغة الله الذى عاملنا أيضًا كذئاب هجمت على حظيرة تلاميذه وقابلنا بغضب متسائلا: كيف دخلتم وكيف حاولتم تـصوير الصغار؟ وحتى حينما أبلغه المتـرجم أننى صحافى لـم يهدأ، ولكنه بدأ يـلين عندما قلت له عبر المتـرجم أننى جئت خصيصا لمقابـلته تقديرا للـدور العظيـم الذى يؤديـه لخدمة الـتعليـم وأفغانـستان، وأنـنى أطلب مـنه حديـثا خاصا!! وهنا انفرجت خمسة فى المائـة من أسارير السيد المدير الذى قال إن المدرسة بها ٢٠٠ تلمـيذ و٦ أساتذة، وينفق عليهـا رجل أعمال أفغانى فى باكـستان، وأن بها فصلا لحفظ القرآن وآخر للتفسير، وثالـثا للحديث الشريف، وأن مدة الدراسة فيها ٨ سنوات، ورغم قوله أن المدرسة لا علاقة لها بأى فـصيل أفغانى إلا أن المترجم بحسه

الشعبى قال لى فيما بعد أنه يظن أن حزب الجمعية الإسلامية برئاسة برهان الدين ربانى هو الذى يدير المدرسة مؤكدا أن معظم التلاميذ من الطاجيك.

وقد بدا صبغة الله متحفظا فى حديثه حيث لم يمتدح طالبان ولم يذمها لكنه قال إن «أفغانستان تدخل إلى أعماق المشاكل أكثر رغم أن طالبان جاءت بالأمن وحفظت للشعب أمواله وأعراضه». ودعا إلى حل سلمى يشارك فيه الجميع، ورفض صبغة الله أن نجرى أى حديث مع التلاميذ قائلا إنهم صغار ولا يحسنون التعبير، وعندما قلت له إننى لا يهمنى حسن التعبير أصر على موقفه بشدة وعاد إلى موقف استقبالنا الأول.. الرفض والوجوم، بينما التلاميذ يحتشدون حولنا كأنهم يشاهدون عرضا «للأراجوز»!

«جامعة إمداد العلوم الإسلامية» هكذا واجهنى الاسم وأنا أقف متأملا أمام الباب الذى بدت خلفه مئذنة عالية لمسجد يفرض هيبته على المكان فى بيشاور، وحين دخلنا بحثنا عن مولانا حسن جان رئيس الجامعة ـ المدرسة أيضًا، ـ لم يكن الرجل موجودا فى مكتبه المتواضع، كان فى درسه داخل المسجد، واضطررنا للانتظار حتى ينتهى من هذا الدرس الذى عرفنا أنه فى الحديث الشريف، وتسللت بخفة إلى داخل المسجد من طرف بعيد وجلست أشاهد هذا الرجل السبعينى ذا اللحية البيضاء وهو منخرط فى الشرح وقد جلس على كرسى بينما الطلاب المتحلقون حوله فى صحن المسجد يستمعون بإنصات، لكن عندما تنبه بعضهم لوجودى بدأت جيوش من النظرات تصوب نحوى، لكن دون ضجيج، ولما خشيت أن تكبر بعض الهمهمة التى بدأت تسرى بين الطلاب وتتحول إلى ضجة تسللت منسحبا خشية غضب الشيخ ومجهول قد لا يحمد عقباه.

ووجدت أن هناك فرصة للتجول فى الجامعة فمررت بالمخبز والمطبخ وبعض حجرات إقامة الطلاب الذين كان بعضهم فى لحظات استرخاء ومررت أيضًا بفصول دراسية، خطفت بعض الصور لتلاميذها وسط دهشة واستنكار لا يصل إلى حد الرفض المعلن، ولا أعرف لماذا تمنيت لو أننى درست فى مثل هذه المدرسة لا لشىء وإنما لهذا الإحساس بأن التعليم «شعبى» أو «ودى» لا نظامى حيث الأجراس والطوابير وكلمات الصباح وتحية العلم والحضور والغياب فكل هذا لا وجود له هنا،

يحضـر الطالب أو يغيـب، يترك المدرسة شهـرا ويعود لا أحد يسأل ولا أحـد يشرع «العـصا لمن عصـى» وربما يكون هـذا سببا رئـيسيـا فى الإقبال عـلى هذا النـوع من المدارس!

جاءت لحظة مقابلة مولانا حسن جان الذى أبدى ترحيبه وسروره لكونى صحافيًا عربيا مسـلما، وبعد أن أعطانا فكرة عـن دراسته ومؤهلاته وأكبرها درجة المـاجستير من جامـعة بيشاور حـدثنا عن المـدرسة التى قال إنـها أقيمت عـلى موقع كـان يضم كنيساً يهوديا فـى أواخر القرن الماضى ملحقا به ناد «يروده الفـاسقون وشاربو الخمر» حسب قـوله، وبعد رحيل الـيهود سعى الـسكان المسلمون طـويلا لإقامة مسجـد فيه لكن الحكـومة ظلت ترفض إلى أن جاء ضـياء الحق إلى الحكم، ووافقت الـسلطات على طلب هؤلاء السكان فى أواخر السبعينيات.

ووفقا لرواية جان فإن دولـة إسلامية شاركت الحكومة الباكستانـية فى تمويل بناء المسجد ،لكن هذا لـم يكف إلى أن جاء محسن قطرى ثرى وأقام الجامـعة وفى قلبها هذا المسجد. والآن يدرس فـيها حوالـى ٨٠٠ طالب يقـوم ٢٦ مدرسا بتـعليمـهم، والطلاب يسكنون داخل الجامعة ـ المدرسة ـ الـتى تدرس المواد الدينية بشكل أساسى وتركز على المذهب الحـنفى مثل الجامعة الحقانية، ويؤكـد مولانا حسن جان أن هذه الجامعـة لا تتلقى الآن أية تـبرعات من خارج باكـستان وتكتـفى بهبات الخيـرين فى البلاد.

وينفـى رئيس الجامعـة أن يكون الطلاب مـنصرفين إلـى الحفظ دون الفهـم قائلا «نحن ندرس لهم المعانى وهناك مناقشـات وتخصصات وأحاديث فى التفاصيل، فى المناهـج الموزعة على تسع سنوات». ورداً على سؤال بـشأن الاتهامات الموجـهة إلى المدارس الديـنية بأنهـا لا تبرز سماحـة الإسلام بل تخـرج متشددين وغـلاة قال جان «هذه دعايـة غربية صرفة ضـد الإسلام والمسلمـين.. نحن لا نسـمح بالتشـدد ولـديتا علماء يدعون الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والتشـدد والإرهاب ليس من تعاليـم الإسلام.. بعض الشباب يقومـون بهذه الأعمال من عندهـم أو يحرضهم بعض الـقادة الثوريـين عليـها، أما المدارس الديـنية فى بـاكستان فـلا يوجد فيـها من

يحرض على التشدد أو التطرف أو الأصولية، والغربيون يقدمون الإسلام للعالم على أنه دين إرهابي ووحشي، إنك لا تجد في جامعتنا بندقية واحدة. فأين الإرهاب؟!».

وفي إجابته عن سؤال بشأن حركة طالبان يقول جان «إنهم رجال طيبون ونؤيدهم وندعو لهم بالسلامة والتوفيق.. إن هذه الحكومة مثالية، ولقد سبق أن حاولت الإصلاح بين رباني وحكمتيار وقلت لهما إن هذا الملك لكم ولن يأتي جبريل ليكون رئيسا عليكما، لكن استمرت الحرب ودمرا البلاد ولما جاءت طالبان وأخذوا الحكومة بحمد الله بقوة وهرب هؤلاء وأصبح الشعب كله مرتاحا ومسرورا.. طبقت طالبان الشريعة وأقامت حدود الله وانتهى الفساد، والأمن الذي أوجدته طالبان غير متوافر في باكستان».

ويشير مولانا حسن جان إلى أن لديه علاقة طيبة بطالبان «وأكثرهم من تلاميذنا مثل حمد الله وزير التعليم ووالي كونر «وأشارك في حفلاتهم الدينية» بنص كلماته.

ويجيب جان عن سؤال عما إذا كان ينصح الطلاب الأفغان في الجامعة الذين يمثلون الأغلبية - حسب استنتاج محمد المترجم الأفغاني - بالانضمام لطالبان بقوله «إذا طلبت طالبان منا أن نبعث إليهم الطلاب فإننا ننصحهم بذلك لكن لا نأمرهم، وعند «فتح» مزار (يقصد استيلاء طالبان على مدينة مزار الشريف في شمال أفغانستان في شهر أغسطس ١٩٩٨) ذهب الطلاب الأفغان وعطلنا المدارس ١٥ يوما في إقليم سرحد لكنهم (طالبان) دخلوا المدينة قبل وصول هؤلاء الطلاب، وبعد ذلك قالوا للطلاب نريدكم للمشاركة في جمع السلاح حتى لا تعتمد على العوام الذين قد يسرقون بعض الأسلحة لكن لا تشاركوا في القتال لأنه ليس لديكم الخبرة.

ويرى مولانا حسن جان - وبالمناسبة مولانا هو أعلى الألقاب الدينية.. أعلى من مولوي وملا - أن اتهام طالبان بالتشدد وإساءة معاملة غير الباشتون دعايات كاذبة، ويضرب مثالا بمنع سفور النساء قائلا «إنه ليس بتشدد ولكن تطبيق للشريعة، هم ما تشددوا لكن منعوا السفور والفجور والقمار، وهم ليسوا ضد تعليم النساء ولكن

ضد ما كان يحدث فى العهد الشيوعى.. أنا تكلـمت معهم فقالوا نحن نريد تحجـ
ثم نضع لهن المنهج حيث كنت قد كتبت لـهم مناديا: لا تمنعوا النساء مـن التعلي
وسمـحوا لهن والحـمد للـه»..وقال لى والى هـرات (على الحـدود الغربـية متاخ
لإيران): جاء وفد من النسـاء لى قائلا: ماذا نفعل؟ فقلت لهن: أنـتن نساء مسلم
أم كافرات؟ فقلن نحن مسلمات، فقلت لهـن: القرآن يقول «قل للمؤمنات يغضـ
من أبصـارهن ويحفظـن فروجهن ولا يبديـن زينتهن» وقـلت لهن ـ والكـلام لو
هرات ـ أنتن تبقين فى بيوتكن ونحن نقدم لكن الرواتب.

ويضيف جان: «هذا لا يحدث فى أمريكا التى لا تعطى مواطنيها رواتب إذا كـ
لا يفعلون شيئا ويكتفون بالبقاء فى بيوتهم»!

ويتابع جان كلامه قـائلا: أما الأعراق الأخرى فبعضهم كانوا مخـربين ومفسد
يعملون بإرشاد إيـران التى تريد هدم الحكومة الإسلامية، وإذا وجـدت قوما أو شـ
ضدك لابد أن تـقوم ضدهم.. وطالبـان لا تريد تقسيـم الدولة على أساس الـلغة
العرق، وهذه دعايات ينشرها مسعود وربانى فليس لديهما حجج أخرى.

وبما أن مولانا حسن جان مـن كبار العلماء فى باكستان فـقد عنّ لى سؤال خـا
اللقاء سـبق أن أثاره معى باحث عـربى فى إسلام آباد وهو: هـل البيعة للمـلا محـ
عمـر شرعـية، خاصـة أنه بـعين واحـدة وحسب كـلام البـاحث فإن بـعض قـيادا
المعارضة تطرح هذه المسألة فى دعاياتها، المـهم ألقيت السؤال على الرجل الذى تبـ
ومال بظـهره إلى الخلـف متكئا عـلى وسادة صغـيرة ونحن مفترشون أرض مكـ
المغطاة بالموكيت قائلا: «هم لا يعرفون قواعد الـشرع.. الحكومة تقوم بشيـئين اثـ
الأول: الغـلبة، والـثانى: البـيعـة، وحسم له (المـلا عمر) الأمـران جميـعا لأنه غـلـ
(المعارضة) وبايعه الـعلماء أصحاب العقد والحل، والرجل لا يـصلح أن يكون أمـ
للمـؤمنين لو كـان فاقد العـينين، أما إذا كـان بعين واحدة فـهو يصلـح لأن الإنسـ
لايخلو من العيوب، وهو كذلك أحسن حـالا من هؤلاء اللصوص، ويجمع العلمـ
حوله والأغلبيـة تكون لها الحكومة.. فى بريـطانيا كلهـم راضون بالملـكة وفى أمريـ
لايطـالبون بإدخـال المعارضة فـى الحكومة .. كـل هذا يقال لأن إيـران تريد حكـو
شيعية»!

ولما أدركت أنه يذهب بعيدا ثم يعود لإيران وجدتني متشجعا على أن أسأله هذا السؤال: هل إذا حاربت إيران أفغانستان ستنصح الباكستانيين بالانضمام للأفغان ضدها ؟.. ووجدت إجابته طريقها إلى أجواء الغرفة الحارة في صوت جهوري: «نحن مع المجاهدين الأفغان ونعلن الجهاد كذلك ضد الإيرانيين لأن تدخلهم سيكون غير شرعي والشريعة تسمح للإنسان بالدفاع عن نفسه وماله وعرضه «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد» والأفغانيون سيكونون شهداء والإيرانيون خبثاء، وإيران لن تهاجم ولن تستطيع، إيران عدو المسلمين كلهم ونحن مع الأفغان»!، بدا كلامه كالقنبلة المدوية التى لا تترك مجالاً لتعقيب، وهرباً من وقعها استأذنته وتركته وهو مبتسم والأسئلة تتسابق فى رأسى كالخيول الهائمة!

وبينما نحن فى طريقنا للخروج وجدت طالبا أفغانيا يشدنى من يدى قائلا بالعربية تعال يا أخى وقبل أن أجيبه أضاف «نريد أن نجلس معك.. عرفنا أنك صحافى عربى مسلم»، وذهبت معه وحوله زملاؤه وجلسنا فى حجرة مخصصة للسكن.. كانت الحجرة ضيقة ولولا الأسرة لقلت أنها زنزانة من ضيقها ووجدتها فرصة للحوار مع بعض أبناء المدارس الدينية أو العلماء، وسأعرض إفادات بعضهم مع العلم أن المناهج التى يدرسونها يبلغ عمرها قرونًا، وكلمة «معاصر» لا محل لها من الإعراب، والطلاب الذين حاورتهم جميعا أفغان.

يقول عبدالرزاق جان محمد (٢٤ عاما): «أدرس فى هذه الجامعة دورة للحديث الشريف منذ عام واحد وعندما كنت صغيرا درست فى مدارس أفغانية فى الداخل فضلا عن مدارس الأحزاب الجهادية فى باكستان، وليس فى الدورة علوم عصرية نحن ندرس الحديث فقط، لكننى أرى ضرورة تدريس هذه العلوم لأن الإنسان يحتاج إليها، وكذلك العلوم الدينية معا، أقرأ الجرائد الباكستانية وأعرف منها معلومات عن الدول الإسلامية».

ويضيف «حكومة طالبان جيدة لأنها حكومة إسلامية ومتفقة مع الشعب وسلوكها يتسق مع القرآن والسنة وهى إذا خالفت حدود الله فإن الناس يخالفونها»، ورفض عبدالرزاق الإجابة عن سؤال تفصيلى عما يعجبه ولا يعجبه فى طالبان متعللا بوجوده خارج أفغانستان، وحسب ما قال فإنه لم يقاتل مع طالبان.

أما رحمة الله (٢٣ عاما) فيقول أنه يشاهد التليفزيون ويستمع للأخبار ويتلقى بعض المعلومات العلمية حول البيئة لكنه لا يذهب إلى السينما «لأنها مخالفة لعقيدتنا الإسلامية وأخلاقنا ولا تطابق الشريعة» وهو لا يرى شيئا يكرهه فى طالبان ويحذر من أنه «فى حالة خروج الحركة عن الشريعة فإننا سنخالفها (أى سنحاربها)»، ويوافق رحمة الله على تعليم المرأة بعض العلوم العصرية فقط، وحسب قوله «فنحن لا نحتاج إلى طيارات أو عالمات فيزياء أو كيمياء ولكن نحتاجها فى تدبير شئون الأسرة والبيت كما نريدها طبيبة وممرضة ومعلمة».

سميع الله محتاط (٢٠ عاما) يدرس فى الجامعة منذ ٨ سنوات، والده استشهد فى الجهاد ضد الشيوعيين وأخوه يعول الأسرة فى كابول حيث يعمل صيدلانيا ويرى الوضع الراهن مناسبا لأفغانستان، لأن الشعب الأفغانى مسلم وراض بالإسلام، وقد قرأ سميع الله كتبا خاصة بتعليم اللغة الإنجليزية، والآن لا يقرأ سوى كتب الحديث ويعتبر سميع الله أن أمريكا عدو للمسلمين والإسلام ولن تفيد الأفغان أبدا، ومثل معظم الطلاب لا يشاهد السينما والتليفزيون وهو يرفض الصلح مع المعارضة وهو يقول أنه «سيخالف» طالبان إذا أتت بأحمد شاه مسعود وعينته فى الحكومة!

استلفت انتباهى فى أبو عميرة عبدالحنان (٢٠ عاما) جديته الشديدة التى تصل إلى مستوى الحدة، ورغم أنه لم يحارب مع طالبان لكنه يعد بالانضمام إليها بعد انتهاء دراسته، وهو يرى أعداء طالبان «مخالفين للإسلام»، ويعتبر أبو عميرة أن المسلمين «أعجبتهم الدنيا ويعملون ضد أنفسهم»، وهو يرى «ضرورة وحدة المسلمين ضد الكفار والشيوعيين» و«ضرورة الجهاد ضد الدول الإسلامية التى لا تطبق الشريعة حتى تطبقها، لأن الإسلام هو الدين القيم، والله تعالى يقول: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾.. ويضيف أبو عميرة «يجب أن نذهب إلى الدول غير الإسلامية ونقول لها كما قال الرسول ﷺ«أسلم تسلم وإن لم يدخلوا فى الإسلام نجاهدهم حتى يفعلوا أو يموتوا».

ويتابع أبو عميرة «إذا خالفت طالبان الإسلام فسنجاهدها، وقد درس أبوعميرة

من قبل في جامعة الدعوة والجهاد في باكستان، وهي إحدى الجامعات التي أسستها جماعات المجاهدين في باكستان، وهو متزوج ولديه طفل صغير عمره عامان .

محمد موسى بن علي مرجان يدرس في الجامعة سعيا للحصول على أعلى شهادتها وهي «العالمية» وهو راض عن الدراسة ولكنه يرى لو أن العلم (الديني) كان مشتملا على السياسة لكان هنالك محافظة على الدين أكثر.

ولا يقبل محمد الخلاف في الدين ويرى أنه يجب أن يكون «كل المسلمين على رأي واحد»، لكنه يستدرك قائلا إن الخلاف المقبول يجب الا يزيد على حدود الاختلافات بين المذاهب الأربعة، وبعكس آخرين فإن محمد يقرأ كتبا غير دينية ويشاهد التليفزيون بما في ذلك الأفلام الحربية، لكنه لا يشاهد اية افلام تظهر فيها النساء، ويرى محمد موسى أن الباكستانيين يهتمون بالصلاة فقط ويتحسرون في أشياء أخرى مثل ترك الفتيات يتجولن في الشوارع بلا رقيب، ويعتبر موسى أن تبني «الجهاد» ضد الدول التي لا تطبق حكوماتها الشريعة قد يكون صحيحا لكنه لا يفتي بذلك، ورداً على سؤال حول ما الذي سيفعله أن صار حاكما على باكستان قال «سآتي بحكومة مثل طالبان» التي يحبها جدا إذ كل شيء تفعله ممتاز جدا.

ويحكي محمد موسى عن تجربة مريرة عاشها خلال قتاله مع طالبان حيث أسرته قوات أحمد شاه مسعود قائلا «عندما أسروني ضربوني ضربا موجعا ووضعوني على الخازوق، وقالوا لي: أنت من أمريكا وتأتي بالدولار.. فقلت لهم إنني أفغاني وطالب، فلما حاكموني قالوا لي: أنت من باكستان.. فقلت: والله لست كذلك رغم أنني درستُ فيها ٧ سنوات»، ويشير محمد موسى إلى انه نجح في الفرار من الأسْر والخازوق! وهو يتمنى أن يصبح الأمريكيون والأوروبيون مسلمين.

ويبدو شيخ عبدالله البالغ من العمر ٢١ عاما وهو من أبناء كابول مختلفا في نقطة جوهرية إذ إنه يعمل مدرسا في باكستان وبالتحديد في بيشاور التي هي مقر جامعة إمداد العلوم الإسلامية أيضا.

ويدافع شيخ عن طالبان بشدة قائلا «نحن نحكم وندرس وفقا لنهج النبي ﷺ»، ولا يخفي رفضه لإيران قائلا عن الإيرانيين «يريدون أن يخربوا إسلامنا وديننا»، وهو

يكره أمريكا أيضًا ويعبر عن ذلك بقوله «الطفل الذى مع أمه يعلم أن أمريكا عدونا».

ويقسم شيخ أنه حينما يذهب لبعض الفنادق ويرى جهاز التليفزيون لا ينظر إليه ولا يشاهده، ويؤيد شيخ تعليم النساء على «الطريقة الإسلامية»، ولا يعتقد أن التعليم العصرى وراء مآسى أفغانستان، كما يقول بعض الأفغان الآن .. هذه هى بعض الشهادات من قلب أحد المنابع التى تأخذ طريقها إلى أفغانستان بهدوء وعلى مدى طويل أحيانا وبسرعة ووضوح أحيانا أخرى لتعضد طالبان فى الحالتين.

عندما ذهبت لمقابلة مولانا فضل الرحمن رئيس أحد جناحى جمعية علماء الإسلام تصورت من كثرة ما قرأت عن الرجل أنه «أسطورة» لكن اتضح لى بعد أول ٥ دقائق أن هذا التصور هو الأسطورة وأن مولانا بسيط للغاية رغم العمامة الصفراء التى ذكرتنى بالكتب الصفراء ونحن فى قلب إسلام آباد حيث استراحة مولانا الذى يتنقل فى ثنايا البلاد مثيرا لغطا بتصريحاته النارية ضد الحكومة وبمواقف أخرى فيها من السياسة أكثر مما هو من الدين أو على وجه الدقة رؤيته للدين.

وقد عرفت من مولانا فضل الرحمن أنه عضو سابق فى مجلس النواب حيث رأس لجنة الشئون الخارجية فى العام ١٩٩٣، وعن جمعية علماء المسلمين يقول «نحن منظمة فكرية ضد النظريات الباطلة وضد النظام الغاشم فى باكستان»، ونسيت أن أقول إن الحديث دار بلغة عربية لا تخلو من التكسير والانتهاكات الصارخة للنحو والصرف والنطق والإملاء!

بدأ الحوار بإشارته إلى أن التعليم الدينى قديم حيث بدأ على يد علماء شبه القارة الهندية الذين أرادوا التصدى للإنجليز بعدما فرضوا التعليم الخاص، وحسب قوله فإنه عقب تأسيس باكستان طلب العلماء من الحكومة أن يدخلوا العلوم الدينية فى الجامعات والمدارس الحكومية لكنها لاتزال ترفض حتى الآن، ويرى فضل الرحمن أن الدين الإسلامى لا يوجد إلا فى المدارس الدينية.

أما التساؤلات التى تطرح الآن بشأن مدى توافق التعليم فى هذه المدارس مع تطورات العصر والاتهامات لها بالجمود وتكريس الانقطاع عن المجتمع فيراها فضل الرحمن «شائعات غربية ضد الإسلام والمسلمين»، ويضيف «هذا لم يكن مطروحا

أيام الاتحاد السوفييتى، ولكن بعد انهياره أصبح الغرب وأمريكا قوة وحيدة فى العالم تريد السيطرة عليه.. الآن شعروا أن الإسلام عدو، هذه المدارس ليس فيها تدريبات عسكرية فى حين أن الجامعات الواقعة تحت سيطرة الحكومة الباكستانية مليئة بالسلاح».

لكن فضل الرحمن يعترف بأن المناهج فى المدارس والجامعات الدينية قديمة وإن دخلت بعض المناهج الحديثة مثل تدريس الكمبيوتر، ويبرر عدم تدريس الأفكار الإسلامية المعاصرة بعدم وجود تسهيلات لدى المدرسين، ويرى أن هذه المدارس تعانى من أزمة موارد مما يضطر القائمون عليها إلى التركيز على الكتب القديمة، ويستدرك قائلا: «صحيح أن الكتب قديمة لكن أثناء الشرح يدرس العلماء أفكارا جديدة».

ويعتبر مولانا فضل الرحمن أن الأزمة الأساسية للمدارس والجامعات الدينية تتمثل فى عدم وجود فرص عمل توفرها الدولة للخريجين بالقياس للجامعات الحكومية والخاصة الأخرى غير الدينية، ويرى أن ذلك وراء انقطاع الطلاب والخريجين عن المجتمع قائلا «ليس لهم فرص عمل فكيف يخدمون المجتمع.. لقد سدت الطرق أمامهم».

ويدافع فضل الرحمن عن عدم إدراك طلاب المدارس لما يجرى حولهم فى العالم قائلا «حتى فى الجامعات الحكومية نرى عددا قليلا يتابعون ما يحدث فى العالم أما مدارس العلماء فطلابها سدت طرقهم أمام السياسة وقيدوا داخلها وهم يعيشون حول كتبهم فقط».

وردا على سؤال بشأن اعتبار طلاب المدارس الدينية المجتمع فاسدا قال: «العلماء فى المدارس والجامعات أمامهم القرآن وكتب الحديث والفقه، وهم يأخذون الأفكار من الكتب فقط لأنه ليس لهم علاقة عملية بشئون المجتمع الذى يتكلمون عنه وفقا لما جاء فى الكتب القديمة».

وينفى فضل الرحمن أن يكون الأب الروحى لطالبان قائلا: «أنا الصديق الروحى» لهم، وقد استغرق فى الضحك، كما ينفى أن يكون لجمعية علماء الإسلام دور فى تكوين الحركة لكنه يشير إلى أن قيادات الحركة استفتت العلماء فى

أفغانستان وباكستان قبل تشكيلها، ويؤكد فضل الرحمن أنه لم تكن له أية علاقة مباشرة بطالبان قبل ظهورها، وأنه لم يقابل قياداتها إلا قبل عامين تقريبا، لكنه لا ينكر تقديم مساعدات سياسية لأنه «ليس لدينا أى شىء مادى نقدمه» على حد قوله.

وردا على سؤال عما إذا كانت جمعية علماء الإسلام نصحت طلاب المدارس الدينية من الأفغان بالانضمام إلى طالبان بعد نشوئها، أجاب «هذه النصائح لم تكن من جمعية علماء الإسلام، بل عندما حدث التأييد الجامع لطالبان أغلقت المدارس لأن الطلاب (الأفغان) أرادوا الانضمام إليها، وفى معظم المدارس ترك الطلاب دروسهم وذهبوا للقتال مع طالبان دون استئذان من أساتذتهم.

ويمتدح مولانا فضل الرحمن قيادات طالبان قائلا: «إنهم مخلصون للدين ولأهدافهم ويستعينون بالله ويصدرون قوانين شرعية والله يوفقهم فى هذا الفتح العظيم».

وعن الانتقادات التى توجه لطالبان حاليا يقول «هذه ثورة، والثورة تهدم كل شىء أولا ثم تبنى درجة درجة».

وينفى فضل الرحمن وجود صراع بين السُنة والشيعة فى أفغانستان أو تحيز طالبان للسنة قائلا: «لقد كافحوا ضد ربانى وحكمتيار ومسعود وهم سُنة، فالقضية قضية مبدأ وأصول، كما ينفى أن تكون طالبان حركة باشتونية بقوله «طالبان ليست حركة قومية أو لسانية.. إنها حركة دينية إسلامية».

وحول موقف طالبان من تعليم المرأة يقول: «فى عهد الشيوعيين لم تكن هناك سوى مدرستين فقط لتعليم البنات ولا أية مدرسة مماثلة فى مخيمات اللاجئين فى باكستان، وأمريكا والغرب ساعدا على ذلك ولم يتحدث أحد عن حقوق المرأة لكن طالبان أنشأت ١٠٠ مدرسة للبنات فى أفغانستان ولم تعلن ذلك رسميا».. (رواية طالبان مناقضة لهذا تماما وسبق طرحها فى فصل سابق).

ويختتم فضل الرحمن حديثه بالقول: «للأسف وسائل الإعلام العالمية تثير الشائعات ضد المدارس الدينية وطالبان لأننا لا نخدم الغرب».

طـــالـــبـــان

العـمـائـم والخـنـاجـر والأفـيـون

13

البطل والكابوس!

دار الخيّـال

فى أول لقاء مع مولوى عبد الحى مطمئن مسئول الإعلام فى قندهار قدمت قائمة بالطلبات الخاصة بمهمتى فى أفغانستان، وكانت القائمة مكونة من عشرة مطالب، تلقيت موافقة على سبعة منها ورفض الثلاثة وهى : زيارة مدينة مزار الشريف، وتفقد المعسكرات التى قصفتها أمريكا فى خوست، قبل زيارتى بأسابيع حيث قالت إنها لأتباع أسامة بن لادن، وأخيرا مقابلة ابن لادن نفسه أو حتى توصيل أسئلة له للإجابة عليها، وكان هذا الطلب على رأس القائمة، وكان الرفض باسم «أمير المؤمنين» أى الملا عمر زعيم طالبان، ذلك الرجل الذى ينسج بعض الأفغان حكايات عن علاقته بابن لادن.

وهناك من يقول إنه متزوج من ابنة ابن لادن. غير أن ابن لادن كان حاضرا فى الأحاديث التى أجريتها مع مسئولى طالبان وعلى رأسهم الملا عمر، فى فترة سعت فيها طالبان لتبرئة ابن لادن من الإرهاب ومن ممارسة أنشطة ضد الولايات المتحدة وغيرها انطلاقا من الأراضى الأفغانية، خاصة بعد حادثتى تفجير السفارتين الأمريكيتين فى نيروبى ودار السلام يوم ٧ أغسطس ١٩٩٨، وبالفعل وخلال حديث الملا عمر عندما سألته عن ابن لادن أجاب: «هو ضيف يجب علينا احترامه وحمايته لكننا لن نسمح لأحد بأن يمارس نشاطا ضد الآخرين مادام هو فى بلدنا».

أما وكيل أحمد متوكل مستشار الملا عمر فقد أكد أيضا ردا على الاتهامات

الأمريكية بأنه يمول هجمات ضد الولايات المتحدة ويصدر الأوامر بتنفيذها بأن طالبان لم تسمح له بممارسة أى نشاط منذ قدومه إلى أفغانستان للمرة الأخيرة عام ١٩٩٦، حيث سبق أن شارك فى «الجهاد» ضد الروس والشيوعيين فى الثمانينيات وكانت له علاقات بمعظم قادة المجاهدين، وعرف عنه أن تمويلهم من أطراف عربية وغربية كان بواسطته.

وكشف متوكل عن أن طالبان التى تعتبر ابن لادن ضيفا تلقت طلبا مباشرا من واشنطن بتسليمه، وكما قال: «فقد جاءنا مندوبهم لدى الأمم المتحدة (السابق) بيل ريتشارد سون وأراد أن يقنعنا أن ابن لادن شخص خطير وإرهابى، فقلنا له هذا الرجل جاهد معنا فى الحرب ضد السوفييت ومن حقه أن يظل فى أفغانستان.

ويضيف متوكل فى حديثه لى «لقد قلنا لهم عندما عرضوا علينا الاعتراف بنا كدولة مقابل تسليم ابن لادن لهم .. إن الاعتراف حق لأفغانستان ولا يمكن ربطه بابن لادن وإن كنتم ترون أنه من اللازم أن تفعلوا شيئا فافعلوا». ونفى أن تكون المعسكرات التى ضربتها الولايات المتحدة تضم إرهابيين من أتباع ابن لادن لكنه قال هذه المعسكرات بنيت فى عهد الجهاد ضد الشيوعيين لتدريب المجاهدين بمساعدة الولايات المتحدة.

وادعى متوكل أن أتباع ابن لادن فئة قليلة العدد وليست كثيرة كما تقول أمريكا واستخباراتها، ونفى تمويل ابن لادن الذى تقدر ثروته بمئات الملايين من الدولارات لطالبان وجماعات عربية مناهضة لحكوماتها قائلا: «لقد جمدت أمواله وليس لدينا معلومات عن تمويله لأحد فى الخارج وهو يعيش على أمواله وينفق على نفسه ومرافقيه، والحمد لله إنه لا يريد أموالا منا».

وقال لى الملا محمد حسن رحمانى حاكم ولاية قندهار ورئيس المجلس التنسيقى لست ولايات والمقرب من زعيم طالبان وأحد مؤسسى الحركة: «لقد اتفقنا مع ابن لادن على أن لا يمارس أى نشاط ضد الآخرين، أمريكا أو غيرها». ولكن مع الأسف نقض الاتفاق واتصل بصحافيين بعد الهجوم الأمريكى على أفغانستان وقال أنه سيقوم بنشاط فى الخارج.

وأضاف : اتصل به «أمير المؤمنين» وأخذ منه تعهدا جديدا بعدم ممارسة أى نشاط سياسى مادام يعيش فى أفغانستان، ونحن نطمئن الآخرين بأنه لن يمارس أى نشاط مستقبلا بعد تعهده الأخير.

وتابع قائلا : ليس لأمريكا حق فى تسلم ابن لادن لا شرعيا ولا دوليا فهو لاجيء سياسى وإذا هددتنا أمريكا فنحن مستعدون للتصدى لها. ونحن لا نرى أنه قام بأية جريمة تستحق المحاكمة ولن نسلمه أبدا.

وردا على سؤال بشأن الأدلة التى قد تعرضها الولايات المتحدة سعيا لتسليم ابن لادن قال : «الأمريكيون مخمورون ويرتكبون جرائم أخلاقية وهم يريدون التخلص من هذه المشاكل بالتخلص من ابن لادن. الحكومة الأمريكية فاسدة وتريد أن تطهر نفسها بهذه القضايا».

وبخصوص حراسة ابن لادن قال رحمانى : «نحن نحرس أى أجنبى فى أفغانستان ومسئوليتنا أن نحميه، ولكن ليس معنى ذلك أن هناك مجموعة من رجالنا مختصة بحراسته. له مجموعة من أصدقائه يصطحبونه فى أية جولة داخل أفغانستان».

وردا على سؤال حول إقامة منزل محصن لابن لادن تحت الأرض لحمايته من أية عملية أمريكية قال رحمانى : «خلال الحرب مع الروس كانوا يستخدمون صواريخ وقنابل فتاكة تخترق الأرض، فأقام الشعب الأفغانى مخابيء تحت الأرض وهى فى كل أفغانستان تقريبا. وأمريكا ليست أقوى من روسيا فى السابق وصواريخها لن تصل إلى هذه الأماكن. لم ننشيء لابن لادن أى مكان. أما إذا أراد أن يعيش فى أى مكان تحت الأرض فله ذلك».

ونفى رحمانى قيام طالبان بتدريب وإيواء متطرفين عرب قائلا : «كل من يقتل لايتعلم ذلك فى أفغانستان، وفى أمريكا قتلة لا يعرفون شيئا عن بلادنا ولا يمكن نسبة ذلك إليها. هذه اتهامات كاذبة ولا أحد يستطيع أن يثبت أن هؤلاء تدربوا فى أفغانستان ثم عادوا إلى بلادهم لممارسة القتل. وليس لنا أية علاقة بالجماعات التى تسمى إرهابية فى مصر والجزائر».

وعندما زرت كابول قال لي وزير خارجية طالبان الملا محمد حسن أخوند (أخوند لقب يعني المبجل ويطلق عليه لتمييزه عن الملا محمد حسن رحماني والي قندهار): «إن أمير المؤمنين غضب من ابن لادن لعقده مؤتمرا صحافيًا دون استئذان من طالبان أطلق فيه تهديدات ضد أمريكا بعد أيام من قصف المعسكرات في خوست»، وكشف الملا أخوند عن أنه كان هناك اتجاه في «القيادة الطالبانية» لمعاقبة ابن لادن على ذلك، وحسب نص كلماته «لقد كنت مع إنزال عقوبة به لكن أمير المؤمنين أخذ ميثاقا منه بألا يكرر ذلك مستقبلا بعد أن اعتذر له واعترف بخطئه».

وعلى مدى عدة شهور بات من الواضح أن طالبان تواجه مأزقا بشأن ابن لادن، فهو يعتبر «بطلا دينيا» في أفغانستان، وفي حين سقط معظم رموز الجهاد من الأفغان بقي ابن لادن الرمز الأبرز خاصة في ظل تحديه لأمريكا وهجومه على الأنظمة الموالية لها. كما أن بعض أتباع ابن لادن يحاربون إلى جانب طالبان، وقال لي أحد رجال الحركة وأنا في كابول بالأمس: قتل ٦ من أتباع ابن لادن «العرب الأفغان» على جبهة كابول خلال القتال مع قوات أحمد شاه مسعود.

وبالطبع العبرة ليست بحجم أتباع ابن لادن الذين يقدرون بالمئات وفي أقصى تقدير ألفان أو ثلاثة آلاف وفقا لروايات متناثرة سمعتها من رجال طالبان ومن بعض خصومهم في باكستان.

والمشكلة الأبرز بالنسبة لطالبان كانت الضغوط الشديدة من الولايات المتحدة والسعودية لتسليمه، مع العلم بأن السعودية هي إحدى ثلاث دول اعترفت بطالبان إلى جانب باكستان والإمارات العربية المتحدة، وبالفعل حدثت أزمة بين الرياض وطالبان، وطردت السعودية سفير طالبان، وحسبما أبلغني مسئول في الحركة بأن السبب هو رفض تسليم ابن لادن للسعوديين، وقال المسئول ووجهه يكتسي بحمرة الغضب «لقد قلنا للسعوديين إنكم أسقطتم الجنسية عنه وهو لاجيء لدينا فليس من حقكم تسلمه».

وطوال الشهور التي سبقت إعلان طالبان عن اختفاء ابن لادن، كان التوتر سائدا في علاقتها معه، وقلت اللقاءات بينه وبين الملا عمر، بل قيل إن الملا عمر ترك ابن

لادن ينتظره فى مقره فى قندهار ساعات قبل أن يسمح له بالمثول بين يديه الأمر الذى أثار استياء ابن لادن.

وفى تلك الفترة حاولت طالبان ممارسة لعبة الشرعية فى قضية ابن لادن، فأعلن قاضى القضاة نور محمد ثاقب أنه من لديه أدلة ضد ابن لادن سواء أمريكا أو غيرها فليقدمها له تمهيدا لمحاكمته، وانتهت المهلة دون استجابة من الأمريكان الذين رأوا أن محاكمة طالبان لابن لادن إذا حدثت ستكون غير ذات قيمة.

ولم تستجب السعودية بعد ذلك لطلب من طالبان بتشكيل لجنة شرعية مشتركة تحاكم ابن لادن حسبما أبلغنى وكيل أحمد متوكل مستشار الملا عمر والمتحدث الرسمى باسم طالبان.

وفجأة سمحت طالبان لابن لادن بإجراء مقابلات صحافية، وكثرت تهديداته من جديد للولايات المتحدة، ويبدو أن طالبان كانت تريد توجيه رسالة مفادها أن ابن لادن لايزال ورقة بأيدينا، وفى مفاجأة أخرى أعلنت طالبان اختفاء ابن لادن وسربت خبرا مؤداه أنه غادر أفغانستان.

وقال لى عبر الهاتف الشاب محمد الطيب مساعد متوكل ذى الأربعة والعشرين ربيعا بإنجليزية طليقة إن ابن لادن اختفى من وحدة مراقبة كانت شكلتها طالبان لتتبعه، وأنه ليس معروفا إن كان قد غادر أفغانستان أم فى داخلها، وكانت آخر كلمات الطيب ذى الوجه الأبيض والعينين العسليتين الذى يشع منهما الذكاء وأنا استحضر صورته فى لقاءاتنا فى قندهار وكابول «لقد اختفى أثره».

ومنذ ذلك اليوم (١٣ ديسمبر ١٩٩٨) والغموض يلف قصة ابن لادن، حيث عادت طالبان وأكدت أنه لايزال فى أفغانستان، ولايزال بعض رجاله يقاتلون مع طالبان، ومسألة اختفائه كانت مجرد محاولة من الحركة للخلاص من عبء ثقيل، لكن الأمر ليس بهذه البساطة، فالأمريكان كانوا يعرفون أنه لايزال فى أفغانستان وأن علاقته بطالبان لم تنقطع وأن مسألة اختفائه «مسلسل محلى» يفتقر الى أبسط درجات التماسك الدرامى لأن الرجل ليس إبرة تاهت فى كومة قش، وفى كل الأحوال فالطريقة التى أخرج بها هذا المسلسل تشير إلى قدرات طالبان المحدودة فى الدراما السياسية حسب رأى الأمريكان.

وبعض المعلومات تشير إلى أنه يتنقل بين أكثر من مكان واحد، فهو يتردد على عدة ولايات تسيطر عليها طالبان بينها قندهار معقلها في الجنوب الغربي، وقيل أن ابن لادن يعيش فى جبال الهندكوش ذات القمم الشاهقة فى وسط أفغانستان. ويقال أنه يعيش فى كهف مع العشرات من حراسه بالإضافة إلى زوجته وأولاده. والحق أنه من خلال زيارتى لأفغانستان فهناك بعض المناطق تشعر أن التاريخ لم يمر بها والحياة تجنبتها! حيث التضاريس الصعبة ما بين جبال وتلال ووديان حجرية. فأفغانستان الأرض ليست أكثر انبساطا من «الشعب الوعر»!

ووفقا لروايات سمعتها فى إسلام آباد فالكهف الذى يقال أن ابن لادن يعيش فيه مزود بأحدث الأجهزة الإلكترونية التى تعمل بواسطة مولد كهرباء متوسط، ويحرسه رفاق ابن لادن على مدار ٢٤ ساعة، وتستخدم الأجهزة وبينها كمبيوترات فى اتصالات ابن لادن بأتباعه فى أنحاء العالم، بالإضافة إلى هاتف خليوى «موبايل» يعمل بواسطة الأقمار الصناعية، ويقال أيضا أنه لا يستخدم هذا الهاتف بنفسه خشية رصد موقعه أو استخدامه فى تفجيره عن بعد مثلما حدث للمهندس يحيى عياش الذى كان العقل المفكر لكتائب عز الدين القسام الجناح العسكرى لحماس واغتالته إسرائيل بواسطة هاتفه الخليوى.

ومن عرفوا ابن لادن يقولون إنه رجل بسيط فى مأكله وملبسه، يقضى وقتا غير قصير فى القراءة، غير أن الرجل ليس بسيطا أبدا فى علاقاته المتشعبة مع الأصوليين من أتباعه فى أنحاء العالم حيث يدير شبكة ضخمة منهم يصدر إليها الأوامر بواسطة رموز سرية عبر الإنترنت كما قال لى صحافى باكستانى.

ولابن لادن كتاب يوزع فى أفغانستان عن «احتلال الخليج» يطالب فيه بالجهاد ضد القوات الأمريكية والغربية فى المنطقة ، وقد حكى لى أحد مقاتلى طالبان على جبهة جابول بعربية سليمة كيف أنه قرأ الكتاب وأعجب به، وبدا وجهه مستبشرا وهو يستحضر صورة ابن لادن «المجاهد الكبير» حسب رأيه، وقال لى مسئول فى طالبان إن بعض قيادات الحركة ترى فى ابن لادن معوقا لنموها وتحسن وضع الأفغان وأنهم طالبوا الملا عمر بالتخلى عنه حتى تحظى طالبان باعتراف أمريكى يفتح لها

الأبواب المغلقة فى أنحاء العالم ويجلب المساعدات الخارجية حتى تتمكن من إعادة بناء أفغانستان التى دمرتها حروب متوالية.

وأضاف المسئول إن الملا عمر الذى يعرف ابن لادن شخصيا من منتصف الثمانينيات أيام الجهاد ضد السوفييت لا يريد التضحية به خشية حدوث قلاقل وتمرد من رجال طالبان ضده، وبالفعل فقد قال لى أكثر من مقاتل طالبانى إنهم سيقاتلون الملا عمر إذا سلم ابن لادن لأمريكا أو تركه يسقط فى يديها، لأنه فى نظرهم رمز الجهاد ضد الغرب وبطل الحرب ضد السوفييت. وباكستان تدرك هذه الحقيقة جيدا لذلك قاومت الضغوط الأمريكية عليها لدفع طالبان لتسليم ابن لادن لأنها تعرف أن مثل هذه الخطوة قد تتسبب فى انشقاق أو تمرد كبير داخل صفوف الحركة المبنية على أساس دينى والتى روجت لشعار الجهاد بين الأفغان لاجتذابهم إليها، فكيف بالمجاهدين وهم يطيحون بمن يراه الأفغان رمزا كبيرا، وفى كل الأمور فقصة ابن لادن وهى ليست الموضوع الرئيسى لهذا الكتاب لم تكتمل فصولها، فللدراما بقية وخاتمة، ربما لا يتوقعها أحد.

طالبان

العمائم والخناجر والأفيون

14

باكستان

و«اللعب» مع طالبان؟

دار الخيّال

باكستان «الرسمية» قريبة للغاية من طالبان ليس فقط باعتبارها أول دولة تعترف بحكومة الحركة بعد دخولها كابول عام ١٩٩٦، ولكن من خلال الاعتماد الكبير الذى توليه طالبان على الحكومة الباكستانية.

أما لماذا تؤيد باكستان طالبان، فالحقائق التاريخية تشير إلى أنها تريد دائما حكومة صديقة فى كابول تؤمّن عمقا استراتيجيا أفغانيا لهذه الجارة، وبإمكاننا القول أيضا أن باكستان تلعب مع الرابح فى أفغانستان، وقد ربحت طالبان وانتصرت فى معاركها على خصومها، طبعا باكستان الرسمية تنفى المساعدة فى نشأة طالبان «كغول» أفغانى اكتسح الساحة، لكن الكثير من المعلومات تشير إلى أن أحد العوامل الرئيسية وراء ظهور طالبان بتلك القوة «الخارقة» هو الدعم الباكستانى العسكرى والسياسى وربما المالى، كما أن معظم تجارة طالبان تمر عبر باكستان.

عموما لسنا بمعرض تحليل العلاقات بين طالبان وإسلام آباد، لكننا نحاول التعرف على الموقف الرسمى الباكستانى من طالبان وخصومها خلال رحلتنا. ونشير هنا إلى أن باكستان لعبت أيضا دورا فى منع نشوب حرب بين طالبان وإيران بعد مقتل الدبلوماسيين الإيرانيين فى مدينة مزار الشريف الشمالية الأفغانية فى أغسطس عام ١٩٩٨.

خلال مقابلة مع وزير الدولة للشئون الخارجية الباكستانى محمد صديق خان

كالجـو حاولت استيضاح موقـف إسلام آباد من طـالبان، وقد نـفى كالجو أن تـكون طالبان تابعة لبـلاده قائلا: «إنها دولة مستقلة ذات سيادة ونحن نحـثهم على فعل هذا السلوك أو تجنـب ذاك، وإذا تأملت تاريخ أفغانستان تجدهم دائما يتـخذون قراراتهـم بأنفسهم، ولكننا أصدقاء وجيران».

وعن عـلاقة إسلام آبـاد بالفـصائل الأفـغانـية الأخرى مـثل «الحزب الإسـلامى» بزعامة قلب الدين حكمتيار وجماعة برهان الدين ربانى قال الوزير الباكستانى : «كنا نتمنى لو أن ربانى وحـكمتيار حققا السلام لأفغانستان، ولكـن للأسف تبادلا القتال، والمؤرخون والأجيال القادمة سـيعتبرون هذين الرجلين مسئولـين عن المشكلات التى خلفاها فى أفغانستان، ونحن لانزال على اتـصال بربانى. أما حكمتيار فقد ترك وطنه وهو غير مرئى فى أفغانستان، لذلك نضعه فى فئة أخرى!».

ويضيف كـالجو «مازلنا على اتصـال بالتحالف الشمـالى (فصائل أفغانيـة يقودها عسكريا أحمد شاه مسعود) وفى أبريل (١٩٩٨) جمـعنا الطرفين (طالبان والتحالف الشمـالى) هنا فـى إسلام آباد حيـث أجريا محـادثات لكن لـسوء الحظ لم يـواصلا ذلك».

وهاجم كـالجو حكمـتيار ـ رجل بـاكستان الأول الـسابق فى أفـغانستـان ـ بشدة واعتبره مسئولا عن المشكلات الكبرى التـى عاشها الأفغان فى عهد حكم المجاهدين الذى سبق «زمـن طالبـان»، ومـع ذلـك لايزال لحكـمتـيار رجالـه المسـلحـون فى أفغانستان ـ كما سبق أن أوردنا ـ فى مخيـم شامشتوه للاجئين قرب بيشاور، ولايزال يضخ الأموال لرجاله فـى باكستان، ولحزبه مكتب تمثيـل فى إسلام آباد وهو وإن كان مغضوبا عـليه اليوم من باكستـان فإنها لاتزال تحتفظ بـه ورقة قد تستخدمها مـستقبلا خاصة أن أفغانستان يمكن وصفها ببلد «كل الاحتمالات» و «كله جائز»!

حديـث آخر عن طـالبـان جاء فى ثـنايا لـقاء مـع وزير باكـستانـى آخر هـو راجا ظفرالحق وزيـر الشئون الدينيـة والسياسى المخضـرم الذى يقف وراء مساعى تـطبيق الشريعـة كاملة فى باكستـان، واعتبر ظفر الحق فـى الحديث أن حكومة طالبـان تلقى الإشادة حتى من خصومها لأنها تطبق الشريعة.

ويعترف ظفر الحق بوجـود تشدد فى التطبيق الطالبانى للشـريعة، ويرفض مقارنة باكستان بأفغانستان لأن المجتمع الباكستانى ـ حسب رأيه ـ معتدل».

غير أن حديث ظفر الحـق انطوى على بعض التناقض، وحذر مـن أن باكستان قد تشهد ظهور حركة طالبان أخرى إذا لم تطبق الشـريعة، بينما نفى وجود تأثير لطالبان على الحركات الـدينية فى باكستان، وأبـدى لامبالاة تجاه العلاقات بيـن طالبان وهذه الحركات «لأن لطـالبان بلدهم ولـنا بلدنا»، ولكـنه يشعل التـناقض أكثر بالـقول بأن تطبـيق الشريـعة فى باكـستان يستـهدف تجنب أصـولية أخرى عـلى غرار ما تـشهده أفغانستان.

فى كل الأحـوال العلاقة ليـست بسيطـة، ففى إقلـيم سرحد البـاكستانى المتاخم لأفغانـستان شعبية طالبـان طاغية، وبـعض الجماعات الـقبلـية تقلد طالـبان بتطـبيق الشريعـة بعيدا عن حكـم الدولة، ومن آن لآخر يشهـد هذا الإقليم مصـادمات دموية بين الأمن ورجال القـبائل المسلحين فى منـطقة تذوب فيها الحدود بين مـا هو أفغانى وما هو باكستانـى والمدارس الدينية كما سبق أن أسلفت رباط كـبير، وقد سمعت أن باكسـتانييـن يقاتلون مـع طالبان لـكنهم أقـلية ولم يثبت وقوف الحكـومة وراء هذا التوجه».

وخلال الأزمة بين طـالبان وإيران صرخ مثقفون بـاكستانيون فى وجه حـكومتهم وطالبـوها بوقف دعم طالـبان حتى لا تورط الـبلاد فى حرب إقلـيمية غبيـة، وانبرت الحكومة للـدفاع عن مواقفها، وقد أخبرنـى طالـب جامعى باكستانـى أن دعم طالبان وراءه إسكات مـطالب إقلـيمية فى أراض تـقع تحت سيطـرة باكستـان الآن وهى فى الأصل أفغانية، أيا كان الأمر لا نريد التوغّل كـثيراً فى «مركب» العلاقات الأفغانية ـ البـاكستانـية، فهـذا ليس موضـوع الكتـاب، وكما سبـق أن قلت لـن نقع فى غـواية «البحث السياسى» وما بيـن أفغانستان وباكستان يستحق كتابا منـفصلا، بقيت جملة بسيطة «ألذ ما أكلت فى باكستان اللحـم المشوى فى مطعم أفغانى»، حيث الطعام بلا توابل تشعل حروبا فى الحلق والمعدة والأمعاء أقوى من الحروب الأفغانية!

وقد كانت الفـترة التى زرت فيها أفغانسـتان هى «زمن التوتر الأكبر» بـين طالبان وإيران، وبدا الأمر للبعض أن الحرب مقبلة لا ريب فيها، التوتر جاء بعد حادث مقتل

٩ دبلوماسيين إيرانيين بأيدى رجال طالبان فى مدينة مزار الشريف قبل وصولى إلى أفغانستان بأسابيع قليلة .. كانت المدينة بحوزة المعارضة الأفغانية واجتاحتها قوات طالبان فى هجوم خاطف بعد أن كانت قد طردت منها عقب الاستيلاء عليها للمرة الأولى فى عام (١٩٩٧) .. المهم يوم دخول طالبان مزار الشريف كان دمويا للغاية سقط فيه آلاف القتلى بينهم مدنيون، واتهم خصوم طالبان الحركة بقتل الآلاف بلا تمييز، طبعا لا يوجد شهود عيان محايدون، غير أن الشىء المؤكد أن رجال طالبان هجموا على القنصلية الإيرانية وكسروا بابها ودخلوا على الدبلوماسيين التسعة وقتلوهم، وفى البداية قالت طالبان إنهم فقدوا، وظلت لأسابيع تردد هذه العبارة وكان لدى طهران بصيص ضئيل من الأمل فى صحة هذه الرواية وسط جبال من الشكوك بأنهم قتلوا، وبين الأمل والشك راحت إيران تضغط عبر أطراف ثالثة مثل باكستان لمعرفة الحقيقة التى جاءت «دموية» بعد أن باحت طالبان بها لقد قتلوا بلا رحمة فى وضح النهار. وقالت قيادة الحركة إن القتلة خالفوا الأوامر وتصرفوا من تلقاء أنفسهم وأنها تبحث عنهم لمحاكمتهم شرعيا.

ازدادت الأحداث سخونة خلال وجودى فى قندهار تلقت إيران ضربة أخرى .. سقطت ولاية باميان التى كان يسيطر عليها حزب الوحدة الشيعى الحليف الأول لطهران بين فصائل المعارضة الأفغانية، والولاية التى تقع فى وسط أفغانستان، ويشكل الشيعة الهزارة غالبية سكانها ظلت محاصرة لشهور طويلة بقوات طالبان التى قالت إن إيران كانت تمد مقاتلى حزب الوحدة بالمؤن والعتاد بالطائرات.

أصبحت الضربة ضربتين وازداد الغليان فى إيران وكانت العناصر المتشددة تصمم على شن حرب ضد طالبان، لكن الرئيس محمد خاتمى أقنع المرشد «الفقيه الولى» على خامنئى بخطورة الدخول فى المستنقع الأفغانى الذى سقط فيه الإنجليز والروس، لكن الأمر لم ينته إلى هذه القناعة الإيرانية إلا بعد توتر شديد فى وقت تحولت فيه طالبان إلى العدو الأول لإيران .. طبعا مؤقتا لأن «إسرائيل» والشيطان الأكبر «أمريكا» هما العدو الأول والدائم.

وبينما كان العالم كله يترقب حربا قد تنفجر فى لحظة أو أخرى بين إيران وطالبان، كان الأمر مختلفا داخل المناطق الأفغانية التى تسيطر عليها الحركة التى

لاتخفى عداءها لإيران .. صحيح كان هناك استعدادات وجرى نقل قوات طالبانية إلى ولايتى هرات ونيمروز المتاخمتين لإيران لكن اليقين الطالبانى كان لا حرب!

وقد عبر عن ذلك زعيم طالبان الملا محمد عمر خلال المقابلة القصيرة التى تمت بالقول «التجارب التاريخية تثبت أنه لا حرب مع إيران» التى قال إن لها مطامع فى أفغانستان، ورغم استبعاده القتال إلا أنه قال نحن مستعدون لحرب طويلة الأمد ولدينا الأسلحة المادية والإيمانية الكافية.

وردا على سؤال بشأن قتل الدبلوماسيين قال الملا عمر «الدبلوماسيون قتلوا بغير إذن أمير المؤمنين وإيران هى المذنبة لأنها تركتهم فى مزار الشريف ولم تسجلهم وهم غير مسجلين لدينا فى قائمة الدبلوماسيين الإيرانيين التى تشمل قنصليتين فى جلال آباد وهرات، فنحن لا نعترف بهم رسميا.

واعتبر الملا محمد حسن رحمانى حاكم ولاية قندهار أن تهديدات إيران بالحرب فى ظل مناورات ضخمة على الحدود شارك فيها مئات الآلاف من الجنود «أكاذيب» كما قال لى وللمصلين بعد صلاة العشاء فى أحد مساجد قندهار، وكل من سألتهم من رجال طالبان فى قندهار كان مجمل إجاباتهم «إيران تهدد فقط وإذا هاجمتنا فسنهزمها».

وعندما ذهبت إلى كابول بعد أيام قليلة كان المسئولون هناك يرددون ذات الكلمات بصيغ مختلفة.

وحينما قابلت وزير خارجية طالبان الملا محمد حسن أخوند شن هجوما ناريا على إيران وحاول إظهار طالبان فى صورة «العاقل الطيب» وإيران هى «الشرير القبيح».. وجاءت كلماته «الإمارة الإسلامية وشعبها يريدان علاقة حسنة مع إيران وحتى الآن لم نعاملها بمثل ما تعاملنا .. إننا نتمسك بالأخلاق ولكن إيران تسيء إلينا دائما ونتمنى أن تستخدم عقلها وترجع إلى الصواب. أما إذا استمرت فى المناورات والتهديدات فقد ثبت للجميع أن الشعب الأفغانى لا يقبل أى اعتداء عليه».

وفى حديثه لى الذى تم فى مكتبه بوزارة الخارجية فى قلب كابول تحت دوى

الصواريخ التى كان يطلقها أحمد شاه مسعود من مواقع قواته إلى الشمال من كابول كشف الملا محمد حسن لأول مرة عن نشر صواريخ (أرض - أرض) طراز لوناه الروسية التى يبلغ مداها ١٠٠ كم وطراز ستينجر الأمريكية (أرض - جو) على الحدود مع إيران، بل إنه عاد بمقعده إلى الخلف وقال : «إذا هوجمنا فى أراضينا فلن نكتفى بالدفاع فقط بل سنتعقب العدو فى عقر داره حسب طاقاتنا وإمكاناتنا».

والتقطت كلمة العدو من فم الوزير لأسأله عن مدى وجود أسباب مذهبية وراء العداء، خاصة أن التوتر تزامن مع الهجوم على معاقل حزب الوحدة الشيعى فى باميان، فلم يبد الرجل مداهنا «هذا فيه شىء من الصحة (يقصد العداء المذهبى) لكن هذه العلاقة جزئية، فأصل المسألة الذى جعل إيران تقوم بمناورات وتطلق التهديدات هو فشل خططها فى أفغانستان حيث بذلت جهودا جبارة وأنفقت أموالا ضخمة وشكلت لها بعض الجماعات والأحزاب غير أن أهدافها لم تتحقق وهذا أصابها بالجنون».

ونفى وزير الخارجية ذو اللحية المسترسلة والقميص الزهرى الذى يغطى ساقيه على الطريقة الأفغانية أن يكون هناك اضطهاد للشيعة الذين يتراوح عددهم ما بين ٨٪ و ١٧٪ من مجموع السكان من جانب طالبان بقوله: «هناك شيعة فى كابول وقندهار وهرات، ولا تكاد تخلو ولاية أفغانية من الشيعة، وأصل الفساد هم أعداؤنا سواء أكانوا سنة أو شيعة، ونؤيد أهل الصلاح أيا كان مذهبهم».

انتهى كلام وزير الخارجية بتقطيبة من جبينه وكان الحديث قد طال عن الموعد المحدد،كما تخلله صوت صاروخ أطلق على كابول، فكان لابد لى من وضع النهاية للحوار بالسلام عليكم!

وقد كان مجمل إفادات مسئولى طالبان بشأن التوتر مع إيران أن وراءه أطماع إيرانية بدأت قبل سقوط الحكم الشيوعى بمساعدة ٧ فصائل شيعية كانت تتخذ من طهران مقرا لها، وحسب هؤلاء المسئولين فإن إيران حاولت نيل جزء من كعكة أفغانستان بواسطة هذه الفصائل عقب انهيار نظام نجيب الله، وخاصة حزب الوحدة الذى شارك فى معارك كابول فى العام ١٩٩٢ بتقلباتها وتبدلات تحالفاتها، وبدأ

اصطدام طالبان بهذا الحزب وهي في طريقها إلى كابول في أوائل عام ١٩٩٥، وفي ١٣ مارس من ذلك العام أعلنت طالبان مقتل عبد العليّ مزاري زعيم حزب الوحدة بعد يومين من أسره، وقالت طالبان وقتها إن مزاري هجم على حراسه في الطائرة الهليكوبتر التي كانت تقله إلى قندهار مما انتهى بقتل الحراس له.

لكن خصوم طالبان قالوا إن رجال الحركة قتلوه في شارسياب جهارا نهارا، المهم أن العداء مستحكم بين طالبان وتنظيمات الشيعة، غير أن مسئولا في الحركة أبلغني أن هناك زعيماً شيعياً يتحالف مع طالبان يدعى آية الله تقدسي وقد قاتل حزب الوحدة في باميان وأمدته الحركة بسيارات وعتاد، وشارك في مؤتمر أهل الحل والعقد في كابول الذي سبق أن تحدثنا عنه.

غير أن الشائع هو عداء طالبان للشيعة استنادا إلى أسس شرعية في نظرهم حيث يعتبرون أن الشيعة كفرة أو أغلبهم على الأقل، كما أخبرني من قبل المفتي رحمة الله، وهذا العداء لا سبيل إلى تجاوزه، ومن ثم لا أحد يتوقع أن تتحسن العلاقات بين طالبان وطهران إلى حد المصالحة الشاملة والتطبيع، والهدوء بينهما قد يطول لكن الحذر سيظل يغلف هذه العلاقات التي تمر دائما بحقول ألغام خطيرة!

وقد نجد من يتساءل ألا يوجد في أفغانستان سوى القتال والخراب والدمار، والموت المجنح، أليس هناك قصص حب مثلا .. نكت، والإجابة بسيطة، نحن البشر عادة ما نركز على الجوانب والصفات الأبرز في الآخرين، فقد لا يلفت انتباهك في طويل مثلا انحناء ظهره وقصر يديه. المهم هناك حب ونكت .. وظرف وخفة دم في أفغانستان !!

وقد حكى لي شاب أفغاني هذه القصة عن شخص يدعى محمد شفيع (٢٦ عاما) وكان يحب فتاة حبا صامتا حيث رآها أكثر من مرة في «البردة» وكانت جارتهم، المهم وقع في غرام صامت، وكان أن سمع خطأ أنها تزوجت من آخر فأصيب بمرض شديد كاد أن يهلكه ـ حسب الراوي ـ وعرف أهله الحكاية فأتت لزيارته في المستشفى فشفي على الفور، وذهبت، ثم تزوجت غيره بعد ذلك ولم يمرض محمد شفيع في هذه المرة، ويبدو أن الحب يشفي في المرة الأولى فقط !

ووفقا لما ذكره شاب آخر، فهناك قصص حب وراء الجدران فتاة تصادق أخرى فتزورها وتتعرف سرا على شقيقها ويقع الحب وقد يتحول إلى زواج وقد يموت فى صمت أو تذهب به الريح أو يذهب الجهاد بالحبيب أو القصف بالحبيبة!

وبمناسبة الزواج فللأفغان تقاليدهم فى الأفراح، تتوارى حينا وتظهر أحيانا فى غياب طالبان حسب رواية أفغانى ممن لا يحبون الحركة ويلعنون زمانها!

وقبل الزفاف بليلة هناك ليلة الحناء، حيث يكون هناك حفل فى بيت العريس توزع فيه الحناء من إناء كبير على زواره من الرجال، وكذلك تفعل العروس فى بيتها، وقبل ظهور طالبان كانت هناك دفوف تدق وبعض الآلات الموسيقية، والآن أصبحت الأعراس فى «ليلة الدخلة» صامتة، يكتفى فيها بنحر الذبائح، وإقامة الولائم وتبادل التهاني، ولكن لايزالون يحضرون العروس إلى بيت العريس ومعها قطعة قماش بيضاء تبلل بالدم بعد الدخلة وتقدم إلى والد العروس وأهلها، وكأن الدم هو مصير أفغانستان فى الحب والحرب معا!

وقبل ظهور طالبان أيضا ـ حسب أحد الرواة ـ كانت هناك رقصة شعبية تمارس فى الأفراح تسمى «اتن ملىّ» وكان الرقص بتحريك الجسم والتصفيق الإيقاعى، الآن طالبان تعاقب من يرقص أو يغنى أو يعزف موسيقى ـ كما أسلفنا!

وفى قرية قلعة ريح فى زانداجان أتى رجال طالبان بطبال وزمار وأركبوا كل منهما حمارا بالمقلوب بعد أن سودوا وجهيهما بالفحم وجمعوا الناس حولهما وأمروهم بأن يضربوهما، وكف الرجلان عن الطبل والزمر إلى الأبد!

وفيما يخص النكت فللأفغان منها نصيب حتى الآن وقد روى لى مرافقى من طالبان مصباح الله العديد، وبعض النكت تمس شعوبا أخرى وجماعات عرقية بينها بل وتعبر عن مجريات الحرب أحيانا، فقد رأى أحد رجال طالبان فأرا فصاح إنه دوستم وانفجر المجاهدون الصغار فى الضحك!

وقد روى لى مصباح الله هذه النكتة : سمع باكستانى مصريا يقول أمام الكعبة اللهم اعطنا «الجنة» (باللهجة القاهرية) وهى كلمة تعنى بالأوردو قصب السكر، فقال له ياشيخ لا تسأل الله (جل وعلا) وتعالى معنا إلى باكستان.

وروى لى طالبانى آخر نكتة جهادية عن أفغانى استضاف عددا من الأفغان العرب أيام الجهاد ضد الشيوعيين وذات صباح أعد لهم دواب للركوب وكان هناك حصانان وحماران وأربعة رجال، فمن وزع عليهما الحصانين كان يخاطب كل واحد منهما بقوله : أنت حصان يقصد لك حصان، والآخران قال لكل منهما أنت حمار!

وهناك نكتة باشتونية رواها لى «طالبانى» تقول : إذا أسقطت أوزبكيا على الأرض يخاطبك بقوله اتركنى أنا من نسل الرسول ﷺ أما إذا أسقطك فيضربك ويقول أنا من نسل أبى جهل!

وفى المقابل هناك الكثير من النكت التى تحكى عن طالبان، روى لى شاب فى كابول بعضها، وتقول إحداها : إن جماعة من طالبان كانوا يستعدون لركوب طائرة هليكوبتر فخلعوا أحذيتهم، ثم طارت الطائرة بهم ولدى هبوطها فى مكان بعيد أخذوا يبحثون عن الأحذية!

وهناك نكتة أخرى تقول إن طالبان قررت إلباس البهائم اللباس الشرعى ومعاقبة النساء على إزالة لحاهن!

المهم أننى رأيت فى أفغانستان من يضحكون ومن يلقون نكاتا وهذا هو الوجه الآخر الذى لا يراه كثيرون، فالأفغان بشر، ومهما بدوا قساة مع أنفسهم، فالسمات البشرية تفصح عن نفسها دائما.

عبدالحليم غزالى

طالبان

العمائم والخناجر والأفيون

15

معلومات أساسية عن أفغانستان

دار الخيّال

أفغانستان

الاسم الرسمي : دولة أفغانستان الإسلامية.

العاصمة : كابول.

أهم المدن : مزار شريف في الشمال - هرات في الغرب - قندهار في الجنوب - جلال آباد في الشرق.

عدد السكان : (في عام ١٩٩٧) : ٢٢ مليون نسمة (تقديرا).

التقسيم الإداري : تنقسم أفغانستان حاليا إلى ٣١ ولاية، وتنقسم كل ولاية إلى مديريات (ولسوالى) ومراكز إدارية (علاقة دارى).

التقويم : هجرى شمسى، يبدأ عامه فى ٣١ مارس وينتهى فى ٣٠ مارس التالى.

الموقع الجغرافى السياسى : تقع أفغانستان فى قلب آسيا، وهى دولة قارية (أى بلا منافذ بحرية).

ـ تمتد الحدود الدولية لأفغانستان لمسافة ٥٧٦٩ كم، منها ٢٣٨٣ كم مع كل من طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان فى الشمال، و ٧١ كم مع الصين فى الشرق، و ٢٤٦٦ كم مع باكستان فى الشرق والجنوب، و ٨٤٩ كم مع إيران فى الغرب.

ـ شكل موقع أفغانستان دائرة التقاء لثلاثة عوالم حضارية :

١ـ الشرق الأوسط بإسلامه وعربه وفرسه.

٢ـ آسيا الوسطى التركية المغولية.

٣ـ شبه القارة الهندية.

ـ أملى موقع أفغانستان الجغرافى عليها الوقوع فى حلبة تنافس الإمبراطوريتين : البريطانية (فى الهند البريطانية)، والروسية خلال القرن التاسع عشر الذى تشكلت فيه حدود أفغانستان بناء على هذا التنافس لتصبح دولة عازلة بين هاتين الإمبراطوريتين بنتوء شاذ فى أقصى الشمال الشرقى اشتهر باسم «ممر واخان». وفى القرن العشرين أصبحت أفغانستان نتيجة موقعها أيضا ميدانا للتنافس الأيديولوجى والتجارى بين روسيا (التى أصبحت الاتحاد السوفييتى) وبريطانيا أولا، ثم ساحة للحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتى وأمريكا، ثم ورقة مقايضة فى عهد الوفاق والاتفاق بين العملاقين.

المساحة : تبلغ مساحة أفغانستان ٦٥٢٫٢٥٥ كم٢، ويبلغ أقصى طول لها - من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى ـ حوالى ١٤٥٠ كم، فى حين يبلغ أقصى عرض لها حوالى ٧٢٥ كم. ويشبه شكل أفغانستان ورقة شجر، يمثل لسان «واخان» عنقها، بينما يقع طرفها فى الجنوب الغربى.

السطح والمناخ : ينقسم سطح أفغانستان ـ من الشمال إلى الجنوب ـ إلى ثلاث مناطق رئيسية هى :

١ـ السهول الشمالية : وتمتد عبر شمال أفغانستان من سفوح جبال «البامير» فى الشرق إلى حدود إيران غربا، ومن سفوح جبال الهندوكوش جنوبا إلى «آموداريا» (جيحون) شمالا، وتتمتع هذه السهول بتربة خصبة، إلا أنه يمكن زراعتها فقط فى وديان الأنهار والمناطق المتاخمة للجبال حيث تتوفر المياه، كما ينتشر رعى الأغنام والماعز هناك، ويبلغ متوسط درجة الحرارة فى هذه المنطقة ٣ درجات مئوية فى يناير (كانون الثانى) و ٣٣ درجة مئوية فى يوليو (تموز)، ويبلغ المعدل السنوى للأمطار ١٨ سم/ ٣.

٢ـ المرتفعات الوسطى : وتنحدر من الشرق إلى الغرب بعد أن تتفرع من هضبة البامير (سقف العالم) التى تتفرع منها أيضا جبال الهملايا، وتغطى هذه المرتفعات ثلثى مساحة أفغانستان، وتتكون من جبال الهندوكوش الشاهقة وفروعها، ويبلغ أقصى ارتفاع لها حوالى ٧٦٢٠ م، ويعيش معظم الأفغان فى الأودية المرتفعة الضيقة المنتشرة بين هذه الجبال التى يبلغ متوسط درجة حرارتها ٤ درجات مئوية تحت الصفر فى يناير (كانون الثانى) و ٢٤ درجة مئوية فى يوليو (تموز)، ويبلغ المعدل السنوى للأمطار هناك ٣٨ سم/ ٣.

٣ـ الهضبة الجنوبية الغربية : وتقع فى جنوب غرب أفغانستان، وتتكون أساسا من أراض صحراوية وشبه صحراوية، ويبلغ متوسط ارتفاعها ١٠٠٠٠م ومساحتها ٨٠ ألف كم/ ٢، ويخترق هذه الهضبة نهر «هلمند» الذى ينبع من الهندوكوش ويتجه إلى حوض «سيستان» على

الحدود الإيرانية حيث يوجد العديد من البحيرات المالحة والمستنقعات، ويبلغ متوسط درجة الحرارة ٢ درجة مئوية في يناير (كانون الثاني) و ٢٩ درجة مئوية في يوليو (تموز)، والمعدل السنوى للأمطار ٢٣ر٥ سم/ ٣.

الأنهار : تستمد جميع أنهار أفغانستان مياهها من مصدر واحد هو المرتفعات الوسطى (جبال الهندوكوش)، وبالتالي تفيض هذه الأنهار جميعا في الربيع وأوائل الصيف نتيجة ذوبان ثلوج هذه المرتفعات وسقوط بعض الأمطار، ويصل منسوب مياه تلك الأنهار إلى أدناه في الخريف والشتاء، ويوجد بأفغانستان أربع مجموعات نهرية رئيسية هى :

١ـ مجموعة نهر «آموداريا» فى الشمال : وتتكون من نهر «آموداريا» (جيحون) وروافده الجنوبية، ويعد هذا النهر من أطول أنهار أفغانستان، إذ يبلغ طوله الكلى ٢٤٠٠ كم منها ١١٠٠ كم فى أفغانستان، حيث يشكل حدا طبيعيا مع طاجكستان التى يجرى فيها النهر بقية مسافته ليصب فى بحر «الأورال» (بحيرة خوارزم سابقا)، ونهر «آمو» هو النهر الوحيد الصالح للملاحة فى أفغانستان.

٢ـ مجموعة «هارى رود» فى الشمال الغربى : وأهم أنهارها :

أ ـ نهر «هارى رود» الذى يجرى فى أفغانستان لمسافة ٦٥٠ كم ويمر بمدينة «هرات» وواديها ويشكل الحدود الأفغانية الإيرانية لمسافة ١٦١ كم يدخل بعدها إلى تركمانستان حيث تفيض مياهه فى رمالها.

ب ـ نهر «مرغاب» ويبلغ طوله ٧٠٠ كم مناصفة بين أفغانستان وتركمانستان.

٣ـ مجموعة «هلمند/ أرغنداب» فى الجنوب : وتروى ٤٠٪ من أراضى أفغانستان، وأهم أنهارها نهر هلمند (١٣٠٠ كم) الذى يعتقد أن واديه كان سلة عظيمة للخبز (أى مصدرا ضخما لإنتاج القمح) حتى القرن الرابع عشر الميلادى، ويصب هذا النهر فى بحيرة «هامون» فى الجنوب الغربى. أما نهر أرغنداب فيبلغ طوله ٥٦٠ كم ويلتقى نهر هلمند عند «قلعة بست».

٤- مجموعة نهر كابول فى الشرق : وأهمها نهر كابول الذى يبلغ طوله من منبعه إلى مصبه فى نهر السند حوالى ٦٠٠ كم منها ٣٥٠ كم فى أفغانستان، وترجع أهمية نهر كابول إلى استمرار جريانه ولأنه يروى بفروعه المختلفة أراضى شاسعة.

❑

الأصول العرقية : يوجد بأفغانستان ٢٠ جماعة عرقية (أو ٢١ جماعة)، أهمها البشتون والطاجيك الذين يشكلون حوالى ٧٠٪ من السكان، يليهما الأوزبك (٦ر٦٪) فالأيماق (٣ر٥٪) فالفارسوان (٢ر٥٪) فالهزارة (٣ر٣٪ ـ ٣ر٦٪). ويرجع التعدد العرقى فى أفغانستان إلى موقعها فى وسط آسيا ذى العرقيات المتنوعة، وإلى أنها كانت معبرا للتجارة والثقافة بين أوروبا والشرق

الأوسط عندما كانت المواصلات برية فقط، كما كانت معبرا للغزاة والفاتحين - على اختلاف عرقياتهم - من الإسكندر المقدوني وحتى البريطانيين والسوفييت.

الكثافة : ٢٤ نسمة لكل كم/ ٢ (في عام ١٩٧٨)، وأكثر ولايات أفغانستان كثافة بالسكان تشكل قطاعا طوليا - في الشرق - بؤرته كابول ويشمل باكتيا وننجرهار ولوجر ووردك وبغلان وبروان ولغمان وقندوز وتخار، حيث يعيش في هذه الولايات حوالى ٥٠٪ من السكان على ١٦٪ من إجمالي المساحة تقريبا.

الديانات : مسلمون سنة أحناف ٨٢ - ٩٠٪، وشيعة إمامية ٨ - ١٥٪، وإسماعيلية ١ - ٢٪، إضافة إلى أقليات صغيرة من الهندوس والسيخ واليهود (لا يتعدى مجموعها ١٪).

اللغات : الباشتو والداري (لهجة فارسية) هما اللغتان الرسميتان ويتحدث بهما حوالى ٨٠٪ من الشعب، ولدى بقية الشعب أكثر من ١٠ لغات أخرى مع معرفتهم للباشتو أو الداري بصفة خاصة.

التاريخ السياسي الحديث لأفغانستان :

* الظهور والنشأة «عام ١٧٤٧م» : وذلك على يد أحمد خان الأبدالي (أحمد شاه بابا) الذي اتخذ من قندهار عاصمة له.

* الحرب البريطانية الأفغانية الأولى (١٨٣٩ - ١٨٤٢) : وأسفرت عن أسوأ هزيمة لبريطانيا في التاريخ - حتى الحرب العالمية الثانية - وانسحاب قواتها من أفغانستان.

* الاتفاق على رسم الحدود بين روسيا وأفغانستان (١٨٧٣) : حيث اعتمد على نهر «آموداريا» كحد طبيعي، وتعهد الروس باحترام سيادة أراضي أفغانستان وإبقائها خارج الدائرة الجغرافية لنفوذهم.

* الحرب البريطانية الأفغانية الثانية (١٨٧٨ - ١٨٨٠) : وانتهت بعقد صلح وانسحاب القوات البريطانية، وتولى الأمير عبد الرحمن خان حكم أفغانستان، وقد أدار البلاد بحكمة وأسس سياسة خارجية محايدة بين الإمبراطوريتين البريطانية والروسية (استمرت حتى عام ١٩٥٥)، كما سعى «عبد الرحمن خان» إلى توحيد أفغانستان ورسم حدود واضحة لها.

* استيلاء الروس على منطقة «بنجدة» (١٨٨٥) : وهي جزء من الأراضي الأفغانية في الشمال، ورغم أن هذا العمل يعد خرقا لاتفاق ١٨٧٣ إلا أن أفغانستان أجبرت على قبوله مع وعد روسي باحترام سيادة أراضيها في المستقبل.

* رسم خط «ديوراند» الحدودي (١٨٩٣) : وذلك للفصل بين أفغانستان والهند البريطانية (باكستان الآن)، وقد تم رسمه بطريقة توافق المتطلبات الدفاعية لبريطانيا، مما سبب تقسيم القبائل الباشتونية بين البلدين، ونتج عن ذلك مشكلة «باشتونستان» التي ظهرت عند نشأة باكستان في عام ١٩٤٧، وكادت أن تسبب حربا بين الجارتين في ١٩٦١م.

* أفغانستان والحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) : اتخذت أفغانستان موقفا محايدا في هذه الحرب، وذلك تحت قيادة «حبيب الله خان» الذي خلف والده «عبد الرحمن» ووقع معاهدة مع بريطانيا تشرف بموجبها على الشئون الخارجية لأفغانستان. وبعد انتهاء الحرب وهزيمة تركيا ثار الرأى العام الأفغاني ضد «حبيب الله خان» لعدم وقوفه بجوار تركيا في الحرب، وانتهى الأمر باغتياله في عام ١٩١٩ ومجيء ولده «أمان الله» إلى الحكم.

* الحرب البريطانية الأفغانية الثالثة (١٩١٩) : نشأت نتيجة مطالبة «أمان الله خان» بريطانيا بالاستقلال في السياسة الخارجية. استمرت الحرب أسابيع قليلة تقهقرت فيها القوات البريطانية إلى داخل الهند يتبعهم الأفغان، مما اضطر بريطانيا لتوقيع معاهدة «راولبندي» في ٨ أغسطس ١٩١٩ التي تعترف باستقلال أفغانستان داخليا وخارجيا، وعلى إثر ذلك سعى «أمان الله خان» لكسب الاعتراف الدولي الذي كان النظام السوفيتي الجديد أول من أعطاه، الأمر الذي لم تفعله الولايات المتحدة إلا في عام ١٩٣٤.

* معاهدة الصداقة «الأفغو ـ سوفيتية الأولى» (١٩٢١) : وهي أول معاهدة دولية تعقدها أفغانستان بعد إعلان استقلالها في عام ١٩١٩، وقد نصت المعاهدة على إعادة منطقة «بنجدة» لأفغانستان والاعتراف باستقلال الولايات الإسلامية (بخارى وكيف) الأمر الذي لم يفعله الاتحاد السوفيتي حتى انهياره في ٢١/١٢/١٩٩١ وتمزقه إلى ١٥ جمهورية مستقلة. وخلال فترة حكم «أمان الله» تضاعف حجم التبادل التجاري «الأفغو ـ سوفيتي» ٩ مرات.

* إقصاء «أمان الله» من الحكم ومجيء «ابن السقا» ثم «نادر شاه» (١٩٢٩) : واجه «أمان الله» سخطا شعبيا نتيجة سياسته «الأتاتوركية»، مما أدى إلى إقصائه عن السلطة بثورة شعبية قادها «ابن السقا» (باتشا السقا، واسمه الأصلي حبيب الله) أحد زعماء الطاجيك، وقد حكم لمدة تسعة أشهر فقط (من يناير/ كانون الثاني - أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٩) حاول فيها أسلمة الحكم على عكس سلفه، وسمى نفسه «بخادم دين رسول الله». إلا أن أحد القادة السابقين لجيش الملك «أمان الله» وهو «نادر خان» - الذي عاد لتوه من فرنسا ـ تمكن بمساعدة القبائل الباشتونية والبريطانيين من دخول كابول وقتل «ابن السقا»، ثم أصبح ملكا (أي شاه) على أفغانستان في ١٧ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٩.

* اغتيال «نادر شاه» ومجيء «ظاهر شاه» (١٩٣٣) : ومن المرجح أن يكون اغتيال «نادر شاه» بتدبير سوفيتي لإعادة «أمان الله» إلى الحكم، ولكن تم تولية «محمد ظاهر» ـ ابن نادر شاه ـ ملكا على أفغانستان وعمره آنذاك ١٩ عاما.

* أفغانستان والحرب العالمية الثانية (١٩٣٨ ـ ١٩٤٥) : التزمت أفغانستان بكل من الحياد وصداقتها للحلفاء.

* رئاسة «محمد داود» لمجلس الوزراء (١٩٥٣ ـ ١٩٦٣) : «محمد داود» هو صهر الملك

ظاهر شاه وابن عمه. وكانت اتجاهاته العلمانية واضحة، واستعان باليساريين فى الحكم وانفتح على الاتحاد السوفييتى وساءت العلاقات مع باكستان فى عهده، وأعلن تحرير المرأة فى عام ١٩٥٩ (وفق المنهج الغربى).

* بدء المساعدات العسكرية السوفييتية لأفغانستان (١٩٥٦) : بعد أن رفضت الولايات المتحدة الأمريكية بيع معدات عسكرية حديثة لأفغانستان (١٩٥٣ـ ١٩٥٥)، زارها «خروشوف» و «بولجانين» فى ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥٥ حيث قدموا ١٠٠ مليون دولار قرضا بفائدة رمزية (٢٪)، وفى أغسطس/ آب ١٩٥٦ وافقت موسكو وكتلتها على تزويد أفغانستان بطائرات وأسلحة صغيرة قيمتها ٢٤ مليون دولار مع تدريب مئات من الضباط الأفغان الذين أحدثوا فيما بعد تغييرات جذرية فى البلاد. وهذه المساعدات العسكرية ليست الأولى فى تاريخ أفغانستان الحديث، ففى عام ١٩٢٥ تلقى الملك أمان الله ١٣ طائرة بأطقمها هدية من موسكو.

* عزل «داود» وتعيين «محمد يوسف» رئيسا للوزراء (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥) : استشعر الملك «ظاهر شاه» الخطر على عرشه من سياسات «داود» التى أدت إلى نمو القوى الشيوعية الداخلية وتغلغل النفوذ السوفييتى فى البلاد، فقام بعزل «داود» وتعيين «د. محمد يوسف» ـ المعروف بميوله للغرب ـ رئيسا للوزراء، وقد تم تشريع دستور جديد فى عهد الأخير، وأجريت أول انتخابات برلمانية واسعة فى سبتمبر/ أيلول ١٩٦٥ وفقا لهذا الدستور، وقد حصل فيها الشيوعيون على ٤ مقاعد فقط من أصل ٢١٦ مقعدا.

* تكوين حزب الشعب ـ الشيوعى (١ يناير/ كانون الثانى ١٩٦٥) : تم هذا سرا فى بيت «نور محمد تراقى» الذى تولى زعامة الحزب، وذلك لتوحيد القوى الشيوعية فى أفغانستان استعدادا لانتخابات سبتمبر/ أيلول ١٩٦٥، إلا أن الحزب انقسم فى ربيع ١٩٦٧ إلى جناحين متصارعين هما : جناح «خلق» بزعامة «تراقى»، وجناح «برشم» بزعامة «بابراك كارمل».

* القلاقل السياسية والمجاعة (١٩٦٩ ـ ١٩٧٣) : اندلعت مظاهرات طلابية فى عام ١٩٦٩ أدت إلى وقف الدراسة، وضربت المجاعة أفغانستان (١٩٧٠ ـ ١٩٧٢) مما أدى إلى هلاك عشرات الآلاف من البشر، وتصدر حزب الشعب (الشيوعى) أحداث الاضطرابات فى تلك الفترة التى شهدت تغيير رئيس الوزراء ثلاث مرات.

* نهاية الحكم الملكى وقيام جمهورية «محمد داود» (١٩٧٣ ـ ١٩٧٨) : فى ١٧ يوليو/ تموز ١٩٧٣ وأثناء وجود الملك «ظاهر شاه» فى أوروبا، تزعم ابن عمه ـ وزوج أخته ـ رئيس وزرائه السابق «محمد داود» انقلابا عسكريا سلميا استولى به على الحكم بمساعدة حلفائه من حزب الشعب، وعلى رأسهم المقدم عبد القادر من القوات الجوية والرائد «محمد أسلم وطنجار» من القوات المدرعة .. وقد أعلن «داود» إلغاء الملكية وإقامة جمهورية أفغانستان على أساس دستور جديد وحزب واحد باسم «غورزنك ملى» أى «الحركة الشعبية»، وأعطى للشيوعيين فرصة

سانحة للتحرك وضيق على خصومهم الإسلاميين مما اضطر بعضهم للهجرة إلى باكستان والقيام بالعمل العسكري ضده، إلا أن «داود» انتبه في عام ١٩٧٥ إلى خطورة تزايد نفوذ الشيوعيين المحليين والسوفييت في البلاد، فبدأ في التحول إلى الغرب وتضييق الخناق على حزب الشعب والصراع معه.

* التئام جناحي حزب الشعب (١٩٧٧) : تم هذا بجهود سوفييتية لمجابهة التوجهات الغربية لداود الذي اتفق قادة الحزب على تدبير انقلاب عسكري ضده.

* انقلاب ٢٧ أبريل/ نيسان ١٩٧٨ ووصول الشيوعيين للحكم : وقد قام به العسكريون من أعضاء حزب الشعب، وهم أنفسهم الذين قاموا بانقلاب ١٩٧٣، وأدى انقلاب أبريل/ نيسان إلى مقتل عدة آلاف من بينهم «داود» وأسرته، في حين تولى رئاسة البلاد والوزارة «نور محمد تراقي» الذي عين «بابراك كارمل» نائبا أول لرئيس الدولة و «حفيظ الله أمين» نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية. وبدأ النظام الجديد في عملية «مركسة» البلاد، الأمر الذي أدى إلى ردة فعل شعبية عنيفة أشعلت الحرب بين الشعب والنظام.

* معاهدة الصداقة «الأفغو ـ سوفييتية» الثانية (٥/ ١٢/ ١٩٧٨) : ووقعها كل من «بريجنيف» و «تراقي»، وقد استخدمت هذه المعاهدة فيما بعد لتبرير الغزو السوفييتي لأفغانستان.

* انقلاب ١٤ سبتمبر/ أيلول ١٩٧٩ : استولى به «حفيظ الله أمين» نائب رئيس الوزراء على السلطة بعد قتله لـ «تراقي»، ويمثل هذا الانقلاب حلقة من حلقات الصراع المستمر على السلطة داخل «حزب الشعب». وقد تصاعدت المقاومة الشعبية ضد النظام الحاكم خلال فترة حكم أمين (١٠٨ أيام) حتى أصبحت كابول على وشك السقوط بيد المقاومة.

* الغزو السوفييتي لأفغانستان (٢٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٩) : وبه تم قتل «أمين» وإحضار «كارمل» من موسكو ليتولى حكم أفغانستان، وعلى إثر ذلك انتشرت المقاومة في أنحاء البلاد وازداد تدفق المهاجرين إلى باكستان وإيران، وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا في يناير/ كانون الثاني ١٩٨٠ يدعو إلى انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان، وقد تكرر إصدار مثل هذا القرار في نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام حتى إتمام الانسحاب السوفييتي في فبراير/ شباط ١٩٨٩.

* إقصاء «كارمل» وإحلال «نجيب الله» في رئاسة البلاد (١٩٨٦) : تم بطريقة سلمية، إذ قدم «كارمل» استقالته من مناصبه المختلفة على مراحل بحجة حالته الصحية ورحل إلى موسكو للعلاج، وخلفه رئيس استخباراته د. نجيب الله الذي تبنى سياسة «المصالحة الوطنية» تمهيدا لانسحاب السوفييت، ورغم ذلك زادت الحرب ضراوة في عهده، وبلغ عدد المهاجرين إلى الخارج ٥٫٣ مليون نسمة حتى نهاية عام ١٩٨٦ وعدد القتلى مليونا. وقد استمر «سلطان على كشتمند» رجل الاقتصاد والتخطيط بالحزب في رئاسة مجلس الوزراء في عهد نجيب كما كان في عهد كارمل.

* عام ١٩٨٧ هو عام المجاهدين : وذلك حسب التقرير السنوى للخارجية الأمريكية حول الموقف فى أفغانستان، إذ حقق المجاهدون فيه انتصارات عديدة وأسقطوا ١٥٠ ـ ٢٠٠ طائرة سوفيتية.

* توقيع اتفاقات جنيف (١٤ أبريل/ نيسان ١٩٨٨) : بين أفغانستان وباكستان بعد مفاوضات غير مباشرة استمرت ٦ سنوات، وقد وقع على الاتفاقات كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية كضامنين. وتقضى هذه الاتفاقات بانسحاب القوات السوفييتية (١١٥ ألف جندى) من أفغانستان فى غضون ٩ أشهر تبدأ فى ١٥ مايو/آيار ١٩٨٨، وعودة المهاجرين الأفغان، وعدم تدخل كل من باكستان وأفغانستان فى شئون بعضهما الداخلية، وتشكيل حكومة موسعة فى الأخيرة. وبعد التوقيع بيومين فقط أعلن قادة المجاهدين فى اجتماع حاشد فى «كبابيان» قرب مدينة «بيشاور» الباكستانية عزمهم على مواصلة الجهاد لإسقاط النظام العميل فى كابول ورفضهم لهذه الاتفاقات. ورغم أن التحركات الدولية سارت على نسق اتفاقات جنيف، إلا أنه لم يتم تنفيذ أى بند من بنودها رسميا حتى نهاية عام ١٩٩٠.

* أول محادثات رسمية مباشرة بين المجاهدين والاتحاد السوفييتى (فبراير/ شباط - ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٨) : وقد أجريت الجولة الأولى من هذه المحادثات فى إسلام آباد حول موضوع الأسرى وأجريت الثانية فى الطائف.

* إتمام الانسحاب السوفييتى وتشكيل المجاهدين لحكومة مؤقتة (فبراير/ شباط ١٩٨٩) : اكتمل الانسحاب السوفيتى فى ١٤ فبراير/ شباط ١٩٨٩، وقبيل ذلك أعلن المجاهدون تشكيل حكومة انتقالية برئاسة صبغة الله مجددى وترأس مجلس وزرائها عبد رب الرسول سياف، وذلك بعد موافقة مجلس الشورى ـ الذى يمثل المنظمات السبع الموجودة فى باكستان والذى استمرت جلساته أياما عديدة فى مدينة الحجاج بـ «راولبندى» بباكستان ـ على أن هذه الحكومة التى تعد الثانية بعد حكومة المهندس أحمد شاه التى شكلت قبل ذلك بحوالى عام ونصف العام.

* محاولة انقلاب ٦ مارس/آذار ١٩٩٠ : وقام بها «تناى» وزير دفاع حكومة كابول ضد الرئيس «نجيب الله» بالتنسيق مع الحزب الإسلامى (حكمتيار)، ولم تنجح هذه المحاولة ولجأ الانقلابيون إلى باكستان.

* تغيير اسم حزب الشعب إلى حزب «الوطن» (يونيو/ حزيران ١٩٩٠) : تم هذا فى المؤتمر العام الثانى لحزب الشعب الذى انعقد بعد ٢٥ عاما من المؤتمر الأول، وذلك لمعالجة آثار انقلاب مارس/ آذار ١٩٩٠، وأقلمة الحزب لمرحلة جديدة تواكب التغييرات فى أوروبا الشرقية وترضى الغرب وتبعد شبهة الشيوعية عن الحزب وقياداته فى محاولة لاسترضاء الشعب الأفغانى.

* ازدياد الدعم السوفييتى لنظام كابول (١٩٨٩ ـ ١٩٩٠) : إذ قدرته المصادر الغربية بما لايقل عن ٣ مليارات دولار سنويا، ويعد هذا الدعم من الأسباب الرئيسية لبقاء نظام كابول.

* ازدياد الضغوط الاقتصادية على المهاجرين والمجاهدين (١٩٩٠) : فقد توقفت إمدادات السلاح الأمريكية عدة مرات وانخفضت المساعدات المقدمة للمهاجرين بمقدار الثلث، ثم أعلنت الولايات المتحدة عن خفض مساعداتها للمجاهدين بمقدار الثلث أيضا، وقد ازدادت هذه الضغوط حدة بعد نشوب أزمة الخليج فى أغسطس/آب ١٩٩٠ لانخفاض الدعم المقدم من الخليج فى الوقت الذى حصل فيه الاتحاد السوفييتى على قروض ومساعدات خليجية بحوالى ٧ مليارات دولار لمواقفه خلال الأزمة.

* تقارب أمريكى سوفييتى لحل القضية الأفغانية (١٩٩٠) : وأبرز عناصر هذا التقارب هى : وقف شحنات السلاح لطرفى الحرب (المجاهدون ونظام كابول)، الدعوة إلى انتخابات عامة تحت إشراف دولى، تشكيل حكومة انتقالية برئاسة الملك «ظاهر شاه» أو أحد أتباعه إلى أن يتم إجراء الانتخابات.

* زيارة وفد المجاهدين إلى موسكو (١٠ - ١٥/ ١١/ ١٩٩١) : زار وفد من المجاهدين برئاسة ربانى موسكو بدعوة من الحكومة السوفييتية لإبداء الرغبة فى حل القضية الأفغانية سلميا.

* انهيار الاتحاد السوفييتى (٢١/ ١٢/ ١٩٩١) : انهار الاتحاد السوفييتى رسميا بتوقيع ١١ دولة من دوله على ميثاق كومنولث الدول المستقلة، وكان ذلك بمثابة الإعلان الرسمى لموت الاتحاد السوفييتى، وقد لعب الجهاد الأفغانى دورا كبيرا فى تعجيل القضاء عليه.

* فتح «مزار شريف» (١٨ مارس/آذار ١٩٩٢) : بعد بروز خلافات حادة بين القوات الحكومية التى يقودها دوستم والجنرال مؤمن من جانب و «جمعة أسك» من جانب آخر، دخل المجاهدون إلى مدينة مزار شريف بقيادة المولوى محمد علم، لكن الميليشيات التابعة لدوستم بقيت مسلحة محافظة على مواقعها حول المدينة وداخلها.

* محاولة فرار نجيب (١٥/ ٤/ ١٩٩٢) : أعلن عبد الوكيل وزير خارجية نظام كابول يوم ١٦/ ٤/ ١٩٩٢ أن رئيس النظام الشيوعى د. نجيب الله جرد من جميع مناصبه فى الحكومة وحزب الوطن. وقال عبد الوكيل إن محاولة نجيب الرامية إلى الفرار من كابول مع أخيه وحرسه قد باءت بالفشل يوم ١٥/ ٤/ ١٩٩٢ وذلك بواسطة ميليشيات الجنرال دوستم والجنرال مؤمن المتعاونة مع أحمد شاه مسعود والتى قتلت غلام فاروق يعقوبى وزير أمن الدولة فى حكومة نجيب، ولجأ نجيب إلى مكتب الأمم المتحدة بكابول.

* تشكيل المجلس الجهادى الإسلامى (١٩ أبريل/ نيسان ١٩٩٢) : تم تشكيل المجلس الجهادى الإسلامى فى أفغانستان برئاسة أحمد شاه مسعود وعضوية الجنرال دوستم وغيره. واجتمع عبد الوكيل وزير خارجية حكومة كابول بأحمد شاه مسعود للمرة الثانية خلال ٧٢ ساعة حيث اتفقا على استمرار العمل من أجل السلام. وعين «عبد الرحيم هاتف» قائما بأعمال الرئيس، ثم تم تشكيل المجلس الحاكم لتولى زمام الأمور بعد نجيب من الجنرال نبى عظيمى

والجنرال أصف دلاور رئيس أركان الجيش والجنرال مؤمن الذى شارك فى عمليات مزار شريف ضد قوات نجيب والجنرال باباجان قائد قاعدة باجرام الجوية، وكان أحمد شاه مسعود ينسق مع المجلس لاحتواء الوضع، وأثناء ذلك سقطت ولايات غزنى وقندهار وجرديز وسمنجان بيد المجاهدين.

* سيطرت قوات أحمد شاه مسعود على مطار كابول بمساعدة قوات دوستم (٢٠/ ٤/ ١٩٩٢).

* لقاء حكمتيار بالجنرال رفيع (٢٣/ ٤/ ١٩٩٢) : التقى حكمتيار فى ولاية لوجر بالجنرال محمد رفيع نائب رئيس نظام كابول، وسقطت ولاية تنجرهار بيد المجاهدين.

* تشكيل الحكومة المؤقتة من قبل المجاهدين (٢٤/ ٤/ ١٩٩٢) : اتفقت الأحزاب الجهادية على تشكيل مجلس بقيادة صبغة الله المجددى مكون من ٥٠ عضوا ليتولى نقل السلطة من نظام كابول إلى المجاهدين، إلا أن حكمتيار وحزب الوحدة الشيعى رفضا المجلس وقالا إنه غير قابل للتحقق رغم توقيعهما على الاتفاقية.

* دخول قوات المجاهدين إلى كابول (٢٥/ ٤/ ١٩٩٢) : دخلت قوات فصائل المجاهدين المختلفة إلى العاصمة كابول، وادعى حكمتيار السيطرة على جميع المنشآت العامة فى العاصمة.

* بداية المصادمات بين قوات حكمتيار ومسعود (٢٦/ ٤/ ١٩٩٢) : تحالف مسعود مع قوات دوستم وجنرالات الجناح البرشمى للحزب الشيوعى، فى حين تحالف حكمتيار مع جنرالات الجناح الخلقى مثل مانوكى منجل وأسلم وطنجار وغيرهما، وبدأت مصادمات عنيفة بين الطرفين فى كابول.

* سيطرة مسعود على كابول (٢٧/ ٤/ ١٩٩٢) : استطاع مسعود وتحالفه السيطرة على ٩٠٪ من العاصمة، وتركز القتال فى الجنوب حيث تتواجد قوات الحزب الإسلامى.

* استلام السلطة من الحزب الشيوعي (٢٨/ ٤/ ١٩٩٢) : وصل صبغة الله المجددى إلى كابول لتسلم السلطة حوالى الساعة ١٢ ظهرا برفقة قافلة كبيرة رغم تهديدات حكمتيار.

* تشكيل حزب «النهضة القومية» من قبل دوستم (أبريل/ نيسان ١٩٩٢) : أعلن دوستم عن تشكيل حزب سياسى (يمثل العرقية الأوزبكية أساسا) وسماه «النهضة الإسلامية القومية للشمال»، وكان يشترط فى تحالفاته بعد ذلك الاعتراف بحزبه.

* لقاء بين مسعود وحكمتيار (٢٥/ ٥/ ١٩٩٢) : تم أول لقاء بين مسعود وحكمتيار خارج مدينة كابول بجهود من الجنرال الباكستانى حميد جل وتركى الفيصل رئيس المخابرات السعودية وإعجاز الحق ابن الرئيس الباكستانى الراحل ضياء الحق اتفقا فيه على وقف المعارك وتهدئة الوضع.

* معارك بين الاتحاد الإسلامي وحزب الوحدة (٢/ ٦/ ١٩٩٢) : شهدت مناطق غرب العاصمة معارك ضارية بين قوات الاتحاد الإسلامي بزعامة عبد رب الرسول سياف وبين قوات حزب الوحدة الشيعي بزعامة عبد العلي مزاري.

* رباني يتسلم من المجددي (٢٨/ ٦/ ١٩٩٢) : تسلم رباني الحكم من صبغة الله المجددي بعد شهرين كما نصت عليه اتفاقية بيشاور، وقد رفض المجددي في البداية أن يتخلى عن السلطة فأجبره مسعود على ذلك.

* تعيين عبد الصبور فريد رئيسا للوزراء (٦/ ٧/ ١٩٩٢) : أدى عبد الصبور فريد (أحد قادة الحزب الإسلامي آنذاك) اليمين الدستورية لتعيينه رئيسا للوزراء حسبما تنص عليه اتفاقية بيشاور.

* قصف كابول (١٠/ ٨/ ١٩٩٢) : قصفت قوات الحزب الإسلامي العاصمة كابول بشدة لعدة أيام متواصلة بحجة وجود ميليشيات دوستم فيها، مما أدى إلى مقتل قرابة ألف شخص وجرح حوالي أربعة آلاف آخرين.

* عزل حكمتيار من المجلس القيادي (١٦/ ٨/ ١٩٩٢) : قرر رباني عزل حكمتيار من المجلس القيادي وعزل عبد الصبور فريد من رئاسة الوزراء.

* وقف إطلاق النار (٢٩/ ٨/ ١٩٩٢) : اتفق الجانبان على وقف إطلاق النار بعد معارك دامية استمرت ثلاثة أسابيع وخلفت أكثر من ٤ آلاف قتيل ومئات الآلاف من المشردين.

* اتفاقية إسلام آباد (٧/ ٣/ ١٩٩٣) : تم التوقيع على اتفاقية إسلام آباد بين الفصائل المتحاربة ونصت الاتفاقية على تشكيل حكومة مؤقتة لمدة ١٨ شهرا يبقى فيها رباني محتفظا برئاسة الدولة ويشغل حكمتيار منصب رئيس الوزراء، وتهيأت الظروف أثناء ذلك للانتخابات العامة خلال هذه الفترة.

* اندلاع القتال من جديد (١٦/ ٤/ ١٩٩٣) : اندلع قتال بين الحزب الإسلامي بزعامة حكمتيار والجمعية الإسلامية بزعامة رباني من جديد بعد اتفاقية إسلام آباد وأمطرت كابول بالصواريخ.

* تعيين حكمتيار رئيسا للوزراء (١٧/ ٦/ ١٩٩٣) : أدى حكمتيار اليمين الدستورية كرئيس للوزراء دون أن يدخل إلى كابول، ونقل مقر رئاسة الوزراء إلى تشاراسياب على مشارف كابول.

* تجدد المعارك (نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٣) : تجددت معارك شديدة بين قوات الحزب وقوات مسعود شرق العاصمة كابول في محاولة من الطرفين للسيطرة على المناطق الاستراتيجية.

* تحالف حكمتيار ودوستم ومزاري (١/ ١/ ١٩٩٤) : في اليوم الأول من عام ١٩٩٤ ظهر تحالف جديد يضم كلا من حكمتيار ودوستم ومزاري (حزب الوحدة الشيعي) والمجددي، وقاد هذا التحالف انقلابا باء بالفشل بعد المقاومة الشديدة من قبل قوات مسعود.

* تمديد فترة رئاسة رباني للمرة الثالثة (يوليو/ تموز ١٩٩٤) : دعا والى هيرات «إسماعيل خان» القادة الميدانيين إلى اجتماع فى مدينة هرات أنتهى بتمديد فترة رئاسة ربانى لمدة سنة واحدة.

* ظهور حركة طالبان (٣/ ١١/ ١٩٩٤) : ظهر اسم حركة طالبان لأول مرة فى وسائل الإعلام بعد انقاذها لقافلة المساعدات الباكستانية لسكان هرات وقندهار التى كان قد أوقفها القائد الميدانى «منصور أغا» التابع لجماعة جيلانى.

* وصول طالبان إلى مشارف كابل (٤/ ٢/ ١٩٩٥) : وصلت قوات طالبان إلى مشارف كابول بعد إحكام سيطرتها على مناطق نفوذ حكمتيار حول كابول إثر انسحابه من مقره فى «تشاراسياب».

* قتل عبد العلى مزارى (زعيم حزب الوحدة الشيعى) بيد طالبان (١٣/ ٣/ ١٩٩٥) : أعلنت طالبان عن مقتل عبد العلى مزارى الذى أسرته فى غرب كابول يوم ١١/ ٣/ ١٩٩٥ فى ظروف غامضة، وقالت مصادر طالبان إن مزارى هجم على حراسه من الحركة فى الطائرة الهليكوبتر التى كانت تقله إلى قندهار مما أدى إلى قتله، فى حين أكدت الجهات الأخرى أنه قتل فى تشاراسياب بيد طالبان.

* بداية المعارك بين طالبان وقوات مسعود (١١/ ٣/ ١٩٩٥) : نشبت معارك لأول مرة بين طالبان وقوات أحمد شاه بمسعود التى أبعدتهم عن كابول حوالى ٣٥ كم.

* استيلاء طالبان على هرات (٣/ ٩/ ١٩٩٥) : استولى طالبان على ولاية هيرات بعد بروز خلافات شديدة بين إسماعيل خان والى هرات وبين أحمد شاه مسعود أرسل الأخير على إثرها قواته وعزل إسماعيل خان عن منصبه.

* سقوط كابول بيد طالبان وإعدام نجيب (٢٧/٩/ ١٩٩٦) : سقطت العاصمة كابول بيد طالبان بعد انسحاب القوات الحكومية منها نحو الشمال، وأعلنت حركة طالبان أن أمور الدولة ستتولاها لجنة مكونة من ستة أشخاص بقيادة الملا محمد ربانى النائب الأول للملا محمد عمر، وأعدم رجال طالبان فى ليلة دخولهم إلى كابول رئيس أفغانستان السابق «نجيب الله» الشيوعى المعروف.



حياة اللاجئين فى المخيمات



آثار قصف صاروخى فى كابول



كويتا.. الطريق إلى أفغانستان



فى بيشاور.. يواجه اللاجئون الأفغان متاعب الحياة



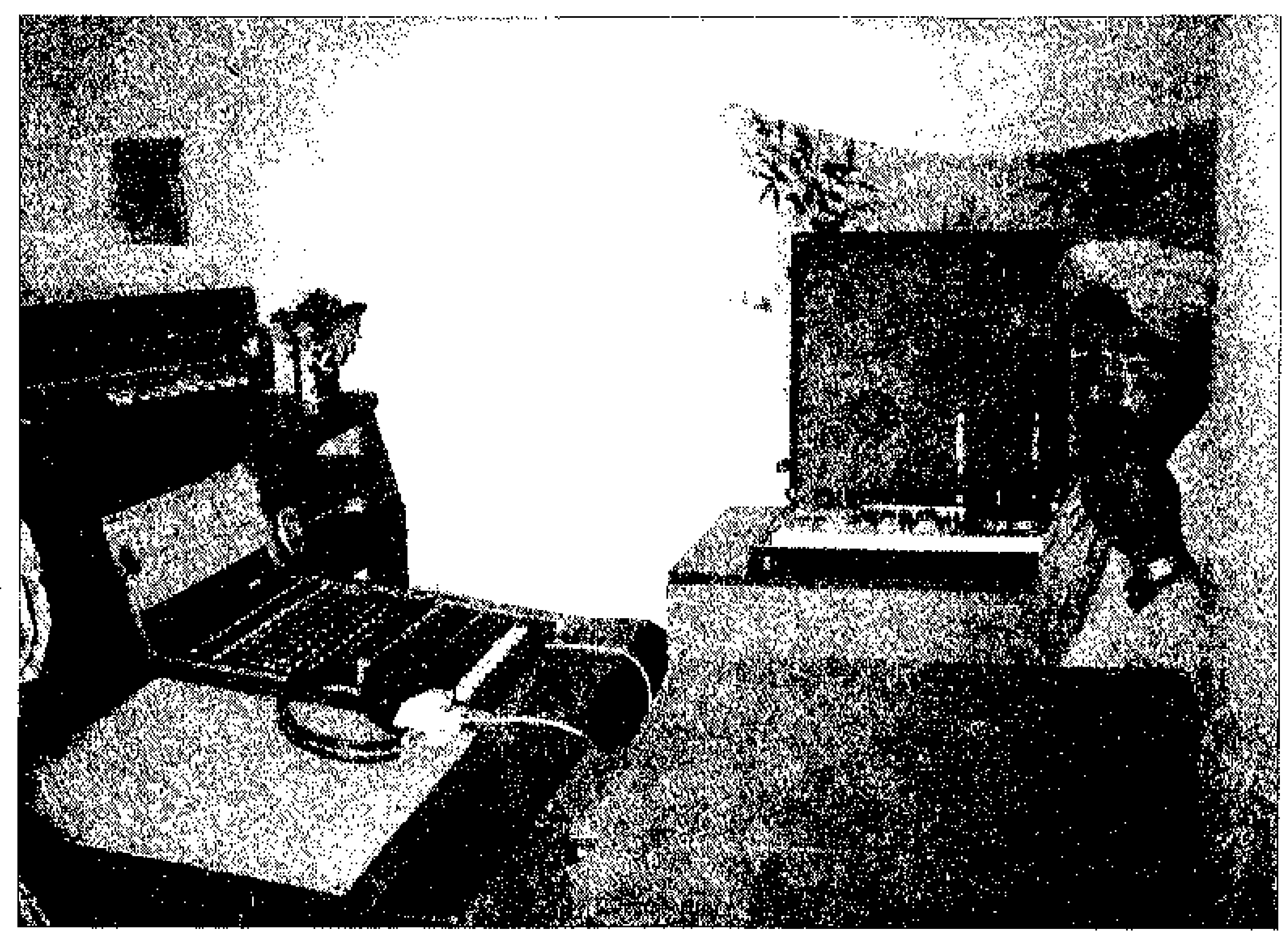
ماسح أحذية أفغانى صغير فى بيشاور



تلاميذ وأساتذة مدرسة الإمام أبى حنيفة فى هرات



هكذا يتعلمون فى المدارس الدينية فى باكستان



مذيع داخل الاستوديو فى إذاعة قندهار



يونس خالص.. المجاهد القديم

محتويات الكتاب

إهداء ٣

مقدمة ٥

١ـ هنـاقـنـدهـار دار «الخلافة» الإسلامية! ٩

٢ـ «مدرسة المجاهدين»! ٢١

٣ـ حوار مع عالم دين فى الثلاثين! ٣٣

٤ـ فـى حـضـرة أمير المؤمنين ٤٥

٥ـ شهادة المستشار ورسالة الوالى! ٥٣

٦ـ كابول جغرافيا الموت والحياة! ٦٩

٧ـ «الأب الروحـى» وعاصفة الشعارات ٨٣

٨ـ «حكـم» فى «مهب» الأسئلة! ٩٧

٩ـ حصـاد الأفغـان الأفيون والألغام! ١١١

١٠ ـ «أحلام المجاهد القديم»! ١٢٥

١١ـ أفغان المنافى الشقيقة! ١٤١

١٢ـ «منابع» خارج الحدود ١٥٧

١٣ـ البطل والكابوس! ١٧٣

١٤ـ باكستـان و«اللعب» مع طالبان! ١٨٣

١٥ـ معلومات أساسية عـن أفغانستان ١٩٥



7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043



طالبان

كانت ولاتزال أفغانستان بقعة جغرافية محيرة تعد من حيث الموقع إحدى «التخوم» أو الأطراف الإسلامية البعيدة ولكنها سياسياً اقتربت من قلب العالم الإسلامي كثيراً، وصارت الحروب التي جرت على أرضها بمثابة معامل التفريخ الذي كان حصادها: امتداد جماعات العنف الإسلامي في مقاومة الأنظمة المدنية الحاكمة خصوصاً في بعض البلدان العربية كمصر والجزائر ثم السودان واليمن على سبيل المثال. وعلى ذلك فقد عانى العالم الإسلامي والعربي من حصاد الحرب الأهلية الأفغانية مثلما عانى المواطن الأفغاني البسيط. ويعد هذا الكتاب «طالبان... العمائم والمدافع والأفيون» أول كتاب باللغة العربية عن حركة «طالبان»، والتي آل لها الأمر في أفغانستان بعد سنوات عديدة من الحرب الأهلية، أصبحت طالبان والتي بدأ ظهورها على الساحة كتعبير عن حركة الطلبة الأفغان محدودي التعليم في عام ٩٤ أصبحت طالبان حاكمة في أكثر من ٩٠٪ من أراضي أفغانستان.

وهذا الكتاب هو حصيلة رحلة ميدانية إلى أفغانستان تجول أحوالها الباحث الصحفي «عبد الحليم غزالي» حتى نقترب من محاولة فهم هذه الظاهرة الأفغانية والتي يسعى البعض إلى تصديرها إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامي ولسوف تجيب هذه الدراسة الميدانية عن أسئلة خاصة «بطالبان»... من هم، وكيف حققوا هذا الصعود السريع، وما هي أفكارهم ومعتقداتهم الدينية والسياسية وطبيعة علاقتهم بالدول المجاورة لهم، خاصة باكستان وإيران وصلتهم بأسامة بن لادن، ومصادر تمويلهم وعلاقتهم بتجارة الأفيون وسوق المخدرات العالمي وموقفهم من الحياة الإنسانية بعامة وقضايا المرأة بخاصة.

ولعل أهمية هذا الكتاب تتضاعف لما يحتويه من مقابلات مع رجال طالبان ابتداء من زعيمهم الملا محمد عمر وانتهاء بأصغر الكوادر.

وأخيراً فهذا الكتاب يحذر من وثبة رجال يتمتعون بقدر وافر من التطرف الديني على مقاعد الحكم في أية دولة.

الناشـــر